جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
قسم الدراسات القرآنية والفقه

إشكاليّةُ تقسيمِ وتوظيفِ المفاهيمِ في المناهجِ التفسيريةِ

(دراسـةٌ نقديّة)

رسالة تقدَّم بها الطّالب

(حسن عبدالهادي رشيد داود)

الى مجلس كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية

بإشراف

أ.م.د إقبال وافي نجم

1443هـ 2021م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

صدق الله العليُّ العظيم

[سورة المائدة: 48]

ترشيح رسالة للطبع

نظراً لإنجاز مباحث (الرسالة) وفصولها الموسومة بـ(اشكاليّة تقسيم وتوظيف المفاهيم في المناهج التفسيرية –دراسة نقدية) لطالب الماجستير (حسن عبدالهادي رشيد) فاني أُرشحها للطّبع .

التوقيع :

المشرف : ا.م. د.إقبال رافي نجم

مكان العمل : جامعة كربلاء / كلية العلوم الاسلامية

التاريخ : ٤/٦/٢٠٢١

اقرار المشرف

اشهد ان الرسالة الموسومة بـ(اشكالية تقسيم وتوظيف المفاهيم في المناهج التفسيرية - دراسة نقدية -) التي قدّمها الطالب (حسن عبدالهادي رشيد داود) قد تم اعدادها بإشرافي في جامعة كربلاء / كلية العلوم الاسلامية ، وهي من متطلبات نيل درجة الماجستير في العلوم الاسلامية .

التوقيع :

المرتبة العلمية : استاذ مساعد

الاسم : اقبال واني نجم

التاريخ : ٢٠٢١/٧/٦

إقرار رئيس القسم

بناء على توصيات المشرفين والمقوم العلمي ارشح هذه الرسالة :

التوقيع :

الاسم : م. د. محمد ناظم محمد الخزرجي

التاريخ : 2021/8/19

شهادة الخبير اللغوي

اطلعت على رسالة الطالب/ـــه (حسن عبد الهادي رشيد) الموسومة
بـ (**اشكالية تقسيم وتوظيف المفاهيم في المناهج التفسيرية دراسة نقدية**)

وقومتها لغوياً واجد انها صالحة للمناقشة .

التوقيع:
المرتبة العلمية : مدرس دكتور
الاسم : عادل كامل صابر
مكان العمل : جامعة كربلاء
التأريخ:

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ (**اشكالية تقسيم وتوظيف المفاهيم في المناهج التفسيرية دراسة نقدية**) وناقشنا الطالب/ة **(حسن عبد الهادي رشيد)** في محتواها وفيما لـه علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول بتقدير(امتياز) لنيل درجة الماجستير في الشريعة والعلوم الاسلامية.

التوقيع:

الاسم : أ.د. ستار جبر الاعرجي

المنصب في اللجنة: رئيساً

التاريخ:

التوقيع:

الاسم: أ.م.د. طلال فائق الكمالي

المنصب في اللجنة: عضواً

التاريخ:

التوقيع:

الاسم: م.د. مسلم جواد خضير

المنصب في اللجنة: عضواً

التاريخ:

التوقيع:

الاسم: أ.م.د. اقبال وافي نجم

المنصب في اللجنة: عضواً ومشرفاً

التاريخ:

صدقت في عمادة كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

التوقيع:

الاسم: **أ.د ضرغام كريم كاظم الموسوي**

العميد وكالة

التاريخ: 2021/11/9

الاهداء

الى من لا ربّ لي غيره معبودي وخالقي العظيم

﴿الله عزوجلّ﴾

اهدي عملي هذا وكل ما بذلته في هذه الرسالة الى ساحته المقدّسة

رجاء رضاه والفوز بثوابه العظيم واجره الكبير في الدنيا والاخرة.

اهدي ثواب هذا الجهد الى الروح الطاهرة لاسيما المطهرة لسيّدنا رسول الله (صلى الله عليه واله) ولأرواح آله الطيبين الطاهرين.

حيث بجوار: سيدي ابي عبد الله الحسين وسيدي ابي الفضل العباس ومقام جبل الصبر السيدة زينب (سلام الله عليهم) اتنسمُ عطر الهداية في روضاتهم وافزع الى مراقدهم للاستمداد من فيضهم وبركاتهم.

واثنّي بإهداء ثواب هذا الجهد الى روح والدي الشهيد تغمده الله بواسع رحمته واسكنه جنته فبركات روحه الطاهرة نازلةٌ عليّ دائما بلطف الله.

واهدي رسالتي:

الى أمي الحبيبة والغالية إذ كل ما نالني من خير فببركة وجودها ودعائها مدّ الله بعمرها وعافاها.

والى اساتذتي الكرام منذ مرحلة الابتدائية والى هذه المرحلة من الدراسات العليا.

والى زوجتي الكريمة وابنائي قرّة عيني مُحمّدالمهدي؛ وفاطمة؛ وعبّاس؛ وعليّ.

والى اخواني واخواتي الاعزاء طلاب علوم الدين والقرآن.

شكرٌ وعرفان

لم يصل أحد الى تحقيق اي هدف مهما بلغ من الفضل والكمال الا بعد فضل الله ورحمته فله الحمد والشكر دائما وابدا واولا واخرا فهو ولي كل نعمة وصاحب كل حسنة وقاضي كل حاجة.

وعندما تكون هناك ايادي بيضاء تدعم هدفك ما بين نصح وارشاد ودعاء وتحفيز فحُق ان ترفع لها عبارات الثناء والحمد والاطراء فـ«من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق» .

فإلى مقام امامي بقيّة الله الامام المهدي سلام الله عليه ارفع أعذب معاني الثناء الرفيع وأجمل كلمات الشكر الخالص؛ فشعاع لطفه لم تحجبه آثامي، وكرم عطائه أجل من ان يوقفه تقصيري وزلّاتي؛ فهو:

((صاحب العصر الإمام المنتظر من بما يأباه لا يجري القدر
حجة الله على كل البشر خير أهل الأرض في كل الخصال))

والى امّي سماء البركات وارض الجنان، واجدُ كلمات الشكر عاجزة عن شكرها؛ فاللهُ أسأل ان يحفظها ويجزيها خير الجزاء وأعظم الثواب.

واتقدّم الى أُستاذتي (أ.م. د اقبال وافي نجم) المشرفة على هذه الرّسالة بكلمات الشكر والامتنان والعرفان، وبحق اقول كانت داعمة وموجّهة ومرشدة ومُلْهمة فلم تدخر جهدا في القراءة لمسودة البحث ومبيضّته بعناية ورصد ما يستوجب تنقيحه ويلزم تعديله فلله ما بذلت وعليه عزوجل اجرها، وبعدُ فلها مني الثناء والدعاء ما بقيت.

وارفع اكاليل من الزهور معطرة بعطر العرفان والتقدير والثناء لأساتذتي جميعهم في كليّة العلوم الاسلامية لاسيما قسم الدراسات العليا، وأخصُّ جناب العميد (أ.د ضرغام كريم الموسوي) و(أ.د محمد الطائي) لما افادوني به جزاهما الله خيرا.

ولا أنسى كرم الاساتذة جميعهم في الاصغاء والمشورة والتوجيه فلهم جزيل الشكر والامتنان والعرفان.

ولا أنسى دور عائلتي الكريمة وعونهم لي فلهم مني الشكر والتقدير والاكرام، لا يفوتني ان أشكر كل زملائي الطّلاب واصدقائي في الدّراسة والعمل على عطائهم ودعمهم ومؤازرتهم لي في كل شيء؛ جزاهم الله خير جزاء المحسنين.

المُحتَوَيَاتْ

الموضوع	رقم الصفحة
البسملة والاية الشريفة	أ
الاهداء	ب
شكر وعرفان	ج
المحتويات	د– ز
المستخلص	ح
المُقـدّمة	1-8
الفصل التمهيدي: الاطار المفاهيمي، المسار التاريخي	1
المبحث الاول: تعريف بمفردات العنوان	2
الاشكاليّة في اللغة:	2
الاشكاليّة في الاصطلاح	3
التقسيم في اللغة:	7
التقسيم في الاصطلاح:	7
التوظيف في اللغة:	8
التوظيف في الاصطلاح:	9
المفهوم في اللغة:	10
المفهوم في الاصطلاح:	10
المناهج التفسيرية في اللغة والاصطلاح:	14
أولا: الصورة الافرادية:	14
المنهج في اللغة:	14
المنهج في الاصطلاح:	16
التفسير في اللغة:	19
التفسير في الاصطلاح:	21
ثانيا: الصورة المركبة:	30
المبحث الثاني: المسار التاريخي لظهور مؤلفات المناهج التفسيرية	32
الفصل الاول: اشكاليّة تعريف المفاهيم وتوظيفها	44

المبحث الاول: مفهوم المنهج التفسيري وتعريفاته 45
المطلب الاول: التعريفات (عرض ومناقشة): 46
المطلب الثاني: أصل الوضع والاستعمال لمصطلح منهج: 59
المطلب الثالث: توظيف مصطلح(منهج) في الدراسات التفسيرية: 64
المطلب الرابع: توظيف المعاني النّاتجة عن الترجمة: 72
المبحث الثاني: مفهوم الاتجاه التفسيري وتعريفاته 75
المطلب الاول: استعمال المفهوم في ضوء غياب التعريف الاصطلاحي: 75
المطلب الثاني: تعريف مفهوم الاتجاه بين الحدود والمصاديق (عرض ومناقشة): 77
المطلب الثالث: تتبع جذور حقيقة المفهوم المستعمل: 88
المطلب الرابع: علاقة المنهج بالاتجاهات: 91
1.العلاقة التوالديّة: 91
الصورة الاولى 91
الصورة الثانية 93
2.العلاقة التكميليّة: 94
المطلب الخامس: التفريق بين المنهج والاتجاه: 95
المطلب السادس: توظيف مصطلح الاتجاه في توصيف المحمود والمذموم من التفاسير: .101
المبحث الثالث: مفهوم الاسلوب التفسيري وتعريفاته 105
المطلب الاول: تنوع موارد استعمال اللفظ: 105
المطلب الثاني: تعريفات الاسلوب التفسيري (عرض ومناقشة): 108
المطلب الثالث: الخلط ما بين الاسلوب والمفاهيم الاخرى: 115
1- الخلط مع المنهج: 115
2- الخلط مع الاتجاه: 116
3- الخلط مع اللون : 116
4- الخلط مع الانواع: 117
5- الخلط مع الطريق والطريقة: 117
المطلب الرابع: فرق الاسلوب عن المنهج والاتجاه: 118
اولا: فرق الاسلوب عن المنهج: 118
ثانيا: فرق الاسلوب عن الاتجاه: 119
الفصل الثاني: اشكاليّة تقسيم المفاهيم وتوظيفها 120

تمهيد 121
المبحث الاول: نماذج تقسيم المنهج وتوظيفه 122
المطلب الاول: عرض نماذج تقسيم المنهج ومناقشتها: 122
مقصد: بيان حقيقة التفسير الجامع بين المأثور والنظري الاجتهادي :.....139
المطلب الثاني: اشكالية تعليل التنوع والاختلاف في تقسيم المناهج: 151
اولا: اختلافهم فيما يرتبط بفلسفة العلم 152
ثانيا: عدم اعتماد ضوابط وشروط القسمة المقررة في علم المنطق 153
ثالثا: عدم مراعاة استعمال كل مفهوم بما يناسب مرحلته 154
رابعا: قد يعود السبب لطبيعة البحث في المنهج.....154
المبحث الثاني: نماذج تقسيم الاتجاه وتوظيف اقسامه.....158
المطلب الاول: نماذج من تقسيمات الاتجاهات التفسيرية وتصنيفها (عرض ومناقشة):....158
المطلب الثاني: اسباب اختلاف المؤلفين والباحثين في التقسيم:.....172
الأول: اختلافهم في استعمال المدلول 172
الثاني: تتبع حركة مسير التفسير في بعديه الزماني والمكاني 174
الثالث: الخلط ما بين مفهوم (الاتجاهات الفكرية المعاصرة) و(الاتجاهات التفسيرية) 175
المطلب الثالث: الخلط والتداخل بين اقسام الاتجاه وبعض اقسام المنهج والاساليب 178
المبحث الثالث: نماذج تقسيم الأسلوب وتوظيفه 182
المطلب الاول: عرض نماذج تقسيم الاسلوب ومناقشتها 182
المطلب الثاني: اسباب الاختلاف في تقسيم الاسلوب: 196
الاول: الخلط والتداخل بين الاسلوب والمنهج 196
الثاني: التداخل بين الاساليب والانواع.....199
الثالث: عدم التقيد بضوابط الاصطلاح.....199
الرابع: تأثير التخصص او الاهتمام في توظيف المفهوم.....200
الفصل الثالث: **معالجة اشكاليّة تقسيم وتوظيف المفاهيم** 201
تقديم 202
تمهيد: 202
المبحث الاول: الاصطلاحات والمفاهيم المخصّصة بالمرحلة القَبْليّة.....203
المطلب الاول: ضرورة التمييز بين (التفسير) و(البحث التفسيري) 204
المطلب الثاني: (منهجية التفسير) مصطلح رئيسي.....206

المقصد الاول: الفرق بين المَنهجيّة والمَنْهَج والمِنْهاج 210
المقصد الثاني: مفهوم آليّة التفكير الموضوعي في البحث التفسيري 213
المطلب الثالث: التفسير وانواعه.....215
المطلب الرابع: مصطلح الاتجاه ما بين التفسير والبحث التفسيري:.....217
المبحث الثاني: الاصطلاحات والمفاهيم المخصصة بالمرحلة البعديّة.....220
تمهيد 220
المطلب الاول: (منهاج المفسر) البعديّ وعدم مطابقته مع (المنهاج التفسيري) القبليّ 221
المطلب الثاني: تصنيف التفاسير بناء على انواع التفسير: 222
المقصد الاول: كتب الدراسات القرآنية وفرقها عن التفاسير: 223
المقصد الثاني: الاصطلاح المناسب اعتماده في التقسيم والتصنيف 224
المطلب الثالث: مبنى المفسر الفكري واختلافه عن منهج البحث التفسيري:.....226
النَّزْعَة 228
اللّون 228
المطلب الرابع: مفهوم الاسلوب 230
- طريقة التعبير والبيان 233
- طريقة عرض المحتوى 233
- طريقة الاخراج.....233
المـخطـطات 235
الخاتمة.....238
المصادر والمراجع 241
الملخص باللغة الانكليزية(Abstract) ..... A–C

المُستَخْلَصُ

يُعَدُّ موضوعُ (المناهجِ التفسيريّةِ) مِنَ الموضوعاتِ التي راجَتْ مؤخَّراً وتبَلوَرَتْ وَتنامَتْ مسائله عندَ المعاصرينَ ببركةِ ما بَذَرَهُ المتقدّمونَ مِن قضاياه؛ لما لهُ مِن أهميّةٍ أساسيّةٍ في العمليّةِ التفسيريّةِ بالنسبةِ للمُفسّرينَ، وأهميّةٍ مِعياريّةٍ عندَ الدارسينَ في تقييمِ التفاسيرِ وتصنِيفِها، وبعدَ أنْ أخَذَتْ مسائلُ المناهجِ التفسيريّةِ بالاتّساعِ، بادرَ المُختصُّونَ الى إفرادِهِ بالدراسَةِ عَن مباحِث علومِ القُرآنِ الكريمِ بعدَ أنْ كانَ جُزءاً مِنها ، وأصبحَ عنوانُ (مناهجِ التفسيرِ) شامِلاً لقضايا عديدةٍ ومتنوّعَةٍ، فأُلِّفَتْ في هذا العُنوانِ وما يَقرُبُ منهُ كُتبٌ كثيرةٌ، ودُوِّنَتْ رسائلُ وبحوثٌ عديدةٌ، تناولَتِ المناهِجَ التفسيريّةَ مِن حَيثياتٍ مُتنوّعَةٍ؛ كتعريفِ المفاهيمِ، وتصنيفِ التفاسيرِ ونقدِها وتقييمِها، وتحديدِ المناهجِ والطّرقِ والأساليبِ والاتّجاهاتِ وغيرِها.

ومعلومٌ بأنَّ أيَّ عِلمٍ وفَنٍّ في جِدَّتِهِ وطَورِ تنامي مَسائلِهِ تختلِفُ أنظارُ المتخصّصينَ فيهِ مِن ناحيةِ التنظيرِ والتقعيدِ والتأصيلِ، فحَصَلَ فيما بينَهُم اختلافٌ في توظيفِ تلكَ المفاهيمِ وتقسيمِها، ممّا جعلَ مُنتجاتِهِم –مؤلفاتٍ وبحوثاً– تقَعُ في إشكاليّةِ الخَلطِ والتداخُلِ مِن ناحيةِ توظيفِ المفاهيمِ التوصيفيّةِ والتصنيفيّةِ، ومِن ناحيةِ نماذجِ التقسيمِ وإقحامِ بعضِها في البعضِ الآخَر؛ لأسبابٍ عديدةٍ أهمُّها: اختلافُهُم في المباني، أوِ الخلطُ في المصاديقِ وغيرِها، وقَد أدّى هذا الى وقوعِ المتلقّي –الدارسِ والباحِثِ– في اللّبسِ والإيهامِ في تحديدِ المنهَجِ وأقسامِهِ عَنِ الأسلوبِ والاتّجاهِ واقسامِهما، فكانَ لابُدَّ مِنَ الوقوفِ على دلالةِ تلكَ المفاهيمِ عِبرَ عرضِ الآراءِ حولَها، ومُناقَشتِها بالتحليلِ والنّقدِ والمُقارنَةِ، ومُطاردةِ جذورِ المفاهيمِ وتحديدِ أصيلِها عَنِ الدّخيلِ الوافِدِ، وبيانِ أثَرِ ذلكَ على التفسيرِ بِما هُوَ نظريّةٌ وبِما هُوَ تطبيقٌ وبِما هُوَ مُنتَجٌ مُتمَثِلاً بالمدوَّناتِ والتفاسيرِ. وحتى تُعالَجَ إشكاليّةُ الخَلطِ والتداخُلِ يجِبُ التمييزُ بينَ المفاهيمِ التي تَخُصُّ مرحلةَ بناءِ المنهاجِ التفسيريّ مِن قِبَلِ المفسّرِ وما تتوافَرُ عليهِ مِن قضايا ذاتَ عَلاقةٍ(اصطُلِحَ عَليها بالمرحلَةِ القَبْليّةِ) وما بينَ المرحلةِ التي تخصُّ الدارسينَ في التفاسيرِ وتجلِيَتِهِم دورَ المُفسّرِ وتقييمِ أدائهِ، وكشفِهِم عَن منهاجِهِ واتّجاهِهِ وأُسلوبِهِ في ضَوءِ مفاهيمَ معياريّةٍ تُعتَمَدُ في وَصفِ التفسيرِ وتصنيفِهِ تحتَ أحَدِ نماذجِ التقسيمِ المُعتَبَرةِ(واصطُلِحَ على هذهِ المرحَلَةِ بالبَعديّةِ)، فكانَ لكُلِّ مرحلةٍ اصطلاحاتُها ومفاهيمُها التي ينبغي اعتمادُها مِن دونِ خَلطٍ أو تداخُلٍ أو توظيفٍ مَبنيٍّ على التجوُّزِ والتسامُحِ بما يؤدّي إلى الإرباكِ والإيهامِ .

المُقـدّمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا، والصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَة للعالمين مُحَمّد رسول الله وخاتم النبيين، وَعَلَى آله الطيبين الطاهرين الهداة المهديين، واصحابه المُنتَجبين.

وبعد:

سيبقى لعلم التفسير مرتبة الشرف الرفيعة من بين العلوم الدينية والدنيوية لشرف الارتباط بكتاب الله المجيد؛ بوصفه السبيل لفهمه وإفهام العباد بما تكتنزه خزائن القران الكريم من علوم ومعارف هادية راشدة شافية تُخرج متبعي رضوان الله من الظلمات الى النور.

لقد عكف المسلمون منذ لحظة نزوله والى اليوم على تركيز انظارهم في مدارسته واستفراغ الوسع جهدا واجتهدا في خدمته، وتكريس الامكانيات والمواهب في استخراج لآلئه، وتحشيد الطاقات في الذود عنه لصيانته، واستنفار القدرات في مُحاجّة خصومه لنصرته، وابطال دعاوى اهل الطعون والمشككين في سلامته.

مرّ علم التفسير بِعدّةِ مراحلٍ منذ ان بُذرت اصوله والى يومنا هذا؛ فما من فترة إلا وتتسع مسائله فيها وتُورِق وتزهِر شجرته المباركة، وينعم المسلمون بثماره ويستضيئون بهدى المفسرين والعلماء عِبر مدوناتهم التأسيسية والتقعيدية في كيفية تفسير كتاب الله العزيز ومن خلال شرف كتابة تفسيرٍ يتوافر على فوائد نيّرة واضاءات نافعة.

ولم يفتر علماء القران والتفسير والدارسون في تتبع مدونات التفسير وتقصيها وفحص الأُسس التي اعتمد عليها المفسرون، ونقد طرقهم وتقييم كتبهم وفرز المحمود عن المذموم وتوصيف الاداء بما يناسبه ومن ثم تصنيف مناهجهم في ضوء معايير شرعية وعقلية.

ومعلوم ان امتزاج اصول البحث العلمي مع علم التفسير انما حصل في عصور متأخرة ومعاصرة إذ اتجه الدرس التفسيري نحو المنهجة، واخضاع العملية التفسيرية لمعايير منهجية في النقد والتقييم مما أسهم بدخول المصطلحات والمفاهيم الى دائرة علم التفسير ولكن بصورة تتناسب مع بدايات الظهور شأنه شأن العلوم الاخرى في نشأتها.

واسفرت الدراسات النقديّة عن تقييم للتفاسير وتقويم لمناهج المفسرين بما تراكم في ضوئه مسائل عديدة شكلّت بمجموعها درس (مناهج التفسير والمفسرين واتجاهاتهم واساليبهم) واخذ حيّزا من مسائل علوم القران والتفسير فكان محل اهتمام الباحثين في رصد موضوعاته ومسائله وتداول مفرداته ومصطلحاته.

ولان الكلام عن (مناهج التفسير والمفسرين) بما هو عنوان لعلم وفن لا يزال يأخذ حيزا في الاروقة الدراسية الجامعية؛ ولأنّه في حالة تنامٍ وتطور فمن الطبيعي ان تبرز مشاكل متنوعة يشعر بها الباحثون والدراسون تسبب لهم الارباك والتشويش.

مشكلة البحث وفرضيته:

ومن أجلى صور الاشكاليات هو حصول الخلط والتداخل في استعمال المفاهيم وتوظيف الاقسام، فانّ مؤلفي مدونات (مناهج التفسير والمفسرين) اختلفوا في توظيفهم للمفاهيم التوصيفية والتصنيفية بل هناك خلاف فيما بينهم حول توظيف الاقسام الخاصّة بالمناهج والاتجاهات والأساليب!، وتعدّ المفاهيم الثلاثة (المنهج، والاتجاه، والاسلوب): الاصطلاحات الاساسيّة التي شاع استعمالها في درس (مناهج التفسير والمفسرين) إضافة الى مفاهيم فرعية اخرى مقاربة لها في المفهوم او المصداق او تكون كاشفة عنها كاللون والنزعة والطريقة.

ترصد الرسالة هذه الاشكاليّة في المؤلفات والمصادر لمناهج التفسير والمفسرين لما واجهه الباحث –المستجد– اثناء دراسته من مشكلات حول تلك المفاهيم والتقسيمات وأحسّ بوجود اشكالية في توظيف المفاهيم والاقسام وخلطا بين مفهوم واخر وتداخل بين الأقسام مما اوقعني في الحيرة والارباك؛ فعلى سبيل المثال والعيّنة:

عدّ بعض المؤلّفين والباحثين مفهوم المنهج التفسيري هو الطريق الواضح، وقيْد الوضوح مشعرا بالإطلاق، بينما الواقع العلمي يثبت بان المنهج ليس واضحا الا لمن ارتسمت معالمه عنده وهو المفسر فحسب؛ فكيف ساغ تعريفه بذلك؟! وذهب بعضهم الى عدّ (منهج المفسر) هو الطريق الواضح، بينما ذهب اخر الى عدّ (مناهج المفسرين) هي الخطط التي يرسمها المفسرون!

وعدّ بعضهم (الأسلوب التفسيري): طريقة المفسر في تطبيق منهجه، بينما راج فيما بينهم تقسيم الأسلوب الى: تجزيئي وموضوعي، وذهب اخرون الى توصيف التجزيئي والموضوعي بانهما اتجاهين! وقسّموا المناهج على اقسام كثيرة دونما مراعاة للفرق بين المنهج التفسيري ومناهج المفسرين، فمنهم من عدّ: النقلي والعقلي والصوفي مناهج بينما عدّها اخر بانها اتجاهات، وذهب اخرون الى انها (مناهج مفسرين) واضافوا اليها اقساماً أخرى. ورصد بعض الباحثين الاتجاهات في حقبة زمنية محددة وبلد معين بثلاث اتجاهات عدّها اتجاهات التفسير: الهدائي والبياني والعلمي، بينما رصد باحث اخر لنفس الفترة والبلد اتجاهات مختلفة! ، وتناول باحث اخر المناهج والاتجاهات واوجد علاقة بينهما بينما ذهب اخرون الى رفض تلك العلاقة موضحين ذلك بوجود اختلاف بين المنهج والاتجاه مع انهم اختلفوا في تعريف الاتجاه وتحديد مفهومه!، فضلا عن توظيف المفاهيم بما يقرب من كونها مترادفة او ان بينها اشتراك معنوي واتحاد في المصاديق. وهذه عيّنات ونماذج من بعض المسائل التي أوقعت الدارسين في اللبس والايهام في تحديد المفاهيم وتوظيف الأقسام المناسبة لكل مَقسم.

وعليه تكون صياغة الفرضية للبحث: تحديد المفاهيم والاقسام وتخصيصها بما يجعلها تناسب كل مرحلة؛ فالاصطلاحات والتقسيمات التي تَخصّ المفسّر في مرحلة (ما قبل الشروع) هي غير الاصطلاحات والتقسيمات التي تخص الدارسين والباحثين في المدونات التفسيرية لما (بعد الشروع).

أهمية الموضوع:

ان المصطلحات هي مفاتيح التفاهم بين المتعلمين فما لم تراعَ فيها الخصوصية والدقة وسلامة التوظيف فان الخلاف والاختلاف سيتسبب في الفوضى والتشويش واللبس والايهام فيما بين الدارسين والباحثين، ولمعالجة هذه الاشكاليّة فمن الضروري جدا تقصي موارد الاشكالية بغية الكشف عن الاسباب الكامنة وراءها، ولعل الاهمية الاساسية تكمن

في تقديم معالجة تنفع الدارسين والباحثين في اعتماد منظومة مفاهيم واصطلاحات منقّحة تستعمل في التوصيف والتصنيف الخاصّة بالمفسّر والخاصّة بالدارسين لمدونات التفسير.

الهدف من البحث في هذا الموضوع:

هدفان يحاول الباحث تحقيقهما بعد توفيق الله تعالى وتوجيهات اساتذته، وهما هدف وجداني وعلمي:

- اما الهدف الوجداني فهو خدمة كتاب الله العزيز والاسهام في تنقيح مسائل موضوع لا يزال في طور تناميه وجدّته وهو (مناهج التفسير والمفسرين واتجاهاتهم واساليبهم) والذي يعدّ من صميم مفردات علم التفسير الواسع والكبير ومن مباحث علوم القران الكريم، ولا يخفى لما لهما من اثرٍ كبيرٍ في الدراسات القرآنية وفي البحوث النقدية لأداء المفسرين على وجه خاص بعد ان أُخضعت موضوعات ومسائل التفسير للتأصيل المنهجي والتقعيد لمجاليه: النظري والتطبيقي.
- واما الهدف العلمي الذي يروم الباحث تحقيقه هو **ابراز** الاشكاليّة وتوضيحها من خلال جمع الآراء المختلفة والمتخالفة حول المفاهيم : (المنهج والاتجاه والاسلوب) وما يرتبط بها من مفاهيم مقاربة وكاشفة او ملازمة لها بنحو من الانحاء ، **والوقوف** على الموارد والصور التي تكشف عن تباين وتقاطع المؤلفين والباحثين في التعريفات والتقسيمات بما أدّى ويؤدي الى وقوع المتلقين (المتعلمين والدارسين ...) في اللّبس والايهام في تحديد مفهوم المصطلح ومصاديقه، وموارد استعماله، وكذلك تحيّرهم واضطرابهم في انتقاء الاقسام الخاصّة بكل مفهوم تصنيفي كالمنهج مثلا . **ويستهدف** الباحث ابراز وتوضيح مواطن الخلط والتداخل في توظيف الاقسام بين تلك الاصطلاحات التي يعتبر بعضها معيارا في تصنيف التفاسير حسب اقسام التفسير وانواعه.

ولا يخفى ان الهدف العلمي يُقصد من ورائه بلوغ غاية مهمة تكون متممة للبحث وتجعله مثمرا ونافعا الا وهي **(المعالجة)** لهذه الاشكالية وتنقيح الآراء ليصار الى تحديد اصطلاحات وتقسيمات من الممكن ان يعوّل عليها الباحثون والدارسون.

الدراسات السابقة:

هنـاك محـاولات تناولـت الاشـكاليّة بمسـتوى مختصـر وغيـر موسّـع، تناولهـا المؤلفـون والباحثون في مباحث ضمنيّة ولأغراض محدودة وخاصة، من الممكن طرحها على انها دراسات سابقة؛ منها:

اولا: تنـاول الـدكتور محمـد علـي ايـازي، ذكـر المصـطلحات: المـنهج والاتجـاه والاسـلوب والطريقة واللون في كتابه (المفسّرون، حياتهم ومنهجهم) ومبينا الفروق بينها ولكنه اعتمد علـى بضـعة مصـادر ولـم يجمـع الآراء حـول تلـك الاصـطلاحات والمفـاهيم او ينـاقش اختلافهم حولها.

ثانيا: وتطرق الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرّومي، الى ذكر الفروق بين الاصطلاحات الثلاثة في رسالته (اتجاهات التفسير في القرن الرابع عش) والتي صارت فيما بعد كتابا للمؤلف ، وبيّن فيه دلالة الاصطلاحات من زاويته الشخصية ولم يتبع فيها الاخرين او يطرح آراءهم حولها.

ثالثا: وتطرق الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي في كتابه (تعريف الدارسين بمناهج المفسرين) الى صياغة تعاريف لبعض المفاهيم والمصطلحات كالمنهج والطريقة وفرّق بينهما واكد على ضرورة ذلك الفارق ولكنه لم يورد الآراء حول تلك الاصطلاحات ويناقشها ليخلص الى نتيجة واضحة ترفع الخلط والتداخل ، وكان هدف الكتاب(كما ذكره المؤلف) هو تعليم الدارسين وليس تتبع الاختلافات المربكة للدارس.

رابعا: وطرح الدكتور محمد علي الرضائي، في كتابه (مناهج التفسير واتجاهاته) مجموعة اراء لمؤلفين حول المناهج وتقسيماتها والاتجاهات والاساليب ولكن طرحه جاء بصورة محدودة ومختصرة مراعيا في ذلك المتلقي وهو الطالب لان كتابه يستهدف شريحة الطلاب والمتعلمين.

خامسا: تطرق لذكر الاصطلاحات والفروق الشيخ محمد علي اسدي نسب، في كتابه (المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة) دون ان يتوسع في طرح الآراء وبيان مواطن

الاختلاف فيما بين المؤلفين، وانما اعتمد على بضعة مصادر في بيان تلك المفاهيم، وان الغرض من تأليف الكتاب: المقاربة في وجهات النّظر بين المذهبين حول المناهج التفسيرية كما يزعم المؤلف.

سادسا: بحث منشور في مجلة (الحضارة الإسلامية) المجلد 19- العدد 2 / 2018م، للباحث: مراد قمومية، بعنوان (مصطلح الاتجاه في التفسير والفرق بينه وبين المنهج والأسلوب) تناول فيه الفروق فيما بين هذه الاصطلاحات دون ان يتوسّع في سرد الآراء ويذكر الاختلاف في التقسيمات والخلط بين الاقسام فمع ما فيه من فوائد لم يكن البحث واسعا ومستوفيا للآراء ومناقشتها.

وهناك مؤلفات ورسائل وبحوث تطرقوا فيها الى ذكر الفروق بين الاتجاه والمنهج او بين المنهج والطريقة وذلك من ضمن مباحثها وليس على نحو الاستقلال، وسياتي مزيد من التفصيل عنها في الفصل التمهيدي من المسار التاريخي.

حدود البحث:

يتمحور البحث ضمن نطاق الحدود الاتية :

- التفسير بما هو علم (علم التفسير).
- التفسير بما هو ممارسة تطبيقية (العملية التفسيرية).
- التفسير بما هو نِتاج ومُدوّن في الكتب (التفاسير).
- علم المنهجيّة (المناهج) في خصوص الاصطلاحات ذات العلاقة بعلم التفسير.

سيْرُ الدراسة على مراعاة هذه الحدود؛ فما لم يتم الالتزام بالتفريق ما بين هذه الحيثيات في التفسير والمنهجة؛ فانّ دائرةَ حدودِ المفاهيمِ تبقى مُبهمة. ويترتب على هذا الفرز والتفريق ان تموضع المفاهيم المنهجيّة والتفسيريّة بما يناسب كل مرحلة، فلكل مرحلة مفاهيمها التوصيفية والتصنيفية التي تتناسب مع إعداد المفسِّر لخطته قبل شروعه في تدوين تفسيره ومع مرحلة دراسة التفاسير والكشف عن مناهج المفسرين واتجاهاتهم وهي مرحلة تعدّ بالنسبة للمفسّر بَعْديّة-اي بعد اصدار تفسيره -.

فالمفاهيم المراد تناولها ترتبط بالتفسير من حيثياته المذكورة؛ وترتبط بعلم المنهجيّة في خصوص الاصطلاحات التصنيفية والتوصيفيّة.

منهجية البحث:

وُظِّفت طرائق ومناهج عديدة في هذه الدراسة، أكثرها استعمالا هو الطريقة الوصفية والتقصّي والتحليل والمقارنة والنّقد والاستقراء، وروعي في التنظيم والترتيب والتصنيف الأولوية العلميّة والاسبقيّة التاريخية واصالة الاسناد وصحة التوثيق، واما التعبير وعرض المحتوى اعتمد الأسلوب العلمي بَيْنَ تفصيلٍ واجمالٍ في البيان حسب ما يقتضيه المقام. ولم تراعَ الموائمة بين الفصول والمباحث والمطالب من ناحية: الكم؛ فبعضها قد يكون أكثر من بعض، وهذا الاختلاف ناتج عن طبيعة القضايا المبحوثة، والمسائل المطروحة، فان اقتضتْ التوسّع والاطالة فالواجب هو ذلك، وان اقتضت الاجمال بملحظ انّ مادتها قليلة فلانّها اقتضت ذلك حسب تقدير الباحث للحالة بفهمه القاصر.

هيكلية البحث وخطته:

ارتسمت هيكلية الدراسة على مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة:

الفصل التمهيدي تألّف من مبحثين:

الاول: التعريف بمفردات عنوان الرسالة وعرض تعريفات ايضاحية تفصيلية بما يقرب من الإطار النظري.

والثاني: عرض موجز للمسار التاريخي لمؤلفات مناهج التفسير والمفسرين.

والفصل الاول: تضمن الكلام عن المفاهيم: المنهج والاتجاه والاسلوب وما يرتبط بها من مفاهيم اخرى؛ فانتظم ذلك على مباحث ثلاثة:

المبحث الاول: اشكاليّة توظيف مفهوم المنهج في التفسير وتعريفاته.

المبحث الثاني: اشكاليّة توظيف مفهوم الاتجاه في التفسير وتعريفاته.

المبحث الثالث: اشكاليّة توظيف مفهوم الاسلوب في التفسير وتعريفاته.

واما الفصل الثاني: عرض لنماذج تقسيم (المنهج والاتجاه والاسلوب) وما يرتبط بها من مفاهيم تخصّها او تخصّ التفسير وتحديد مواطن الاشكاليّة فيها وفي توظيف الاقسام، وقد انتظم في مباحث ثلاثة:

الاول: اشكاليّة تقسيمات المنهج في التفسير وتوظيفه.

الثاني: اشكاليّة تقسيمات الاتجاه في التفسير وتوظيفه.

الثالث: اشكاليّة تقسيمات الاسلوب في التفسير وتوظيفه.

واما الفصل الثالث: معالجة الاشكالية: ويقع في مبحثين:

الاول: منظومة مفاهيم التوصيف والتصنيف القَبْليّ (فيما يَخصّ المُفَسّر).

الثاني: منظومة مفاهيم التوصيف والتصنيف البَعْديّ (فيما يَخصّ الدّارسين)

وثم الخاتمة احتوت على النتائج التي توصلت اليها الدراسة.

وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب.

الباحث

الفصل التمهيدي: الاطار المفاهيمي، المسار التاريخي

المبحث الاول: تعريف بمفردات العنوان:

1- الاشكاليّة.

2- التقسيم.

3- التوظيف.

4- المفهوم.

5- المناهج التفسيرية.

المبحث الثاني: المسار التاريخي لظهور مؤلّفات المناهج التفسيرية.

المبحث الاول: تعريف بمفردات العنوان

لكل عنوان بحثٍ خصوصيّة قد لا تتضح الا بعد ان يكشف الباحث عنها عبر التعريف بمفردات العنوان وافصاحه عن المقصود بها؛ ولهذا سيتم التعريف بمفردات العنوان بصورة تفصيليّة حتى يتضح المقصود، وتعدّ اطارا نظريا لعموم البحث أيضا.

الاشكاليّة في اللغة:

لم يرد في معاجم اللغة العربية القديمة لفظ (اشكاليّة)، وهو مصدر صناعي من (شكل) اذ يذكر ابن فارس في معجمه «الشين والكاف واللام مُعظمُ بابِهِ المُماثَلة؛ تقول: هذا شَكِل هذا، أي مِثله؛ ومن ذلك يقال أمرٌ مُشْكِل، كما يقال أمر مُشْتبِه، أي هذا شابَهَ هذا، وهذا دخل في شِكل هذا، ثم يُحمل على ذلك ... قال ابن دريد: ويسمَّى الدَّمُ أشكلَ، للحمرة والبياض المختلطين منه. وهذا صحيح، وهو من الباب الذي ذكرناه في إشكال هذا الأمر، وهو التباسه؛ لأنَّها حُمرةٌ لابَسَها بياض»[1] ، وأَشْكَلَ الأَمْرُ الْتَبَسَ واختلط ، والإشكال: الامر يوجب التباسا في الفهم[2] .

فالإشكالية: توصيف لما هو مختلط وملتبس، سواء وجِدت المماثلة ام لا ،غير ان الالتباس يقع لدى المتلقي من جهة المماثلة كاختلاط السكر والملح لوجود المماثلة في اللون والشكل ؛ ولكن حينما تُخلط الاقلام مع الكتب –على سبيل المثال– لا يحصل اللبس لدى المتلقي؛ هذا في الماديات، اما فيما يتعلق في الامور المعنوية كالفهم والعلم والنظريات والافكار ... فهي من الموارد التي يكثر فيها اللبس والخلط مما يصيّر ذلك (مشكلة) تكشف عن وجود صعوبة والتباس واشتباه[3] ، و تحتاج إلى المعالجة وتستحثّ على ضرورة البحث عن حلول .

([1]) ينظر: معجم مقاييس اللغة ،احمد بن فارس بن زكريا، تحق: عبدالسلام محمد هارون(دار الفكر للطباعة والنشر، دط ، 1399هـ–1979م) : 3/ 204.

([2]) يُنظر: العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي البصريّ ، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي (الناشر: دار ومكتبة الهلال، دط ، دت): 5 / 295 ؛ مختار الصحاح، محمد بن ابي بكر الرازي(حلب : دار الانصاري للنشر والتوزيع، دط :2012م) : 204.، تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ، (الكويت :مطبعة حكومة الكويت ، ط2 ،1407هـ – 1987م): 29/ 269 .، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية (مصر : مكتبة الشروق الدولية ، ط4 ، 1425هـ– 2004م): 491.

([3]) ينظر : المدخل إلى منهجية البحث وفن الكتابة مع تطبيقات في العلوم الشرعية ، عبدالرحمن حللي(بيروت : مركز نماء للبحوث والدراسات ، ط1 ،2017م) : 33.

الاشكاليّة في الاصطلاح:

يكثر استعمال مفهوم (اشكاليّة) في التخصصات العلميّة والانسانية المتنوعة؛ للدَّلالة على حالات وظواهر: الالتباس والاختلاف والغموض والابهام والانحراف والصُعُوبة ، والعَائِقة ، والعَقَبَة ، والعقدة ،والمَأْزِق ، والمُعْضِلَة ، والوَرْطَة[1] .

جاء في التعريفات للجرجاني تعريف المُشكل «هو ما لا ينال المراد منه إلا بتأمل بعد الطلب ، وهو الداخل في أشكاله، أي في أمثاله وأشباهه، مأخوذ من قولهم، أشكل أي صار ذا شكل، كما يقال: أحرم، إذا دخل في الحرم، وصار ذا حرمة»[2] وقريب منه ما ذكره السرخسي «المشكل – مأخوذ من قول القائل: أشكل على كذا، أي دخل في أشكاله وأمثاله، كما يقال: أحرم، أي دخل في الحرم، وأشتى، أي دخل في الشتاء، وأشأم، أي دخل الشام»[3] ، واستعمل الاصوليون والفقهاء لفظ المشكل في موارد الالتباس في بعض الاحكام كـ«عدم العلم بالحكم الواقعي، وعدم الاطمئنان بالحكم الظاهري لجهة من الجهات»[4] « وهو اسم لما يشتبه المراد منه بدخوله في أشكاله على وجه لا يعرف المراد إلا بدليل يتميز به من بين سائر الاشكال»[5] وفي بعض المعاجم: « شكل واشكل الامر أي التبس، والملتبس: هو مالا يفهم حتى يدل عليه دليل من غيره»[6] .

وقد عرّف المناطقة والفلاسفة هذا المفهوم وفق مبانيهم، وميّز بعضهم بين معنى الاشكاليّة ومعنى المشكلة. يذكر الدكتور جميل صليبا، ان الاشكال هو الالتباس؛ ويطلق على ما هو مشتبه ويقرر دون دليل كافِ ثم يبقى موضع نظر ، اذ هو «صفة لقضية لا يظهر فيها وجه الحق ويمكنها ان تكون صادقة الا انه لا يقطع بصدقها»[7] .

([1]) معجم المعاني الالكتروني : (مادة مشكلة) / المرادفات والاضداد: https://www.almaany.com

([2]) معجم التعريفات ، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تح : محمد صديق المنشاوي (الامارات : دار الفضيلة، دط ، دت): 181.

([3]) أصول السرخسي، أحمد بن أبي سهل السرخسي(بيروت: دار الكتاب العلمية، ط1، 1414هـ-1993م) :168/1.

([4]) مصباح الأصول، محمد سرور الواعظ " تقرير عن آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي "(قم: المطبعة العلمية ، ط5 ، 1417هـ): 342/3.

([5]) أصول السرخسي ، أحمد بن أبي سهل السرخسي :1/ 168.

([6]) معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي (بيروت: دار النفائس، ط2 ، 1408 هـ - 1988 م): 431 ، معجم ألفاظ الفقه الجعفري، أحمد فتح الله (الدمام: مطابع المدوخل، ط1، 1415 هـ - 1995 م): 54 ، معجم مصطلح الاصول، هيثم هلال (بيروت: دار الجيل ، ط1 ، 2003م-1424هـ): 296.

([7]) المعجم الفلسفي ،جميل صليبا (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، دط :1982م) : 379/2 .

ويعرف المشكلة على انها «المعضلة النظرية أو العملية التي لا يوصل فيها إلى حل يقيني»[1] .

ويذهب الى عدّ المشكلة مرادفا للمسألة فيطلب حلّها بإحدى الطُرق العقلية والعلمية؛ فنقول: المشكلات الاقتصادية ، والمسائل الرياضية[2] .

بينما عدّ الدكتور عبدالرحمن بدوي، بانّ «المشكلة تختلف عن المسألة في كون الأولى نتيجة عملية تجريد من شأنها أن تجعل (المسالة) موضوع بحث ومناقشة، وتستدعي الفصل فيها ...[فـ]: المشكلة مسألة موضوعة للبحث والنقاش والجدل»[3]

ويستند الدكتور بدوي، الى اراء ارسطو في بيان معنى المشكلة باعتبارها من موضوعات الجدل؛ لُيقرر بان (المشكلة) بهذا المفهوم اقرب الى علم الخطابة؛ لأنها تنسب الى منطق الاحتمال لا الى منطق اليقين؛ فتكون منطلقا لافحام الخصوم[4] .

ثم ان المتخصصين والمهتمين في مجال البحث العلمي أَوْلَوا مفهوم المشكلة والاشكالية اهتماما كبيرا في مؤلفاتهم؛ لتعلّقها بموضوع البحث بصورة أساسية؛ بل إنّ البحث يُبنى على وجود (مشكلة – اشكالية) يشعر بوجودها الانسان فتكون هي المحرِّك نحو البحث عن حلول واجابات مناسبة.

ان مفهوم (المشكلة) في دراسات البحث العلمي هي «جملة سؤالية تسال عن العلاقة القائمة بين متحولين او اكثر»[5] فهي تختزل جملة من الاسئلة المرتبطة بموضوع البحث، وماذا يأمل الباحث على وجه التحديد في حلّه[6] .

والاشكالية «هي المشكلة الكبرى او القضية المطروحة التي ينطلق منها البحث والباحث لحل معضلة علمية ... فالإشكالية هي الهاجس الذي يلاحق الباحث في كل كلمة يكتبها

([1]) المعجم الفلسفي، جميل صليبا: 2 /379.

([2]) ينظر: م ن: 379/2.

([3]) موسوعة الفلسفة ، عبدالرحمن بدوي (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1: 1984م) :2/ 445 –446

([4]) يُنظر: م ن :2/ 445 –446.

([5]) البحث العلمي اساسياته النظرية وممارساته العملية، رجاء وحيد دويدري(دمشق: دار الفكر، 1421هـ–2000م): 107.

([6]) ينظر: أصول البحث العلمي ومناهجه ، احمد بدر (القاهرة :المكتبة الاكاديمية، ط9، 1996م) :96 .

او ينقلها او فكرة يحللها ويشرحها ... حتى تأتي النتائج مجموعة اجابات ردا على تساؤل الاشكالية ومتفرعاتها»[1] .

وعدّ بعض المؤلفين لفظي (الاشكالية والمشكلة) متشابهين في الدلالة «... اشكالية البحث او مشكلته هي التي يحفها الغموض والتعسير مما يستوجب على الباحث ان يبحث عن مكامن وعلل واسباب ذلك الغموض والتعسير حتى يعرفها فان تمكن من معرفتها بالبحث يتمكن من ايجاد الحلول او المعالجات...»[2] .

وذهب بعضهم الى تعريف المشكلة على انها «ضرب من التناقض المدرك بين ما هو قائم وما يعتقد الناس أنه ينبغي أن يكون ...»[3] ويصف البعض مفهومها : «اتجاهان أو أكثر يتنازعان قضية ما، يعبر عن هذا التنازع بصياغة محكمة ومفصلة تضع القارئ في مشكلة لا يبدو حلها سهلا وتكون قابلة للحل...»[4] ، ويظهر على التعريفين المتقدمين بان المشكلة توصيف للخلل المكتشف، ولكن يجب صياغتها بصورة متقنة يتحسس المتلقي وجودها. غير ان التعريفين لمْ يتَطرّق فيهما للتفريق بين المشكلة والاشكالية.

مما تقدّم؛ ممكن انْ يستنتج أمورا عدّيدة: –

1– ان جذر لفظ (مشكلة – اشكاليّة) في المصطلح هو المعنى اللغوي "اختلط ، التبس".

2– ان المعاني الاخرى لمعنى المشكلة والاشكالية هي اما نواتج تلازم حالة التداخل كالغموض والصعوبة، او ان طبيعة الموصوف لا ينفك عنه التداخل؛ مما يولد استمرارية في اللبس والايهام والغموض والتعقيد.

3– ما يظهر للإدراك من خلل وتداخل عبر الملاحظة والاكتشاف يوصف (بالإشكالية والمشكلة) ويفسر ذلك على اساس إدراك (ما ينبغي وما لا ينبغي) وهو معيار فطري تشترك في العمل به العقول حينما تشهد ثمة تضاربا وتناقضا في موضوع ما.

4– ان الضابط في تمييز ما يصدق عليه مفهوم الاشكالية هو: خصائص وصفات القضيّة في الواقع ونفس الامر، فان هي تتأبّى الخروج من التداخل واللبس ويبقى باب

([1]) معايير الجودة البحثية في الرسائل الجامعية، رياض عثمان (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1: 2014م):43–44.

([2]) ينظر : خطوات البحث العلمي من تحديد المشكلة الى تفسير النتيجة ، عقيل حسين عقيل (– دار ابن كثير، ط1 ، 2010):14–23.

([3]) ينسب التعريف ل" روبرت ميرتون ؛ وروبرت نسبت " كما في: المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية ، ابراهيم ابراش (عمان: دار الشروق ، ط 1 ، 2009م) : 225.

([4]) المدخل إلى منهجية البحث وفن الكتابة مع تطبيقات في العلوم الشرعية، عبدالرحمن حللي :35.

معالجتها مفتوحا مهما طرح من حل بل يستمر النقاش حولها؛ فهنا يطلق عليها اشكالية؛ كأنّ حقيقة الامر الموصوف بالإشكالية لا تفارقه حالات التداخل واللبس، فلا يُقطَع بنتائجها.

واما اذا كانت المعالجة والحلول ترفع التداخل واللبس فان الامر الذي تم معالجته يصدق عليه انه مشكلة وليس إشكالية؛ لان دواعي واسباب المشكلة ارتفعت، لذا يذهب البعض الى أن ثمة علاقة «بين المشكلة والإشكالية هي كالعلاقة بين الكل وأجزائه وبين الجزء والكل... فالإشكالية كمظلة تتسع لكل المشكلات، تتمثل في أن المشكلة جزء من الإشكالية حيث أن الإشكالية مجموعة من المشكلات الجزئية، فإذا استطعنا أن نحدد موضوع الإشكالية عرفنا المشكلات التي تتبعها. وبمعنى آخر، المشكلة طابعها جزئي، والأسئلة التي تتناولها أسئلة جزئية بينما الإشكالية طابعها شامل وعام يتناول القضايا الكبرى»[1] .

بينما يذهب البعض الاخر: الى عدّ الاشكالية اخصّ من حيث صلتها بالبحث العلمي وتتجلّى عبر صياغتها ضمن تساؤلات متقنة لترسم خريطة البحث في الوصول الى اجابات صحيحة عليها ، ليصار الى حلول ترفع تلك الإشكالية، بينما لفظ مشكلة: يُستعمل في مجال البحث وغيره فتعتبر حينئذ أعم[2] .

والهدف من هذا التوسع هو تحديد مفهوم الاشكالية المقصودة في البحث كمفردة أساسية في العنوان لها تعلّق بمشكلات البحث.

وخلاصة القول: المراد من استعمال لفظ (الاشكالية) بمعناها اللغوي يعدّ جذر المفهوم الاصطلاحي في التعريفات الفلسفية وما ذهب اليه مؤلفو مناهج البحث العلمي في توصيفهم وتعريفاتهم.

ومما تقدم فالإشكالية المقصودة في البحث:

توصيف للخلط والتداخل الحاصل في توظيف الاقسام والمفاهيم في مؤلفات مناهج التفسير، وهذا بطبيعة الحال أدّى ويؤدّي الى اختلافهم في التقسيمات وعدم اتفاقهم على المصطلحات وتوظيفها في مجالها المناسب؛ اذ كل مؤلّف وباحث يُقسِّم ويوظِّف من

([1]) المدخل إلى منهجية البحث وفن الكتابة مع تطبيقات في العلوم الشرعية: 14-23.

([2]) ينظر: المدخل إلى منهجية البحث وفن الكتابة مع تطبيقات في العلوم الشرعية: 33-34.

زاويته، هذا من ناحية؛ ومن ناحية اخرى: وقوع المتلقي – الدارس والباحث في مؤلّفاتهم وبحوثهم– في اللبس والايهام والتحيّر والتشويش، وكلتا الناحيتين مظهر واضح للإشكالية.
ومما تجدر الاشارة اليه وتأكيده وتعميقه: ان متعلّق الاشكالية في بحثي:
هو في (مفاهيم مناهج التفسير) من حيث هي مفاهيم مُعتمدة(اصطلاحات) ؛ ومتعلّقها ايضا هو: في عدم اتفاق المؤلفين والباحثون على تعريفاتها وتقسيماتها وتوظيفها؛ وايضا متعلق الاشكالية : هو في صعوبة تمييز الدارس والباحث –المتلقي – بين المؤلفات الكثيرة في مناهج التفسير التي تعاني من ظاهرة الاختلاف في توظيف المصطلحات والتقسيمات والتي تعاني من هذه المشكلة؛ وان مشكلات هذه الاشكاليّة قد لا تتم معالجتها بنحو قطعي لأسباب تخصّ نفس المفاهيم لانها مفاهيم يصعب ضبطها في التصور والاستعمال فهي مفاهيم تتوافر على خصوصية زئبقية تتفلت من بين يدي الباحث مهما حاول تقييدها وتقنينها داخل اطر نظرية ، فديمومة توصيفها بالإشكالية ناتج عن صعوبة معالجة اسبابها الكامنة وراء حصولها .

التقسيم في اللغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة: « قسم القاف والسين والميم أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدهما على جمالٍ وحُسن والآخر على تجزئة شيء... القَسْم: مصدر قَسَمت الشّيءَ قَسْماً»[1] ، قَسَمَهُ يَقْسِمُهُ وقَسَّمَه : جَزَّأهُ أجزاء وهي القِسْمَةُ بالكسر[2] .
فالتقسيم من «القَسْم والقَسْمُ مصدر قَسَمَ يَقْسِمُ قَسْماً والقِسْمةُ مصدر الاقتِسام»[3] والقِسْم: جزء من شيء مَقْسوم .

التقسيم في الاصطلاح:

أهتم علماء المنطق بالقسمة والتقسيم لانّها تؤدي وظيفة التعريف وتكشف عن حقيقة الشيء عبر تجزئته الى عناصره الذاتية والعرضية، اي انّ «الجزئيات المندرجة تحت الكلي إما أن يكون تباينها بالذاتيات أو بالعرضيات أو بهما والأول يسمى أنواعا والثاني

([1]) معجم مقاييس اللغة : 5 / 86.
([2]) ينظر: القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط8 :1426هـ-2005م): 1149 ؛ المعجم الوسيط: 734.
([3]) كتاب العين: 5/ 86.

أصنافا والثالث أقساما»[1] ولذا فان قسمة الشيء تعني «تجزئته وتفريقه إلى أمور متباينة وهي من المعاني البديهية الغنية عن التعريف، وما ذكرناه فإنما هو تعريف لفظي ليس إلا»[2] ، وذهب الدكتور جميل صليبا الى ان القسمة مرادفة للتقسيم فيكون تعريفه عند المنطقيين «ارجاع التصور الى اقسامه»[3] وقيل «تجزئة الشيء إلى أنواعه أو تحليله إلى عناصره»[4] .

والتعريفان الاخيران هما الاقرب لاستعمال المنطقيين؛ لان المُتَصوَّر (المعلوم ، المفهوم ، الصورة الذهنيّة)– سواء كان ضروري او نظري– إما يكون مركّباً او كلياً؛ والتجزئة تتحقق بإرجاع المركب الى اجزائه او عناصره فتسمى تجزئة او تحليل ؛ او بإرجاع الكلي الى جزئياته؛ او انقسام الكلي بحسب الماصدق الى اصناف او افراد تندرج تحته[5] .

ووَضع علماء المنطق شروطا عديدة لصحّة التقسيم، إذا لم تُراعَ في التقسيم فان القسمة قد تكون غير صحيحة، كما حددوا اصولا للتقسيم وبيّنوا انواعه واساليبه، وكل تلك الامور بمنزلة الميزان الذي يُعرف به التقسيم الصحيح من المغلوط.

التوظيف في اللغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة «وظَّف: الواو والظاء والفاء: كلمة تدلُّ على تقدير شيء. يقال: وظَّفْتُ له، إذا قدّرتَ له كلَّ حينٍ شيئاً مِن رزقٍ أو طعام. ثمَّ استُعِير ذلك في عَظْم السَّاق، كأنَّه شيءٌ مقدَّر، وهو ما فوق الرُّسْغ من قائمة الدّابّة إلى الساق. ويقال وظَفْتُ البعيرَ، إذا قَصَرتَ له القَيْد. ويقال: مرَّ يَظِفُهُم، أي يتبعهم كأنَّه يَجعلُ وظيفَهُ بإزاء أوظِفَتِهم»[6] .

وجاء في أساس البلاغة «و ظ ف: له وظيفة من رزق ... وعليه كلّ يوم وظيفة من عمل، ووظّف عليه العمل: وهو موظّف عليه، ووظّف له الرزق: ووظّف لدابّته العلف»[7]

([1]) التعريفات ، الجرجاني: 224 ؛ وينظر: المعجم الفلسفي، جميل صلبيا: 2 /192.

([2])المنطق ، محمد رضا المظفر (قم : مؤسسة اسماعيليان، ط 8 ، 1420هـ): 1/ ١10.

([3]) المعجم الفلسفي: 2 /191.

([4]) خلاصة المنطق ، عبدالهادي الفضلي: 36.

([5]) ينظر: المعجم الفلسفي: 191/2.

([6]) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس: 6/ 122.

([7]) أساس البلاغة ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تح: محمد باسل عيون(بيروت: دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1419هـ –1998م): 2/ 343.

وفي لسان العرب ذكر ابن منظور «الوَظِيفةُ من كل شيء ما يُقدَّر له في كل يوم من رِزق أَو طعام أَو علَف أَو شَراب وجمعها الوَظائف والوُظُف ووظَف الشيءَ على نفسه ووَظّفَه توظِيفاً أَلزمها إياه وقد وظَّفْت له توظِيفاً على الصبي كل يوم حفظ آيات من كتاب الله عز وجل.... وجاء يَظِفُه أَي يَتبَعُه عن ابن الأَعرابي ويقال وظَف فلان فلاناً يَظِفه وظْفاً إذا تبعه مأْخوذ من الوظِيف»[1] .

وفي التاج: التوظيف تعيين الوظيفة[2] «ومن هذه المعاني جاء الاستعمال الحديث (توظيف الخريجين) بمعنى إسناد وظيفة إليهم، وجاء استعمال (الوظيفة) بمعنى المنصب أو الخدمة المعينة»[3] والذي يبدو ان محور المعنى يدور حول "جعل شيء لشيء او أسناده" فتارة يتم جعل الرزق او الطعام بتقدير من الجاعل ، وكذلك جعل عمل محدد (مهام ، مسؤوليات) منوط بشخص دون غيره ، وكذلك في المتابعة والتوالي .

التوظيف في الاصطلاح:

استعمل لفظ التوظيف في بيانات الفكر الاقتصادي والمالي والانمائي والمهن والاعمال فتداوله علماء الاقتصاد والادارة والفقهاء وغيرهم من اصحاب التخصصات ذات العلاقة[4] وكل ما تقدم لا علاقة للبحث فيه؛ غير ان مصطلح التوظيف استعمل مجازا في عبارات ونصوص المؤلفين والباحثين، للدلالة على توجيه(استعمال، جعل، إِخْضاع، اسناد) لفظ او معنى او مفهوم معين دون غيره ليخدم فكرة او موضوعا ما ، لما يتوافر عليه –ذلك اللفظ او المعنى او المفهوم– من مميّزات ومرونة ومؤدّى وظيفي ، وخصائص دلالية، وفاعليّة وتأثير معرفي ، وتكيّف سياقي قد يفي بتحقيق الغرض المراد –بغض الطرف عن صواب هذا من عدمه– فاللفظ او المعنى او المفهوم الموجه (المجعول ، المستعمل) يؤدي دور العامل في مهنته والموظف المؤهل في عمله .

وهذا المعنى هو المقصود من التوظيف في هذا البحث.

([1]) لسان العرب ،محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(بيروت: دار صادر، ط3 ،1414هـ): 9/ 358.

([2]) التاج في أخلاق الملوك، عمرو بن بحر الكناني البصري المعروف بالجاحظ (بيروت: دار الفكر، د ط ، 1375هـ -1955م): 266.

([3]) معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي ، أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل(القاهرة: عالم الكتب، ط1، 1429 هـ - 2008 م): 1/ 271.

([4]) التعيين في الوظائف العامة بين النظام الإسلامي و القانون الجزائري – تخصص شريعة وقانون – ،أحمد طرشي (2016-2017م) / رسالة ماجستير: 4- 7 .

المفهوم في اللغة:

اسم مفعول من فهِمَ بمعنى «فَهِمْتُ الشَّيء [فَهَماً وفَهْماً]: عَرَفْتُه وعَقَلْتُه وفهّمتُ فلانا وأَفْهَمْتُه»[1] .

وفي معجم مقاييس اللغة: «فَهَمَ : الْفَاءُ وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ عِلْمُ الشَّيْءِ، كَذَا يَقُولُونَ أَهْلُ اللُّغَةِ»[2] ، وفي المختار «فَهِمَ الشيء بالكسر فَهْما و فَهَامةً أي علمه وفلان فَهِمٌ و اسْتَفْهَمَهُ الشيء فَافْهَمَهُ و فَهَّمَهُ تفهِيما و تَفَهَّمَ الكلام فهمه شيئا بعد شيء»[3] .

ومما تقدم؛ يعرف ان استعمال لفظ (مفهوم) هو في خصوص ما يعلمه الانسان ويعرفه و يتعقله عبر الكلام والخطاب فما يرتسم في الذهن من صور يطلق عليه (المفهوم) وبتعبير اخر ان «الصيغة التي ورد بها المفهوم: اسم مفعول، ومن المعاني المستفادة من صيغة المفعول: أنَّ المفهوم، هو نتيجة حاصلة؛ أي: ما يصبح به الشيء معروفًا لدي»[4] .

المفهوم في الاصطلاح:

عدّ البعض لفظ (المفهوم) ينطبق على ما هو معلوم ومتصور سواء عن طريق الكلام او الاشارة او الكتابة – ليس محصورًا فيما يُلفظ به– بل مطلق المعنى المطبوع في الذهن بقطع النظر عن منشئه ، بأي وسيلة يحصل العلم من خلالها يعبَّر عنه (مفهوم) بناءً على تداوليات العُرف[5] .

وما تقدم هو معنى شامل وواسع تناوله كل اصحاب تخصص بما يخدم غايات واغراض تخصصهم العلمي والمعرفي.

فعرّفَ المناطقة المفهوم على انه الصورة المنتزعة من الشيء في الذهن؛ فيعبرون به عن ما يقابل الماصدق «نفس المعنى بما هو، أي نفس الصورة الذهنية المنتزعة من حقائق الأشياء»[6]

([1]) العين: 4/ 61.

([2]) معجم مقاييس اللغة : 4 / 457.

([3]) مختار الصحاح ، الرازي: 292.

([4]) منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية ، مجموعة مؤلفين – الاشراف العام: بوحوش عمار(برلين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ، ط1 ،2019م) :32.

([5]) ينظر: المعجم الأصولي ، محمّد صنقور علي البحراني(ايران: ستاره، منشورات الطيار، ط3 ، 1428هـ–2007م) : ٢ /٤٨٧ ؛ منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، مجموعة مؤلفين: 32 .

([6]) المنطق، المظفر: 62/1.

فهو «ما حصل في العقل ، أي من شأنه أن يحصل في العقل»[1]

بناء على ما تقدم؛ فهل المفهوم هو المعنى؟

قال الكفوي: «المفهوم هو الصورة الذهنية سواء وضع ، بإزائها الألفاظ أو لا ، كما أن المعنى هو الصورة الذهنية من حيث وضع بإزائها الألفاظ»[2] .

وقيل ان الفرق بين المعنى والمفهوم: ان المعنى تحصل صورته في العقل بوساطة اللفظ ، بينما المفهوم تحصل صورته في العقل بوساطة اللفظ وغيره[3] .

وقيل ان المعنى والمفهوم متحدان بالذات، فلكل منهما صورة حاصلة في العقل او عنده ، غير انهما يختلفان بملحظ القصد والحصول: فمن جهة ان الصورة مقصودة باللفظ سميت معنى ومن حيث انها تحصل في العقل سميت مفهوما[4] .

اذن المفهوم عند المناطقة هو المعنى الموجود في الذهن ، وينطبق على افراده في الواقع الخارجي والذين هم مصاديقه .

ولقد تقاربت تعريفات الفلاسفة (للمفهوم) من تعريفات المناطقة؛ اذ ان الفكر الفلسفي قائم على تجريد الصور وانتزاعها والبحث عن المعاني الكلية واختراعها ، فهو لا يقف عند التصور الساذج والسطحي بل يتقصّى المعاني بغية بناء مفهوم يجعله كليّا ينطبق على افراده بنحو من الانطباق ،فـ«يعتبر المعنى كليًّا لأنه يمثل أفرادًا مختلفين، وفكرًا مجرَّدًا؛ لأنه يمثِّل الصِّفةَ السائدة في هؤلاء الأفراد»[5] .

يُعدّ البحث في (المفهوم) من أُمّهات المطالب الاساسية في الدراسات الفلسفية وخصوصا في بناء المفهوم وابتكاره لأنه من اهم وظائف الفيلسوف؛ لذا عرّف الفيلسوف الفرنسي

([1]) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد بن علي ابن القاضي التهانوي، تح: علي دحروج (بيروت : مكتبة لبنان ، ط1، 1996م): 2/ 1617.

([2]) الكليات "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية" ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تح: عدنان درويش – محمد المصري(بيروت: دار النشر، مؤسسة الرسالة ؛ دط، 1419هـ – 1998م): 860.

([3]) ينظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ، جلال الدين سعيد (تونس: دار الجنوب للنشر ، دط ،دت) : 438.

([4]) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، التهانوي :2/ 1617.

([5]) مفهوم المفهوم والفرق بينه وبين المصطلح ، حمزة شلهاوي ، موقع شبكة الألوكة ، نقلا من كتاب : بناء المفاهيم "المقاربة المفاهيمية"؛ إعداد الأساتذة: محمد بن يحيى زكريا، وحناش فضيلة :17، وزارة التربية الوطنية – الجزائر، 2008.

"جيل دولوزالى" الفلسفة على انها: فن ابداع الافاهيم ، هي فن تكوين وإبداع وصنع المفاهيم[1] .

وعرّفه الاصوليون بتعريفاتٍ عديدةٍ منها:

«حكم غير مذكور تستلزمه خصوصية المعنى المذكور، وينقسم المفهوم إلى قسمين: المفهوم الموافق والمفهوم المخالف ، فالأول: هو المعنى غير المذكور الموافق للمعنى المذكور ؛ في الايجاب والسلب ، والثاني: هو المعنى غير المذكور المخالف للمذكور فيها ، فظهر ان المنطوق والمفهوم وصفان للمعنى دون اللفظ ، وان الاول من قبيل المداليل المطابقية والتضمنية، والثاني من قبيل المداليل الالتزامية»[2] .

قال الشيخ المظفر في اصول الفقه «تطلق كلمة (المفهوم) على ثلاثة معانٍ؛ المعنى المدلول للفظ الذي يفهم منه... ما يقابل المصداق، فيراد منه كل معنى يفهم، وإن لم يكن مدلولا للفظ، فيعم المعنى الأول وغيره، ما يقابل المنطوق، وهو أخص من الأولين. وهذا هو المقصود بالبحث هنا. وهو اصطلاح أصولي يختص بالمداليل الالتزامية للجمل التركيبية سواء كانت إنشائية أو إخبارية، فلا يُقال لمدلول المفرد: مفهوم وإن كان من المدلولات الالتزامية. أما المنطوق فمقصدهم منه ما يدل عليه نفس اللفظ في حد ذاته على وجه يكون اللفظ المنطوق حاملا لذلك المعنى وقالبا له، فيسمى المعنى منطوقا تسمية للمدلول باسم الدال. ولذلك يختص المنطوق بالمدلول المطابقي فقط، وإن كان المعنى مجازا قد استعمل فيه اللفظ بقرينة. وعليه، فالمفهوم الذي يقابله مالم يكن اللفظ حاملا له دالا عليه بالمطابقة ولكن يدل عليه باعتباره لازما لمفاد الجملة بنحو اللزوم البين بالمعنى الأخص ولأجل هذا يختص المفهوم بالمدلول الالتزامي»[3].

بهذا يتضح مرادهم من المفهوم وهو المعنى(الحكم) المُقْتَنص والمُتصَيّد من سياق العبارات والجمل –الخبرية او الانشائية– غير منطوق به ولكنه معنى (حُكْم) لازم بيّن بالمعنى الاخص على تفصيل مذكور في مطولاتهم لا يقتضي المقام تفصيله[4] .

([1]) ينظر: جيل دولوز وتجديد الفلسفة، جمال نعيم (بيروت : المركز الثقافي العربي ،ط1، 2010م) : 403 .، جيل دولوز– فليكس غتاري: ما هي الفلسفة ؛ ترجمة مطاع صفدي(بيروت: مركز الإنماء القومي، ط1997،1م): 30.

([2]) اصطلاحات الأصول، علي المشكيني(قم: الهادي، ط6، 1374 هـ ش) : 250.

([3]) أصول الفقه ، محمد رضا المظفر (قم: مركز مديرية الحوزة العلمية ، ط4، 1439هـ): ١ / 127–128.

([4]) شرح الحلقة الثالثة – الدليل الشرعي، حيدر اليعقوبي "تقريرا لدروس السيد كمال الحيدري"(بيروت : مؤسسة الهدى،1437هـ–2016م) ، مج10 : 13/4– 19.

وتناوله المختصون والمهتمون في مجال البحث العلمي بما لا يخرج عن تعريفه اللغوي والمنطقي الفلسفي:

هو «تمثيل رمزي يتشَّكل من الخصائص المشتركة بين مجموعة من الأشياء العينية»[1]

«هو مجموع الصفات والخصائص التي تحدد الموضوعات التي ينطبق عليها اللفظ تحديًدا يكفي لتمييزها عن الموضوعات الأخرى»[2] .

«مجموع الصفات او الخصائص الموضحة لمعنى كلي وعلى اساسه يقوم التعريف والتصنيف ويقابل الماصدق»[3] .

وأُستخِلص مجموعة خصائص يمتاز بها المفهوم، وهي كالآتي: –

1. التجريد: مفاهيم منتزعة من المحسوسات، ومفاهيم تنوجد نتيجة الخبرة الحسية كالأمانة والحرية (مفاهيم مجردة).

2. التعميم: المفاهيم لا تكون الا عامة في نفسها لأنها تتألف من خصائص مشتركة بين موضوعات تُختزل في مفهوم واحد، وسحبها على فئات غير متناهية من الموضوعات الممكنة المشابهة لها.

3. التعقد: تختلف المفاهيم من جهة تعقدها وفي عدد أبعادها اللازمة لتعريفها[4] .

4. التواطؤ والتشكيك: وهو اختلاف درجة انطباق صورة الخصائص والصفات فيما بين الافراد من الشدة والضعف كمفهوم البياض مثلا[5].

والمقصود بها في عنوان البحث:

هي المفردات والمعاني الكليّة المستعملة بكثرة في درس (مناهج التفسير والمفسرين) في التوصيف والتصنيف المنهجيّ –علم المناهج– لا مطلقا فان المفاهيم المستعملة في مناهج التفسير (بمفهومه الاعم) كثيرة غير ان متعلق البحث هو ما كان في خصوص الالفاظ الاصطلاحيّة الرائجة والمتداولة مما هو مرتبط بعلم المنهجة والمناهج.

([1]) منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية: 32.

([2]) م ن: 32.

([3]) معجم المصطلحات العلمية والفنية ، يوسف خياط (بيروت: دار لسان العرب ، دط ،دت):(مادة فهم): 513.

([4]) ينظر: منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية: 33.

([5]) المنطق ، المظفر: 60/1.

المناهج التفسيرية في اللغة والاصطلاح:

بما إن اللفظ مركب اضافي، وفي إفرادِ كلِّ جُزءٍ منه وايضاحه فائدة مهمة تكشف حقيقة مدلول اللفظ في صورته التركيبة ووضوح الرابط –نسبة الاضافة– وأثره في تصوّر المفهوم؛ وكالاتي:

أولا: الصورة الافرادية:

المنهج في اللغة:

وردت في معاجم اللغة العربية لفظ (منهج) في صيغ عديدة، منها: «مِنْهَجُ الطّريقِ: وَضَحُه»[1] ، «المَنْهج: الطَّريق»[2] ، و«مَنْهَجُ الطريقِ وضَحُه»[3] .

و «النَّهْج بفتح فسكون (الطَّريقُ الواضِحُ) البَيِّنُ وهو النَّهَج، محرَّكةً أَيضاً. والجمع نَهْجَاتٌ ، ونُهُجٌ ، ونُهُوجٌ»[4] .

و «المِنْهاجُ الطريق الواضح و نَهَجَ الطريق أَبانه وأَوضحه»[5] .

و ذكرت أكثر المعاجم اللغوية ما ورد في الكتاب العزيز عن ذكر المنهاج {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة: 48] ولم يرد بصيغة منهج وانما منهاج! .

فالمنهاج الطريق الموصوف بالوضوح ، وان كان للمفسرين بيانات متنوعة؛ فتارة يعبرون عن معناه بالطريق المستمر أو الواسع، الا انهم متفقون على ان معنى لفظ منهاج (الطريق الواضح) ، وبتعبير ابن الانباري «الشرعة: الطريق الذي ربما كان واضحاً وغير واضح ، والمنهاج لا يكون إلا واضحاً»[6] .

([1]) العين : 3/ 392.

([2]) معجم مقاييس اللغة : 5/ 361.

([3]) لسان العرب : 2/ 383 .

([4]) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي: 6/ 251.

([5]) مختار الصحاح: 379.

([6]) تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بابي حيّان الاندلسي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1 ، 1413هـ–1993م) : 3 / 513–514. ، ينظر: التبيان في تفسير القرآن ، محمد بن الحسن الطوسي ، تح: أحمد حبيب قصير العاملي(الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ط1 ، 1409هـ) : 3/ 542 ؛ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، دط –الطبعة التونسية – 1997 م): 6/ 223.

ويُستَظهَر مما ذكروه عن معنى المنهج: بان الوضوح لا يتعلق في خصوص (الطريق) وانما يفهم من عبارتهم بانّ (النّهج) هو بمعنى: وَضَح، واضافته للطريق من باب أقرب المصاديق.

وبديهي ان صفة الوضوح تُنسب للنّاظر الذي يرى الامور المكشوفة له بنسبة يتحقق فيها الوضوح، فالطريق كونه واضحا بلحاظ الطّارق والماشي فيه او الذي تحددت معالمه في ذهنه. قال الزمخشريُّ في اساس البلاغة «طريق نهج، وطرق نهجة، ونهجت الطّريق: بيّنته، وانتهجته: استبنته، ونهج الطريق وأنهج: وضح. قال يزيد بن حذّاق الشنّيّ:

ولقد أضاء لك الطّريق وأنهجت ... منه المسالك والهدى يعدى»[1] .

وذكر ابن منظور «اسْتَنْهَجَ الطريقُ صار نَهْجاً وفي حديث العباس لم يَمُتْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى تَرَكَكُم على طريقٍ ناهِجةٍ أَي واضحةٍ بَيِّنَةٍ ونَهَجْتُ الطريقَ أَبَنْتُه وأَوضَحتُه.... يقال اعْمَلْ على ما نَهَجْتُه لك ونَهَجتُ الطريقَ سَلَكتُه وفلانٌ يَستَنهِجُ سبيلَ فلانٍ أَي يَسلُكُ مَسلَكَه...»[2] .

و في الصحيفة السجّادية لمولانا زين العابدين علي بن الحسين (ع) «وَانْهَجْ لِي إلى مَحَبَّتِكَ سَبيلاً سَهْلَةً»[3] اي: اوضح او بيّن لي.

توصيف الطريق بالوضوح يلزم منه صلاحه للسير فيه بسهولة دون توقف فيكون ذلك المعنى احد مصاديق المنهاج (الطريق الواضح) ! .

أنّ معظم الذين تناولوا معنى لفظ (منهج) من المعاجم اللغويّة بإنّهُ الطريق الواضح دون أنّ يفرّقوا بين خصوصيات الالفاظ: (منهاج ونهج ومنهج) أدّى الى نتائج غير دقيقة من ناحية تحديد المفهوم والمصاديق ومن ناحية الاستعمال .

والذي يبدو للباحث بعد فحص دقيق لكلام جملة من الاعلام حول المعنى اللغوي انّ عباراتهم لم تكن على وفاق في تحديد المعنى الدقيق للّفظ: فكان كلامهم يدور بين أن يكون (النهج) معناه :(الوضوح) او (الطريق الواضح)، فالأصل في مادة (نهج) هو كون شيء ما واضحا بيّنا[4].

([1]) أساس البلاغة، الزمخشري : 311/2-312.

([2]) لسان العرب: 2/ 383.

([3]) الصحيفة السجّادية [الدعاء العشرون] في مكارِمِ الاخلاقِ ومرضِيّ الافعالِ .

([4]) ينظر: المعجم الوسيط: 957.، التحقيق في كلمات القران الكريم ، حسن المصطفوي (طهران: اعتماد، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، ط1، 1416م): 285/12-286.

وَعليه: فإنّ دلالة لفظ (نهج) تختلف عن دلالة لفظ (منهج) ؛ فالأول يعني (وَضَح) ، والثاني يتوقف على مورد الاستعمال فيُقدّر له بـ(الأمر) أعمّ من ان يكون الطريق وغيره ، فالمنهج: هو الامر الواضح ، واما المنهاج: فهو خصوص الطريق الواضح، وبتعبير أقرب لمعنى بُنْيَة اللّفظ هو الخطة المرسومة والبرنامج الواضح[1] لما يوحيه اللفظ من معاني: الاستمرار والبروز والظهور بامتداد وتوالي .

فهل توجد نسبة –رابط– بين المعنى اللغوي والمفهوم الاصطلاحي؟

المنهج في الاصطلاح:

تعدّدت التعريفات وتنوعت الصياغات وتباينت زوايا نظر المعرّفين لمصطلح المنهج كل بحسب تخصصه العلمي ومجاله البحثي وحتى يتم الوقوف على مقصدهم من هذا المصطلح؛ يستعرض الباحث جملة من التعريفات الرائجة والمتداولة والتي يُعتقد باستيفائها لحدود المصطلح:

فالمنهج هو «الطريق المؤدي الى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل الى نتيجة معلومة »[2] وهو «البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى الحقيقة»[3] .

وعُرِّف على أنّهُ: «الطريق الواضح في التعبير عن شيء او في عمل شيء او في تعلم شيء طبقا لمبادئ معنية وبنظام معين بغية الوصول الى غاية معينة»[4] .

وهو «طريق البحث عن الحقيقة في أي علم من العلوم أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية»[5] . وعُرِّف بانّه «السلوك النظري او العملي الذي ينبغي ان نتوخاه من اجل بلوغ غاية محددة»[6] . وهو «طريق نصل من خلالها، وبها، الى نتيجة معينة حتى وان كانت هذه الطريق لم تحدَّد من قبل تحديدا ارادیا ومترويا»[7] .

([1]) ينظر : المعجم الوسيط (مادة نهج): 957، و (البرنامج): 52 .

([2]) مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي (الكويت: وكالة المطبوعات، ط3 ،1977م): 5.

([3]) م ن: 6.

([4]) معجم المصطلحات العلمية والفنية ، يوسف خياط :690.

([5]) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ،علي سامي النشار(القاهرة : دار المعارف ، ط9 ،دت): 1 / 36 .

([6]) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ، جلال الدين سعيد :450.

([7]) موسوعة لالاند الفلسفية، اندريه لالاند، تعريب: خليل احمد خليل (بيروت – باريس ، منشورات عويدات، المطبوعات الجامعية في فرنسا ، ط2 ، 2001م): 803 .

وعرّفوه على أنّه: «الطريقة او الاسلوب او الكيفية او الوسيلة المحددة التي تؤدي الى الغرض المطلوب او الغاية المعينة»[1].

وهو «مجموعة من القواعد العامة يعتمدها الباحث في تنظيم ما لديه من أفكار أو معلومات من أجل أن توصله إلى النتيجة المطلوبة...المنهج: طريقة البحث»[2] .

وهو «خطوات منظمة يتخذها الباحث لمعالجة مسألة أو أكثر ويتتبعها للوصول الى نتيجة»[3].

فهو: «فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن حقيقة مجهولة لدينا، أو من أجل البرهنة على حقيقة لا يعرفها الآخرون»[4] .

(المناقشة):

جاء في أكثر هذه التعريفات توصيف (المنهج) بالطريق والطريق الواضح ، ومعلوم ان المعاجم اللغوية ذكرت معناه: الطريق الواضح ؛ فيكون على هذا: ان المفهوم الاصطلاحي بُني على المعنى اللغوي لان «المصطلحات أخذت اولا من اللغة ثم اختصت بأمور ، فصارت أخص من المعنى اللغوي ،فهي تحتفظ غالبا بمقدار يعتد به من الاصل اللغوي»[5] .

ولكن؛ هل لفظ (المنهج) بمعناه الاصطلاحي بُني مفهومه على المعنى اللغوي الموجود في مدونات المعاجم العربية؟! أو إنّ المدلول الاصطلاحي نشأ خارج الثقافة العربيّة، ثم وفد عليها عبر عامليّ الترجمة والتَأَثُّر بعلماء ومفكري اليونان وغيرهم من الاعاجم؟!.

افادت جملة من المصادر ان مدلول منهج الاصطلاحي ليس عربيا، وانما هو من مبتكرات الفكر اليوناني – والحديث هنا عن المنهج بما هو عمليّة واعيّة منظمة يستهدف الانسان من خلالها الوصول لأمر ما وليس الحديث عن المنهج بما هو إجراء فطري تلقائي يشترك فيه جميع عقلاء البشر ويتوصلون به الى نتائج اعمالهم[6]– لهذا يعدّ «هذا

([1]) منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية: 14.

([2]) أصول البحث ، عبد الهادي الفضلي(قم : ستار، مؤسسة دار الكتاب العربي ، ط 4 ، 1434هـ–2013م): ٥١.

([3]) م ن : 49 ، نقلا عن: الصحاح في اللغة والعلوم ، نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي (مادة نهج) .

([4]) البحث العلمي مناهجه وتقنياته ، محمد زيان عمر(– ، مطبعة خالد حسن الطرابيشي ، دط ، دت): 48 .

([5]) الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي جواد الحجّار(بيروت : مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1 ، 1432هـ–2011م): 22.

([6]) ينظر: نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام : 35/1 .، البحث العلمي مناهجه وتقنياته ، محمد زيان عمر: 33.

اللفظ ترجمة للكلمة "Méthode" الفرنسية ونظائرها في اللغات الاوربية الاخرى وكلها تعود في النهاية الى الكلمة اليونانية "Μέθοδοι" وهي كلمة نرى افلاطون يستعملها بمعنى البحث او النظر او المعرفة كما نجدها كذلك عند ارسطو احيانا كثيرة بمعنى (بحث) والمعنى الاشتقاقي الاصلي لها يدل على الطريق او المنهج المؤدي الى الغرض المطلوب»[1] .

لذا لا يلحظ انسجام دلالي بين المعنى اللغوي الذي يرتكز في مادته على (الوضوح) وما بين المعنى الذي قصده منظرو المنهج اصطلاحا، والذي يرتكز على معنى (البحث والنظر)، فالنّهج لفظ يستعمل في توصيف الامور الواضحة ومنها الطريق عندما يكون مكشوف المعالم للناظر، بيّناً واضحا؛ ولا يناسب هذا المعنى إلا (المنهاج) على ما جاء في التنزيل الحكيم –مر بيانه في المعنى اللغوي سابقا– والذي يبدو ان حصول الخلط سببه عدّ (منهج ومنهاج) شيئا واحدا، ولكنّهما لفظان متغايران من حيث الدقّة في المعنى والاستعمال.

فالمنهج في لغة العرب الامر الواضح أعم من ان يكون الطريق؛ وفي الترجمة يقرب من معنى (ما يُتوصّل به الى المطلوب) فيكون لفظ (منهاج) اقرب الى المفهوم الاصطلاحي المراد عند واضعيه (البحث والنظر)، ولكن معنى المنهاج يقرب من المعنى الاجرائي اي عدّه وصفاً لل(خطة المرسومة والبرنامج) الذي تم تنظيمه وإعداده قبل أي فعل تفسيري، ويكون صالحا للتطبيق والعمل على هديه لتحقيق المطلوب.

ولهذا «أضاف إلى (المنهاج) المعجم اللغوي العربي الحديث[المعجم الوسيط] معنى آخر، هو: (الخطة المرسومة) ولعله أفاد هذا من التعريف العلمي له أو من الترجمة العربية لكلمة Method الإنجليزية بسبب اشتهارها في الحوار العلمي العربي، وهي تعني، الطريقة، والمنهج، والنظام»[2] .

وكان للإضافات المتأخرة ورواج الاستعمال في المجالات العلمية: تأثيرٌ كبيرٌ في حصول الخلط بين الوضع في العربية وبين الوضع الاصطلاحي الوافد، لهذا مُيّز لفظ (منهج) فيما بعد بإضافة كلمة (علمي) لتأكيد مميزاته المستعملة في مجالات البحث[3]

([1]) مناهج البحث العلمي ، بدوي: 3 .، وينظر: البحث العلمي "مناهجه وتقنياته: 48 .

([2]) أصول البحث، الفضلي: ٤٩.

(3) ينظر: البحث العلمي "مناهجه وتقنياته ، محمد زيان : 48.

والنظر والمعرفة فضلا عن الوظائف الإجرائية التي يقدّمها: كترتيب وتنظيم المعلومات لغرض الوصول للحقيقة او المطلوب، وسياتي في الفصل القادم تفصيل ذلك .

وجاء في التعريفات ايضا: توصيف المنهج بمفهومه الاصطلاحي على انه (برنامج) و (مجموعة قواعد وخطوات منظمة) و(فن التنظيم) فأنها تقاربت في الدّلالة على: الجانب التطبيقي والتزام الضوابط الاجرائية في ادارة العمليات البحثية[1] .

ولا يرغب الباحث ان يستبق نتائج البحث ويرجح واحدا من التعريفات بما يخص موضوع البحث لان التعريفات الاصطلاحية للمنهج بمفهومه العلمي– الافرادي – لا ترتبط بعصب البحث الا بمقدار ما يحقق المدلول التركيبي الآتي.، غير ان نتيجة المناقشة المتقدمة تتلخص بـ: ان المنهج –بالمفهوم الاصطلاحي الوافد– يدور ما بين عدّه: وسيلة لتحقيق مطلب ووسيلة لكشف الحقيقة، وما بين عدّه معيارا لتحديد طرق وطرائق الباحثين في كيفية وصولهم للنتائج.

التفسير في اللغة:

التفسير من الفَسْر «وهو بيان وتفصيل للكِتاب، وفَسَره يفسِره فَسْراً، وفَسَّرَه تفسيراً»[2] فكلمة تفسير تدل على«بيانِ شيءٍ وإيضاحِه»[3] ، و«الفَسْرُ كشف المُغَطّى ... وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو تَفْسِرَتُه»[4] .

ويبدو انّ روح الفعليّة تسري في الكلمة مهما كانت صيغتها الصرفيّة.

انّ دلالة لفظ (إيضاح) يعني رفع الغموض وازالة الخفاء بالشرح والتفصيل، لذا عدّ الفيروزآبادي الفَسْر من«الإبانة، وكشْفُ المُغَطَّى، كـالتَّفْسيرِ»[5]، وبعبارة الرازي في المختار «الفَسْرُ: البيانُ ... والتفسِيرُ مثله»[6].

وتناول البعض مسألة أصل اللفظ أهو من فَسَر أم من أسْفَرَ ؟

([1]) ينظـر: البحـث العلمـي، محمـد زيـان: 46 .، اساسـيات المـنهج والخطـاب فـي درس القـران وتفسـيره، محمـد مصطفوي(بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ط1 ، 2009م): 24.

([2]) العين ، الفراهيدي: 247/7.

([3]) معجم مقاييس اللغة: 402/4.

([4]) لسان العرب: 5 /55.

([5]) القاموس المحيط: 1/ 483. ، تاج العروس: 323/13.

([6]) مختار الصِّحاح، الرازي: 287.

يقال: أسفر الصبح: إذا أضاء وهو بمعنى الكشط و الكشف ، والواضح[1] .

وذهب العلامة الراغب الاصفهاني الى ان (الفَسَر والسَفَر) يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما لكن جعل (الفسر) لإظهار المعنى المعقول ... وجعل (السفر) لإبراز الأعيان للإبصار ...[2] وعُمّقت المقاربة حتى قيل بان الفسر في الكشف المعنوي الباطني والسفر في الكشف المادي الظاهري[3].

ولا وجه للتحيّر في تعيين أصله؛ والتقارب المذكور في مادة اللفظين؛ لا يلزم منه اقحام معنى لفظ مختلف عن لفظ آخر في ترتيب حروفه ومن ثم توظيفه في الاستعمال، فهذا تصرّف في خصوصية الوضع، و «الأصلَ أن يكون للّفظةِ ترتيبُها»[4] إلا من باب صناعة المفهوم ، ومحلّه الاصطلاح لا المفاد اللغوي .

ويبدو أَنّ مدلول التفسير مأخوذ من (التفسّرة) وهو ما يظهر للطبيب في السوائل- بول او ماء- بما يستدل به على وجود مرض او علّة ما[5] لتصوره بان لفظ (فسر) يدل على كشف حقيقة الشيء بأمرٍ آخر؛ أي من باب الاستدلال بشيء على شيء، وهو اقرب لمعنى تعليل الظواهر وبيان الوجه والسر الكامن وراء المشكلات فيها.

فكل ما استغلق وغمُض وأُبْهِم فهو يحتاج الى تفسير، وحينئذ لا ينطبق الا على تبيين المشكل وكشف غرابته وغموضه ، لذا اختصّ «بمفردات الألفاظ وغريبها»[6] وبعبارة أخرى: «ان يكون في الكلام لبس وخفاء، فيؤتى بما يزيله ويفسره»[7]

واما من ذهب الى ان معنى التفسير هو (التفصيل) لما ورد عن «ابن عباس في قوله تعالى وأحسن تفسيرا أي تفصيلا»[1] فهو من معاني الإبانة والكشف او مصداق لهما .

([1]) العين: 246/7 ، لسان العرب: 4 / 367.، معجم الفروق اللغوية ، الحسن بن عبد الله بن سهل ابو هلال العسكري، تح: محمد ابراهيم سليم (القاهرة : دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، دط ، دت): 191.

([2]) ينظر: مقدمة جامع التفاسير، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تح: احمد حسن فرحات (الكويت : دار الدعوة ، ط1، 1405هـ-1984م) : 47.

([3]) ينظر: كتاب الكليات ، الكفومي: 1 / 809 ؛ مناهج تجديد ،أمين الخولي(دار المعرفة، ط1، 1961م): 271.

([4]) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار(المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط2، 1427هـ): 53.

([5]) ينظر: العين : 7/ 248؛ لسان العرب: 55/5 .

([6]) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد "الراغب الأصفهاني" (بيروت: دار القلم، ط1: 1412هـ): 192/2.

([7]) الكليات ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي: 392.

ويبدو ان ما افاده «ابن الأنباري: قول العرب فسرت الدابة وفسرتها إذا ركضتها محصورة لينطلق حصرها وهو يؤول إلى الكشف»[2] أقرب لمعنى (الشرح) من خلال تناول الامر من كل جهاته وجوانبه بالبيان والايضاح وذكر العلل والاسباب[3] فيكون أعمُّ من المعنى السابق (بيان المشكل) .

ولعلّ عبارة الزركشي في البرهان جمعت بين المعنيين المتقدّمين: «التفسير كشف المغلق من المراد بلفظه، وإطلاق للمحتبس عن الفهم به»[4] .

وعليه فان محصّلة المعنى اللغوي للتفسير: الإبانة والإظهار والكشف سواء أقتضى الشرح والتفصيل ام لا؛ حتى يرتفع الغموض والابهام والغرابة.

التفسير في الاصطلاح:

لم يكن لفظ التفسير بمفهومه الاصطلاحي رائجا في الاستعمال في عصر النزول بل اللفظ المستعمل هو (التأويل) إي ان «الكلام إنما يرجع ويعود ويستقر ويؤول إلى حقيقته التي هي عين المقصود به»[5] وارجاع الكلام الى قصد المتكلم هو غاية علم التفسير وهدف للمفسر على ان لايُفهم من ذلك بانهم قائلون بالترادف؛ بل يميزون بين التأويل والتفسير استنادا الى ورودهما في النص القرآني وخصوصا لفظ التأويل الذي ورد في مواطن عديدة وموارد متنوعة[6] والمؤلّفات في عصر بدايات التدوين اعتمدت لفظ (التأويل) بما يقرب من دلالة مفهوم التفسير عند المتأخرين كما يظهر ذلك في عباراتهم كمجاهد والطبري[7]

([1]) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم (الناشر : دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه ، ط1 ، 1376هـ - 1957م) : 2/ 148.

([2]) م ن : 2 / 147.

([3]) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: (مادة ش رح) ؛ مختار الصحاح: (مادة ش ر ح) .

([4]) البرهان في علوم القرآن: 2/ 147.

([5]) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تح: أنور الباز - عامر الجزار(الناشر: دار الوفاء ، ط3 ، 1426 هـ - 2005 م): 294/13.

([6]) ينظر: التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي (الناشر: مكتبة وهبة، ط7، 2000م): 1/14-15.

([7]) ينظر: التفسير الكبير ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام "ابن تيمية"، تح: عبدالرحمن عميرة (بيروت: دار الكتب العلمية، دط ،دت) : 108/2.، مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - ط3 ، 1362 هـ - 1943م): 2/ 5.

وهذا ما جعل البعض يذهب الى القول بالترادف[1] ، ولكن جملة منهم لم يساووا ما بين دلالة: الفَسْر والاَوْل؛ قال المفسر أبو جعفر الطبري (ت 310هـ) «وَأَنَّ تَأْوِيلَ جَمِيعِ الْقُرْآنِ عَلَى أَوْجُهٍ ثَلاَثَةٍ:

أَحَدُهَا: لاَ سَبِيلَ إِلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَهُوَ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ... مِثْلُ وَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ، ... وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: مَا خَصَّ اللَّهُ بِعِلْمِ تَأْوِيلِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دُونَ سَائِرِ أُمَّتِهِ، وَهُوَ مَا فِيهِ مِمَّا بِعِبَادِهِ إِلَى عِلْمِ تَأْوِيلِهِ الْحَاجَةُ، فَلاَ سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى عِلْمِ ذَلِكَ، إِلاَّ بِبَيَانِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ تَأْوِيلَهُ.

وَالثَّالِثُ مِنْهَا: مَا كَانَ عِلْمُهُ عِنْدَ أَهْلِ اللِّسَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ ، وَذَلِكَ عِلْمُ تَأْوِيلِ عربيته وَإِعْرَابِهِ، لاَ تَوَصُّلَ إِلَى عِلْمِ ذَلِكَ إِلاَّ مِنْ قِبَلِهِمْ»[2] فما ذكره من الوجوه يقرب من دلالة مفهوم (تفسير) في الاصطلاح عند المتأخرين .

ويذهب الدكتور نصر حامد ابو زيد(ت 2010م) الى ان علماء المسلمين منذ القرن الرابع الهجري تقريبا درجوا على تفضيل مصطلح (التفسير) على مصطلح التأويل[3] في حين صارت تغيرات وتطورات دلالية على مفهوم التأويل، فتناوله كل اصحاب تخصص في العلوم آلاليّة والشرعيّة بما يناسب اغراضهم إما توجيها لدلالته الاصطلاحية في العلم او بغية فهم دلالته في القرآن الكريم!.

فلم يسلم مفهوم التأويل من التأثير المذهبي والمسالك المدرسية الى مستوى انهم اختلفوا في دلالته بل تعمق الخلاف بينهم حول موارد جواز استعماله في بيان آيات القران الكريم، وبدى عليه شائبة الالتصاق بالفكر المذهبي كالباطنية وغيرهم. وصار يُتَعامل مع التأويل بحذر، وحُكِم على جملة من نِتاج أصحاب التأويل بالذم[4] فتسيّد مصطلح التفسير لقلّة الإشكالات المثارة حول مفهومه مع إمكانية المعالجة والتنقيح.

([1]) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 149/2. ، التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي: 15/1.

([2]) جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي (دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1422،1هـ-2001م): 88/1.

([3]) ينظر: الخطاب والتأويل ، نصر حامد ابو زيد (بيروت: المركز الثقافي العربي، ط 3: 2008م): 176.

([4]) ينظر: الميزان في تفسير القران، محمد حسين الطباطبائي ، تح: اياد باقر سلمان ، قدم له كمال الحيدري (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ط 1 : 1427هـ-2006م): 1 / 5-13؛ التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي : 15/1-16؛ المبادئ العامة لتفسير القران الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد حسين الصغير (بيروت: دار الحكمة

ولا علاقة للدراسة في تناول مفهوم التأويل وطرح الآراء حوله لأنه استطراد لا تترتب عليه فائدة للبحث، وما تقدّم من بيان حول مفهومه كافٍ لما اقتضاه الحال.

يوجد لمصطلح التفسير تعريفات كثيرة، عرّفه كل متخصص من زاويته، فاختلفت من ناحية الصيغة ومن ناحية المضمون النظري والاجرائي، وهذا الاختلاف يعزى سببه للمحاولات الاجتهادية في تحديد مفهومه.

لذا قيل: ان الوضع في اللغة يكاد ان يكون توقيفيا إذ ليس بالمقدور التحرّك بعيدا عن الاصول اللغوية، أمّا على صعيد الاصطلاح فيبدو من الصعب وصد باب الاجتهاد والتأسيس خاصة في علم مفتوح كالتفسير، من دون إهمال للجهود المتراكمة وما توافرت عليه من ثمرات[1].

وبناء على ما تقدم أستعرض بعض التعريفات التي لها رواج في التداول لأهميتها العلميّة وأثرها في صياغة تعريفات أخرى ومن ثم المناقشة. فمنها:

1- عرفه الطبرسي : «كشف المراد عن اللفظ المشكل»[2] .

2- عرّفه أبو حيان الأندلسي: «التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب، وتتمات لذلك»[3] . وشرح (ابوحيان) تعريفه المذكور كالاتي:

«فقولنا علم هو جنس يشمل سائر العلوم. وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو علم القراءات. وقولنا ومدلولاتها أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم. وقولنا وأحكامها الإفرادية والتركيبية هذا يشمل علم التصريف وعلم الإعراب وعلم البيان وعلم البديع. وقولنا ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب يشمل ما دلالته بالحقيقة، وما دلالته بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا،

للطباعة والنشر ، ط 2 ، 1439هـ – 2018م):20-23 ؛ الخطاب والتأويل ، نصر حامد ابو زيد:175-176.، مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني، ستار جبر حمود الاعرجي(المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، العتبة العباسية المقدسة، ط1 ، 2017م – 1438هـ): 136.

([1]) ينظر: فهم القرآن، دراسة على ضوء المدرسة العرفانيّة، جواد علي كسار (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، ط2 ،2010م): 98/1.

([2]) مجمع البيان في تفسير القران، الفضل بن الحسن الطبرسي (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1، 1415هـ – 1995م): 1/ 39.

([3]) تفسير البحر المحيط ، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي ، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض ، وآخرون (بيروت: دار الكتب العلمية ،ط1، 1422هـ – 2001م): 1/ 121.

ويصد عن الحمل على الظاهر صاد، فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر وهو المجاز. وقولنا وتتمات لذلك" هو مثل معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما أبهم في القرآن، ونحو ذلك»[1].

وعرفه بدر الدين الزركشي: «هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها، ثمّ ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها. وزاد فيها قوم علم حلالها وحرامها ، ووعدها ووعيدها ، وأمرها ونهيها ، وعبرها وأمثالها»[2] .

واورد السيوطي تعريفا لم ينسبه لاحد يقرب من التعريف السابق مع تغيير في بعض العبارات: «وقال بعضهم : عِلمُ نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكِّيِّها ومدنيِّها، ومُحْكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصِّها وعامِّها، ومطلقها ومقيَّدها، ومُجْمَلها ومُفسَّرها، وحلالها وحرامها، ووعْدِها ووعيدها، وأمْرها ونَهْيها، وعِبَرها وأمثالها»[3] .

وعرّفه ايضا الزركشي في البرهان: «التفسير [علم يعرف به فهم] علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه ، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان، واصول الفقه ، والقراءات ، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ»[4] .

3- وعرفه الشريف الجرجاني: «وفي الشرع: توضيح معنى الآية، وشأنها، وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالةً ظاهرة»[5] ، وعرفه في الحاشية على الكشّاف: «علم يبحث فيه عن أحوال كلام الله المجيد من حيث دلالته على مراده»[6] .

([1]) تفسير البحر المحيط: 1/ 121.

([2]) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 148/2.

([3]) الإتقان في علوم القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر الأسيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي ، تح: مركز الدراسات القرآنية (الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، سنة النشر: 1426 هـ): 2264/6. ، ذُكِر في حاشية هذه النسخة من الكتاب بان التعريف للزركشي ولكن السيوطي جمع في التعريف ما ذكره الزركشي وغيره.

([4]) البرهان في علوم القرآن: 13/1.

([5]) معجم التعريفات ، الجرجاني : 57.

([6]) الحاشية على الكشاف ، علي بن محمد بن علي الجرجاني (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم – خلفاء ، الطبعة الأخيرة، 1385هـ – 1966 م) : ١٥.

وقد وَهِمَ من نسب هذا التعريف الى الزمخشري[1].

4- وعرفه محمد الزرقاني: «علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية»[2].

5- وعرفه الطّاهر ابن عاشور: «هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع»[3].

6- وعرفه محمّد حسين الطباطبائي: «هو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها»[4].

7- وعرفه محمد باقر الصدر: «هو علم يبحث فيه عن القران الكريم بوصفه كلاما لله تعالى»[5] .

(المناقشة)

زوايا النّظر مختلفة في انتقاء (مفردات) نُصوص التعريفات: الكاشفة عن خصائص وصفات المفهوم من حيثية دلالته النظرية ودلالته الاجرائية مع تفاوت -النُّصوص- بحيثيتي المُتعلّق: (المكشوف، وما به الكشف) وبعبارة اخرى: ان بعض التعريفات الاصطلاحية تعلّقَ مضمونها النظري ببيان ما ينبغي ان يُعلم. وبعضها الاخر تعلق مضمونها الاجرائي ببيان ما ينبغي ان يُعلم ويُعمَل.

ذهب بعضهم الى بيان حقيقة التفسير عبر ذكر فائدته من بين العلوم وتحديد الثمرة الطيّبة المباركة على وجوده وهو كشف وبيان وتوضيح معاني آيات القران الكريم أي ان حقيقة مفهومه تُعرف بمعرفة المتعلق: المكشوف (النّص القرآني). وحينئذ يصدق المفهوم على تحقق كل بيان عن الآيات الشريفة.

وذهب بعضهم الى بيان حقيقة التفسير عِبر ذكر وسيلة الوصول الى الثمرة والفائدة؛ أي متعلق الحيثية الإجرائية بما به يتحقق كشف النّص، فمعرفة ذلك يحدد الاصطلاح

([1]) ينظر: فهم القرآن ، دراسة على ضوء المدرسة العرفانيّة ، جواد علي كسار: 1/93-94.

([2]) مناهل العرفان في علوم القرآن ،الزرقاني: 3/2.

([3]) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور: 1/ 11.

([4]) الميزان في تفسير القران، محمد حسين الطباطبائي: 5/1.

([5]) المدرسة القرآنية ، محمد باقر الصدر(مكتبة سلمان المحمدي : بغداد، ط1، 1434هـ-2013م): 298.

ويخصصه بما ينبغي فعله (الوظيفة التطبيقية للمفسّر) وما ينبغي معرفته من الأدوات والوسائل والمعايير المنهجيّة التي بدونها لا يصدق على النتائج بانّها تفسير.

وبالرغم من اختلاف زوايا النّظر ألا أنّ «الحصيلة العلمية واحدة من التفسير وان عبّر عنها بشكل او بأخر»[1] وهو تحديد مفهومه في ضوء ما به الكشف والبيان والمكشوف المُبَيّن.

ومن غير المنطقي الحكم على ما يُستظهر من عموم التعريفات بانّها تشير الى الابانة والكشف عن مراد الله فقط؛ فيُفَهم بانّ المدلول الاصطلاحي امتداد للدلالة اللغوية فحسب، بل إنّ ثمّة تصورات عديدة تكتنزها الحقيبة التعريفية للتراث المعرفي النّاتج عن حركة التفسير منذ نشأته وحتى عصرنا الحاضر، وما طرأَ عليه من متغيرات وتطورات بمرور الزمن من الناحية الأفقية: من خلال تزايد مسائله وتكثّر مدوّناته، واما من الناحية العموديّة فمن خلال رصد الترقي العلمي ورصانة الفكر في التنظير لقواعده واصوله ومناهجه.

فموارد التصوّر لتغذية المفهوم بالصفات والخصائص لتحديد حقيقته؛ كثيرة ومتنوعة.

تناول العلماء والباحثون مسير التفسير وما طَرأَ عليه من متغيرات وتطورات بتقسيمها الى مراحل واطوار بلحاظ التأسيس؛ والتدوين؛ والتأصيل وغيرها[2] .

وعبارات نصوصهم يستظهر منها رواج لفظ تأويل اكثر من لفظ التفسير* ولكن بمدلوله الاصلي اي من تأويل الكلام وهو «رد وارجاع معانيه الى اصلها الذي تحمل عليه ويجب ان تنتهي اليه»[3]. وبعد حصول متغيرات دلالية في مفهومه تزامنا مع تسيد مصطلح تفسير، وتوجّه المفسرين والعلماء في عصور التأليف والتنظير الى تحديد المفاهيم الخاصّة بعلوم القران كل ذلك أثّر على تحديد مفهوم المصطلحين.

لذا تقاربت تعريفات التفسير والتأويل واختلفت الاقوال فيهما ما بين توظيف مدلولات التأويل لمفهوم التفسير وما بين تقديم نظريات عن مفهوم التأويل ومحاولة تمييزه عن التفسير! .

([1]) المبادئ العامة لتفسير القران الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد حسين الصغير: 19.

([2]) ينظر: التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي : 1/104- 108 ؛ أصول التفسير وقواعده، خالد عبدالرحمن العك: 32-34.

(*) وهو امر يدرك بالتتبع والملاحظة في منتجات القدماء والمتقدمين من المفسرين والمؤلفين .

([3]) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ، صلاح عبد الفتاح الخالدي: 26.

وذهب بعض الى استعمال مصطلح تفسير في خصوص المنقول من الاخبار المُبيّنة للآيات؛ اي فيما كان «مقصور على الاتباع والسماع، .... [فـ]ما وقع مبينا في كتاب الله ومعينا في صحيح السنة سمى تفسيرا لأن معناه قد ظهر ووضح وليس لأحد أن يتعرض إليه باجتهاد ولا غيره بل يحمله على المعنى الذي ورد لا يتعداه »[1].

ويقابله التأويل ويتعلق بالدراية وهو «ما استنبطه العلماء العاملون لمعاني الخطاب الماهرون في الآت العلوم»[2].

قال الجرجاني في الحاشية على الكشاف «وينقسم [التفسير] إلى تفسير وهو مالا يدرك إلا بالنقل كأسباب النزول والقصص فهو ما يتعلق بالرواية، وإلى تأويل وهو ما يمكن إدراكه بالقواعد العربية وهو ما يتعلق بالدراية، فالقول في الأول بلا نقل خطأ، وكذا القول في الثاني بمجرد التشهي وإن أصاب فيهما، وأما استنباط المعاني على قوانين اللغة فمما يعد فضلا وكمالا»[3] .

ولا يكاد يُجزم برأي واضح حول أسبقية توظيف أي المصطلحين، والآراء في ذلك عديدة فمنها؛ استعمل جمهور المتقدمين من المفسرين –ممن لهم ميل للعلوم العربية– اللفظين بمعنى واحد (مترادفين)[4] ؛ ومنها : ان لفظ التأويل كان مستعملا عند اكثر المتقدمين في توصيف مفهوم التفسير بما يقرب من دلالته عند المتأخرين اي العمل بالتأويل والاستنباط استنادا الى اتقان العربية والاعراب واساليب اللغة واعتماد الادلة الصحيحة: العقلية والشرعية، واما مصطلح التفسير فحقيقته ما كان بالأثر الصحيح والنص الصريح عن النبي (صلى الله عليه وآله) والائمة (عليهم السلام)[5].

وغيرها من الآراء التي أثّرت في سباكة مفهوم التفسير وصياغة تعريف المصطلح عند المتأخرين في محاولة لتقديم تعريف جامعا مانعا، فنجد بعض التعريفات تذهب الى عدّ التفسير هو بيان معاني الآيات القرآنية، بينما بعض التعريفات تذهب الى أكثر من هذا

([1]) الإتقان في علوم القرآن: 6/ 2264.

([2]) الإتقان في علوم القرآن: 461/2. ، ينظر: التفسير والمفسرون للذهبي: 1/ 9.

([3]) الحاشية على الكشاف: 15.

([4]) ينظر: علوم القران عند المفسرين ،مركز الثقافة والمعارف القرآنية (قم: مؤسسة بوستان كتاب، ط2 :1428هـ): 210/3–2211؛ مناهج المفسرين من العصر الأول الى العصر الحديث ، النقراشي : 15/1 ؛ تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ، الخالدي: 27.

([5]) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي: 1 /3–5. ، مجمع البيان ، الطبرسي: 1 / 38–39.

وهو كشف المراد، وهذا يعني ان الدلالة الاصطلاحية لمفهوم التفسير اخذت تتوسع وتشمل دخول اي بيان تبلغه ادوات المفسر!

ان مصطلح التفسير لم يضعه الشارع ويُقنّن له مثل كثير المُسميَات في العبادات ، وانما ظهر في العقد الذي تلى رحيل خاتم الانبياء (صلى الله عليه واله) ولم يتضح للباحث تحديدا متى كان ذلك على نحو الدقّة، لاختلاف الآراء دون الاعتماد على مستندات واضحة في دلالتها، نعم : اشار بعضهم الى بدايات القرن الرابع الهجري او بدايات عصر التدوين للتفسير بما هو مصطلح اعتمد بديلا عن مصطلح التأويل[1] .

وان التعويل على الاخبار المنسوبة للنّبي الاكرم (صلى الله عليه واله) حول ذكره للفظ (التفسير) في كلامه الشريف فضلا عن ان يقصد النبي (صلى الله عليه واله) دلالة (التفسير) الاصطلاحية ؛ فهي–الروايات– لا تخلو من اشكالات في السند والدلالة[2]

وما ورد في القران الكريم من لفظ (التفسير) في قوله تعالى: {وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [(33)/الفرقان] ، جاء بمعنى: التفصيل[3] ولو كان اللفظ له علاقة بفهم القران لاستعمله النبي الاكرم ولَصحتْ في شأنه الاخبار.

وكل من حاول توظيف الآية مُعمّدا بها رأيه حول مفهوم التفسير الاصطلاحي يعتبر تعسّف ولَيّ لعنق النّص.

يبدو ان بدايات استعمال مفهوم التفسير كان يلازم حديثهم عن: (الغريب والمشكل) في القران الكريم، فيكون اصل الاستعمال هو لما (غرب واشكل وغمض) وهذا ما عليه تعريف الطبرسي وشواهد الاستعمال لدى المتقدمين وعناوين مؤلّفاتهم خير شاهد[4] .

([1]) ينظر: الخطاب والتأويل: 176.

([2]) ينظر: بحوث في منهج تفسير القران ، محمود رجبي (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، ط1 ، 2007م): 42. ، نصوص النهي عن التفسير بالرأي بين الاعتبار والمدلول ، سعيد نورا، مصطفى مهدوي، موقع نصوص معاصرة – مركز البحوث المعاصرة في بيروت: رابط الموقع: http://nosos.net /

([3]) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن الطبري :267/19. ، واختار الطوسي في التبيان، 7 /489 ، التفسير: (أجود معاني) ، بينما اختار الطبرسي ، 7 /296 : (بيانا وكشفا) ، ويظهر تأثير توسع اللغة على اختيار الطبرسي لأنه يعد متأخرا عن الطبري والطوسي ، ولو كان المراد البيان والكشف لتناوله الطبري والطوسي ، وللسياق حاكميته في توجيه المعنى المناسب ولا يخفى ان ما اختاره الطبري اقرب لفضاء السياق وجوّ الآية .

([4]) ينظر: تفسير غريب القران ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ) تحق: أحمد صقر (الناشر: دار الكتب العلمية ، 1398 هـ – 1978 م)، والمؤلّف ميّز بين استعمال لفظ التفسير للغريب والمشكل للتأويل فله مؤلّف سبق الغريب اسمه (تأويل مشكل القران) على ما ذكره في مقدّمة كتابه: ص3، وهذا يعدّ من اجلى صور التمييز بين

وكلّما تقدم الزمان زاد النّص غرابة لدى الاجيال الحديثة، ويدخل في جدليّة الثابت والمتغير مع متغيرات ثقافة كل مجتمع وعصر وتبدل الوسائل والاليات في الفهم والاستنباط، فكانت حركته الممتدّة: من بعد رحيل النبي الاكرم والى يومنا، قد تراكم خلالها كم كبير من النظريات والآراء في كيفية فهم القران والتعبير عن هذا الفهم بما يجعله منسجما مع الخطاب واهدافه دون تحميل او اجتهاد يقابل النص .

انّ اعتماد المدلول اللغوي للفظ التفسير وجعله المنطلق في رسم الكيفية العلمية والتطبيقية لبُعده الاصطلاحي فتح أفاقا للتوسّع في الآراء التي لا تخلو من المبالغة والتعقيد في تصور مفهومه، حتى بالغ البعض في الاستلهام من مفردة (تفسير) ليتناول المستويات الدلالية: الصوتية والمعجمية... في بناء المفهوم ، لما يكتنزه وزن اللفظ من معاني: المبالغة والتكثير والتكرار والتقوية ، فـ(التفعيل) يستبطن معنى المبالغة مما يستلزم استفراغ الوسع وبذل الجهد في عملية الكشف والابانة[1] .

وهذه الآراء محترمة ولكنّها لا تخلو من افراط في التنظير!، اذ ان القران الكريم ندب النّاس للاهتداء بنوره وان السبيل الى فهم القران لا يحتاج سوى الى التدبر، لأنه مبين وبيّن بنفسه بل لا يكون هدى للناس ما لم تتوافر فيه امكانية فهمه ويُسر استيعابه.

لقد ولد لفظ (التفسير) بسبب الحاجة للتعبير به عن كشف الغموض وبيان المشكل الذي يواجه القارئ والدارس في كتاب الله العزيز ، وهو تعبير ابتكره البشر وليس الشرع حتى يغاص في مدلوله ويطلب تحديد مفهومه ومصداقه بما يطابق مراد المُشرع، فهو «عمل بياني بشري، يُقرب معاني المفسَّر إلى المتلقين، باعتماد متواليات منهجية، توصل إلى كشف المراد، وتكسبه قوة ومسؤولية، تمكنان من ترسيخ نتائجه والإقناع بها»[2] .

الاصطلاحين؛ وان استعمالهم للتأويل يختلف عن التفسير ؛ وينظر: نزهة القلوب لابي بكر السجستاني (ت 330هـ – تقريبا)؛ تفسير المشكل من غريب القران لمكي بن ابي طالب القيسي (ت 437 هـ) ؛ وبحوث في منهج تفسير القران لمحمود رجبي: 24.

([1]) ينظر: تفسير القرآن بالقرآن: دراسة في المفهوم والمنهج، سعاد كوريم (أصل هذا الموضوع بحث مقدم لمؤتمر مناهج تفسير القرآن الكريم وشرح الحديث الشريف الذي نظمته كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بماليزيا في تموز (يوليو) 2006م): 78–82 ؛ قراءة تطورية في مفهوم التفسير، عمر حيدوسي، مجلة الإحياء ، العدد الرابع عشر(1431هـ – 2010م): 389–392. ، بحوث في منهج تفسير القران ، محمود رجبي: 16.

([2]) تفسير القرآن بالقرآن: دراسة في المفهوم والمنهج ، سعاد كوريم : 82.

والذي يميل اليه الباحث: ان مفهوم التفسير هو اصطلاح أُعتُمِد لدى علماء الاسلام في وقت متأخر عن زمن نزول القرآن الكريم.

وبعض التعريفات ركزت على دور المنقول من: اسباب النزول والمكي والمدني والناسخ والمنسوخ ... بينما بعض التعريفات ركزت على كشف (المراد)؛ لان ثقافة المفسر اصطبغت بالمنهج البحثي، فالمفسر يبحث عن مراد الله وعن مقاصد النصوص القرآنية فخُلط بين التفسير والبحث التفسيري.

ان التوسع في دلالته: من البحث في المفردات الغريبة والغامضة الى البحث فيما وراء الدلالة اللفظية المعجمية (المعنى اللغوي)؛ ليبحث عن قصد القائل وما يريده (الاستعمال الجدّي) بل ذهب البعض الى ادعاء المعاني الباطنيّة معضدين ذلك ببعض الاخبار والكشف الما ورائي، فهو محور التطور لمفهوم علم التفسير الذي اتسعت دائرته لتشمل الغريب والمشكل والمنقول والاجتهاد والكشف ...

بينما يرى البعض ممن له ميل الى المنقول الى التقيّد بالمدلول اللغوي في بناء مفهومه فحدود الكشف فيما «كان فيه بيانٌ؛ فهو تفسيرٌ، وما كان خارجًا عن حدِّ البيانِ؛ فإنَّه ليس من التَّفسيرِ وإن وُجِدَ في كتبِ المفسِّرين. وبهذا الضَّابطِ يمكنُ تحديدُ المعلوماتِ التي هي من التَّفسيرِ، وليس بلازمٍ هنا أن يُذكرَ كلُّ ما هو من التَّفسيرِ، لأنَّ المرادَ ذكرُ الحدِّ الضابطِ، وليس ذكرَ منثوراتِ هذا البيانِ ، وبهذا فتخصيصُ العامِّ بيانٌ، وتقييدُ المطلقِ بيانٌ، وبيانُ المجملِ بيانٌ، وتفسيرُ اللفظِ الغريبِ بيانٌ، وذكرُ سببِ النُّزولِ بيانٌ، وكلُّ ما له أثرٌ في فهم المعنى بيانٌ، وهو التَّفسيرُ»[1] .

بينما ذهب بعضهم الى توصيف التفسير: (علم يبحث في كلام الله عزوجل)، وحينئذ ستكون وظيفة المفسر الحفر في ارض النص القرآني لاستنباط ما امكنه وبهذا يعدّ التفسير من العلوم الاليّة؛ يُستعان به في البحث –أعم من بيان المعاني او الكشف عن المراد.

ثانيا: الصورة المركبة:

بعد ان بيّنتُ معنى ومفهوم كل من المنهج والتفسير تمهيدا لتعريف اللفظ بصورته المركبة (المناهج التفسيرية).

([1]) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر ، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار: 64-65.

أقتضى استعراض التعريفات التي وردت في مؤلفات المناهج التفسيرية، ولكن تعدّ هذه خطوة استباقية لا تصحّ منهجيا!، إذ إن موضوع تعريف مناهج التفسير يعدّ أحد موضوعات مشكلة البحث التي يراد مناقشته وابراز وجه الاشكالية في قضاياه، فتحديد التعريف المُختار يعتبر اعطاء نتيجة من نتائج البحث وهذا لا يعد منطقيا؛ فكيف تسبق النتيجة مقدماتها؟! وعليه؛ سيتم استعراض التعريفات في الفصل الاتي، ومناقشتها ثم بيان وجه الاشكالية فيها ليتم بعد ذلك تقديم معالجة يكشف فيها عن الاصطلاح المناسب وتعريفه.

والقول في توصيف دلالة الاصطلاح التركيبي:

هو عنوان كاشف عن (المؤلفات والبحوث) التي تناول كاتبوها الكلام عن المناهج والاتجاهات والاساليب وما يرتبط بها من مفاهيم توصيفية وتصنيفية كالطريقة واللون والنّزعة والمدراس والمذاهب ضمن إطار علم التفسير والمناهج.

وحتى يتضح القصد من (المناهج التفسيرية) في عنوان البحث لابد من بيان ما يختزنه هذا العنوان من دلالات تعبّر عن نطاق البحث ومجاله وذلك في ثلاثة امور:

الاول: المناهج التفسيرية بما هي علم وفن له موضوعه ومبادئه ومسائله.

الثاني: المناهج التفسيرية بما هي توصيف لطرق المفسرين –اعمٌ مِنْ توصيفها: قبل الشروع او بعد الشروع– وبما هي مفهوم يصف ويصنف ويُحكم به على النموذج المعرفي للخطة التفسيرية وعلى منهاج المفسر الذي يُكشف عنه في تفسيره.

الثالث: بما هي وصف للمدونات والمؤلفات التي تناولت (مناهج التفسير والمفسرين) وما يرتبط بهما من مفاهيم اخرى كالاتجاه والاساليب واللون والنزعة والمدارس ...الخ، سواء كانت تلك المؤلفات بذلك العنوان او انها تضمنت على مباحث طرق المفسرين والمناهج كمؤلفات علوم القران.

وهذه الامور هي دائرة البحث وحدوده وميدانه. وسياتي مزيد من التفصيل حول مفهوم المناهج التفسيرية وصور استعمالاته في المباحث اللاحقة.

المبحث الثاني: المسار التاريخي لظهور مؤلفات المناهج التفسيرية

النص القرآني هو كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد (صلى الله عليه وآله) المنقول الينا بالتواتر، والمحفوظ بما لا يتطرق الى قوالبه اللفظيّة اي تبدّل او تغيير يفقده سلامته الدلاليّة، او ينقض من حقيقة وحدته الموضوعية وترابطه العضوي. ويظهر هذا من توصيف الكتاب العزيز لنفسه من اوصاف ونعوت تثبت ان لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا؛ بل هو هدى ونور وضياء وفرقان ...

ولا شك ان رسالة النبي الاكرم محمد (صلى الله عليه واله) هي خاتمة الشرائع، وقد توافرت على مميزات تجعلها صالحة لكل زمان ومكان، وسرّ ذلك؛ هو الاستمداد من المعجزة الكبرى للنبي الاكرم (صلى الله عليه واله) (القران الكريم) الذي هو المعين الذي لا ينضب والحبل الممدود من السماء الى الارض.

لم يواجه اهل عصر النزول مشقّة كبيرة في تلقي الخطاب القرآني؛ لما لديهم من مؤهلات لاستيعاب صيغة الكلام الالهي المُنَزّل عليهم ببركة النّبي الاكرم[1] ، ولكن بعد رحيل النبي الاكرم وانقطاع الوحي برزت على الساحة الثقافية وقتذاك إشكاليات عديدة حول توجيه بعض النّصوص القرآنية وابتداء عصر التأويل*.

ومع ظهور الصراعات الاجتماعية والسياسية الداخليّة بين الصحابة –بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه واله) –اشتدت الحاجة الى التنظير؛ فكان مرجعهم في حل الخلافات: الاحتكام الى النص القرآني وما شهدوه من فعل رسول الله (صلى الله عليه واله) وحفظوه

([1]) ينظر: أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي، مساعد مسلم عبد الله آل جعفر(بيروت : مؤسسة الرسالة ،ط1 ، 1405–1984م): 53 .

(*) ويبدو ان الممارسة التأويلية(بدلالته المقاربة للتفسير) لم تكن رائجة في عهد النبي الاكرم (ص) ففي عصر تنزيل القران الكريم كان النّبي (ص) مُبلّغا ومبينا لهم ما ينزل عليهم – اعم من كونه ناقلا لخبر السماء– وما يؤكد كون الممارسة التأويلية تحققت بعد رحيله (ص) هو ما ورد في المأثور (عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانقطعت نعله فتخلف "علي" يخصفها فمشى قليلا ثم قال : « إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله » فاستشرف لها القوم ، وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، قال أبو بكر : أنا هو ، قال : « لا » قال عمر : أنا هو ، قال : « لا ، ولكن خاصف النعل » – يعني عليا – فأتيناه فبشرناه ، فلم يرفع به رأسه كأنه قد كان سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم– اسناده صحيح) : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون (بيروت : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، دط، دت): 17/390–391 ؛ 18/295–296.، فروع الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (بيروت: دار المرتضى، ط1: 1428هـ–2007م): 5/777.

من اقواله وتوجيهاته وطريقته في مواجهة الازمات والمواقف، ثم امتدت يد الخلاف والاختلاف الى القضايا الشرعية والعقائدية بنحو كبير جدا وكلٌّ يبرر لموقفه من الكتاب العزيز وما سمعه من النبي الاكرم او ما علمه عن طريق يثق به[1].

ومعلوم ان الصحابة ليس جميعهم على مستوى واحد في العلم غير انهم كانوا يدركون اهمية سنّة النبي الاكرم (صلى الله عليه واله) فحرص كثير منهم على ان يكون مرجعهم الاول في التفسير للقران هو بيان النبي وما علق في اذهانهم من طريقته في التعلّم والتعليّم[2].

ومع تصاعد الخلاف حول المسائل والقضايا المذهبية والعقائدية والسياسية ...الخ؛ اشتدت الحاجة الى ضرورة معرفة موقف الكتاب العزيز منها بما يكشف عن الموقف الشرعي؛ وهذا بطبيعة الحال يقتضي الصدور عن حجّة مُلْزِمة وبرهان داعم ، فوظّفت كل الامكانيات المتاحة في الفهم والبيان لأجل ذلك، ابتداء من القراءات وتصحيحها واسباب النزول وما ورد عن النبي(صلى الله عليه واله) من روايات تبيّن جملة من الآيات وتفسيرها* ، وتتبع اساليب العرب في المحاورة والتفاهم.

وكان لدخول الثقافات الدخيلة وتأثر علماء العرب بعلماء اليونان وغيرهم ورواج الترجمة ودخول فنون متنوعة كالمنطق والفلسفة وتأسيس علم اصول الفقه ورواجه دور كبير في فهم النص المقدّس وتبيّينه، فنتج عن ذلك الكثير من البيانات التفسيرية والتأويلية؛ منها ما أدرج في مدونات الحديث ومنها عدّ من المؤلّفات في غريب ومشكل القران وبيان المعاني، مما يؤكد صيرورة النّص القرآني مادة دراسية بحثيّة تتطلب جهدا واجتهادا في تفسيره.

وبعد ان بدأت مرحلة الاهتمام بتدوين كتب التفسير ووصول بعضا منها الى زماننا كان يظهر على جملة منها الاهتمام بالمنقول عن النبي والعترة الطاهرة (عليهم السلام) وما روي عن علماء الصحابة والمهتمين منهم بالتفسير والتأويل، وكذلك ما ورد عن مفسري التابعين من دون ان يذكر المفسر رأيه بل يتحرج دون ان يركن الى خبر صح عنده.

([1]) ينظر: علم التفسير "كيف نشأ وتطور حتى وصل الى عصرنا الحاضر"، عبدالمنعم النمر (القاهرة : دار الكتاب المصري ، ط1، 1405هـ- 1985م): 81.

([2]) ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي: 1/29-30؛ علم التفسير "كيف نشأ وتطور حتى وصل الى عصرنا الحاضر"، عبدالمنعم النمر: 37-53.

(*) ان جاز وصحّ بتسميته تفسيرا.

وان استغلق عليه فهم او بيان آية لجأ الى لغة العرب وما يرجع الى تنوع السنتهم، وما يثبت له من المسموع او المقاس مستندا في جواز اللجوء الى اللغة بما صحّ من طرق عن الصحابة بجواز التفسير اعتمادا على اللغة ولهجات العرب، ولعل كتاب تفسير أبو جعفر الطبري: (جامع البيان في تأويل آي القرآن) يعكس صورة المنهاج التفسيري للمتقدمين، ولهذا تنوّعت التفاسير واختلف المفسرون في طرقهم، وكل مفسر ينطلق من الاغراض التي لأجلها يدوّن تفسيره.

وقد رصد جملة من المتقدمين تلك الخبرات لبعض المفسرين عبر دراسة تفاسيرهم فاختلفت آراؤهم وتنوعت بتنوع الموضوعات التي أهتموا بها كمفهوم التفسير ومفهوم التأويل وأحسن طرق التفسير وما يتعلق بطبقات المفسرين... دون شيوع لفظ (المنهج التفسيري) او (منهج المفسر) عندهم.

ولم يرد هذان المصطلحان في كلماتهم ولا في مؤلفاتهم وانما الملاحظ ورود ما يشير اليهما من تعابير ومعاني تقرب من لفظيهما في مقدمات التفسير ومؤلفات علوم القران.

وعند الرجوع الى كيفية تعبيرهم عن (المناهج والاساليب والاتجاهات والنزعة واللون ... الخ) وهل كانت لهم مؤلّفات في خصوص ذلك؟

يظهر بانهم كانوا يعبرون عن تلك المفاهيم بما يقرب من دلالتها؛ فاستعملوا (طرق و مذاهب) في كتب التفسير إما في المقدّمة والديباجة وفي ثنايا الشروح او في مباحث التفسير من مدوّنات علوم القرآن[1] وكان أكثر كلامهم حول الاصول المرجعية في فهم القران وتفسيره، وعن صحة اعتماد الاستنباط وجوازه وحدوده، وعن تقييم التفاسير من حيثية المنقول والعلوم والفنون المعتمدة لدى المفسرين، ولهذا تطرّق (العلامة السيوطي) الى مفهوم (الاتجاهات) دون ان يصطلح عليها بهذه التسمية وانما وصف خصائص الاتجاه بمفهومه الحديث[2] . ويرى البعض ظهور المشيخة والتلمذة في عصر التابعين

([1]) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي: 1 / 2- 5.، البرهان في علوم القرآن، الزركشي : 2 /156.، مقدمة في اصول التفسير، ابن تيمية: تقي الدين احمد بن عبد الحليم، تح: عدنان زرزور (... ط2 :1392هـ-1972م) :93.، منهج الفرقان في علوم القران ، محمد علي سلامة، تح: محمد سيد احمد المسير(نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1 ،2002م): 2/ 22-24 ؛ المدخل لدراسة القرآن الكريم ، محمد محمد ابو شهبة (الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع ، ط3، 1407هـ-1987م): 35.

([2]) الإتقان في علوم القرآن: 4/ ٢٤٣.

بما يقرب من مفهوم المدرسة[1] ، فثمّة ما يمكن اطلاق اصطلاح مدرسة عليه ظهرت في العديد من البلاد الاسلامية[2] ، تعلّم فيها التابعين عند المفسرين من الصحابة، فتأثّر التلاميذ بشيوخهم في كيفية تفسير كتاب الله، فتباينت الطرق في التفسير بين هذه المدراس تبعا لاختلاف مفسري الصحابة[3].

ومما تجدر الاشارةُ اليه انه بالرغم من توافر جملة من الضوابط المعيارية عندهم إلا انّ الآراء مختلفة في تقييم التفاسير بسبب اختلاف قناعاتهم العقديّة والمذهبية.

وعَمِل علماء القران والتفسير على تمييز التفاسير المقبولة من المرفوضة؛ وذلك من خلال تحديد طرق المفسرين المحمودة عن غيرها. بما يكشف عن أهميّة النّقد عندهم بناء على معايير معينة، ولم تقف الممارسة النّقدية لغرض الفرز والتصنيف للتفاسير بل لتقديم تقرير علمي في كيفية الاستفادة من خبرة ذلك المفسر وتوظيف منهاجه. وبتعبير اخر: ان التتبع التاريخي لظهور التنظير المنهجي في التفسير ببعده العمودي اي استجلاء العمق العلمي والمعرفي لنظريات وقواعد ومناهج المفسرين[4] يعدّ ضرورة في البناء النظري للمنهاج الذي سيعتمده المفسر قبل ان يشرع بتطبيق خطته ، ويعد ضرورة معرفيّة ايضا للدارسين في مدونات التفسير لتعيين المعايير التي ينبغي معرفتها ليتمكنوا من خلالها تقييم تلك المدونات التفسيرية، ويهتدوا لمناهج اصحابها وبالتالي الحكم عليها بصورة علمية وحيادية.

اذن: تتلخص **اهميّة** دراسة (المناهج التفسيرية) والفائدة من معرفتها بالنّقاط الاتية: –

1– بالنسبة للمفسّر؛ يعد ضرورة لبناء خطته التفسيرية (منهاجه) ويستفيد من خبرات المفسرين في كيفية التفسير من طرقهم وطرائقهم.

([1]) ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي : 1/76–77 ؛ اثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي، مساعد مسلم عبدالله ال جعفر: 63–97.

([2]) لم تحصل قناعة لدى البعض حول حقيقة ظهور تلك المدارس فضلا عن توصيفها باصطلاح "مدارس التفسير" ، ينظر: المدارس التفسيرية حقيقة أم خيال، محمد محمود زوين، الناشر: جامعة الكوفة كلية الآداب /المجلد 4، العدد 9 (31 ديسمبر/كانون الأول 2011): 91–102 ؛ نحو دراسة علمية لتاريخ التفسير وتطوره ، فريدة زمرد (بحث مقدّم للمؤتمر الدولي لتطوير الدارسات القرآنية ،1434/4/6هـ– 2013/2/16م): 14.

([3]) ينظر: مناهج المفسرين – القسم الاول : التفسير في عصر الصحابة ، مصطفى مسلم (الرياض : دار المسلم للنشر والتوزيع ، ط1، 1415هـ): 46.

([4]) نحو دراسة علمية لتاريخ التفسير وتطوره ، فريدة زمرد (بحث مقدّم للمؤتمر الدولي لتطوير الدارسات القرآنية ،1434/4/6هـ– 2013/2/16م): 9–12.

2- بالنسبة للمُتعلم والدارس؛ ليتعلّم كيف يدرس كتب التفسير ويقف على مرتكزات ومنطلقات المنهاج التفسيري للمفسر، ويكشف عن العلاقة البنائية بين اصول التفسير وقواعده وآلياته ... ويتعرف على اسلوب المفسر واتجاهه. ويتعرف على المعايير المُعتَمدة في التقييم والحكم على اداء المفسر ومن ثم تحديد التفسير المرفوض او المنحرف عن المقبول والصحيح.

وقد ادرك المفسرون والمتخصصون في علوم القران والتفسير هذه الاهمية والفائدة فورد في كلامهم تقسيم التفسير الى الاثري والرأي؛ وهذا النموذج التقسيمي يعدُّ من المعايير المهمة في التوصيف والتصنيف المنهجي لتحديد الطريق الشرعي في العملية التفسيرية، ولهذا ورد في بعض مقدمات التفسير ومدونات علوم القران بيان (طريقة) التفسير، و(احسن الطرق) او «الطريق السوي في التفسير»[1] تمييزا له عن الطريق المحظور شرعا والذي اصطلحوا عليه (التفسير بالراي) .

وعلى اساس ذكر المصطلحات: المنهج والاتجاه والاسلوب وغيرها تكون المدونات والمؤلفات على صنفين:

المدونات القديمة منها؛ لم يرد فيها لفظ (منهج، اتجاه، اسلوب) والاستعمال الشائع كان: (طريق ومذهب، طريقة).

والمؤلفات المعاصرة والحديثة منها: استعمل فيها لفظ (مناهج التفسير) و(مناهج المفسرين) و(الاتجاهات) و(الالوان والنزعة) و(الاساليب) اضافة الى المسلك والطريق والطريقة.

ومع بدايات القرن العشرين الميلادي -تقريبا- نشر احد المستشرقين كتابه عن انواع التفسير ومذاهب المفسرين واتجاهاتهم، وهو المستشرق (اجنتس جولدتسهير) (ت1921م) وتُرْجِم بعنوان (المذاهب الاسلامية في تفسير القران)[2]، والذي ترجمه الى العربية الدكتور

([1]) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي : 156/2.، مقدمة في اصول التفسير، ابن تيمية: 93.، منهج الفرقان في علوم القران، محمد علي سلامة: 22.، المدخل لدراسة القرآن الكريم ، محمد محمد ابو شهبة: 35.، الميزان في تفسير القران، الطباطبائي: 11/1-12.

([2]) عبر الشيخ امين الخولي عن اسم كتاب جولدتسهير بـ"اتجاهات التفسير"؛ ينظر: مناهج التجديد ، امين الخولي ، ص286 ؛ ومن المحتمل ان اختلاف الترجمة له اثر في تحديد المصطلح المناسب ويبدو ان مفهوم لفظ "مذهب" يقارب مفهوم لفظ "اتجاه" من ناحية ان كليهما تعبير عن الطرق التي يسلكها العلماء في البحث والنظر في اصطلاح فلاسفة اليونان ، والمؤلّف جولدتسهير من المؤكد يعكس ثقافته الغربية في التفكير والتعبير.

علي حسن عبدالقادر، في طبعته الاولى عام (1944م) ، غير ان المترجِم لم تُتَح له الفرصة ليعرض الموضوع عرضا وافيا[1] وبتعبير الدكتور عبد الحليم النّجار، كانت ترجمته "جزئية" وعلى عجالة لم تحقق الشمولية المطلوبة ؛ فانبرى –الدكتور النّجار– الى ترجمة الكتاب تحت عنوان (مذاهب التفسير الاسلامي)[2] المطبوع بتاريخ (1955م) وكان الكتاب اكثر تفصيلا من سابقه؛ تضمّن على تعليقات وشروح من قبل المُترجِم. ويعدّه بعض المؤلفين اول من خطى الخطوات الاولى في هذا المجال[3] ، وقد تناول المؤلف –استنادا على تفكيره الاستشراقي– التفسير بالمأثور والتفسير بالراي ومدارسهما وكيف كان تأثير العقيدة على المنتَج التفسيري واستعرض بعض طرق المفسرين واتجاهاتهم دون ان يتناول المصطلحات بالبيان والتفريق بينها.

ويعدّ بعضهم الدكتور محمد حسين الذهبي (ت 1977م) اول من ألّف في تاريخ التفسير والمذاهب التفسيرية[4] في كتابه (التفسير والمفسرون) المطبوع بجزأين، وأُضيف اليهما بعد مقتله الجزء الثالث.

ويُذكر ان كتابه عبارة عن بحث(رسالة) تقدّم به لنيل درجة الاستاذية في منتصف اربعينيات القرن الماضي[5] ونشره في نهاية الاربعينيات ثم اعاد طباعته في الستينيات[6].

وذكر المؤلِّف ان موضوع مؤَلَّفه وبحثه فيه جدّة: اذ لم يُسبَق اليه الا بمحاولات بسيطة غير شاملة، وطرافة في تنوع صوره عن لونٍ من التفكير الاسلامي في عصوره المختلفة[7] ولعلّه يشير –على ما يبدو– الى ما كتبه المستشرق "جولد تسهير"

([1]) ينظر: المذاهب الاسلامية في تفسير القران، أجنتس جولدتسهير، تر: علي حسن عبدالقادر(مطبعة العلوم ط1363،1هـ–1944م): جـ ، د /المقدمة .

([2]) ينظر: مذاهب التفسير الاسلامي ، أجنتس جولدتسهير، تر: عبدالحليم النجار (القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، دط، 1374هـ– 1955م): 3 .

([3]) ينظر: مناهج التفسير واتجاهاته ، محمد علي الرضائي، تر: قاسم البيضاني (بيروت :مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1 : 2008م) : 34.

([4]) ينظر: التفسير والمفسرون اساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث /التفسير اساسياته واتجاهاته، فضل حسن عباس(الاردن : دار النفائس ، ط1، 1437هـ–2016م) : 17/1.، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبدالفتاح الخالدي (دمشق : دار القلم، ط3: 1429هـ–2008م) : 6.

([5]) ينظر: التفسير اساسياته واتجاهاته، فضل حسن عباس: 18/1.

([6]) ينظر: بحوث في اصول التفسير ومناهجه، فهد عبدالرحمن الرومي(الرياض: مكتبة التوبة، ط4، 1419هـ):170. ، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي: 6.

([7]) ينظر: التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي: 1 /13.

وما تناولته مباحث علوم القران.

ومحتويات الكتاب دراسة لأشهر كتب التفسير لطوائف ومذاهب مختلفة ومتخالفة؛ حيث كشف من خلالها عن طرق المفسرين واتجاهاتهم والوان التفسير[1] ولم يكن محور دراسته التنظير والتقعيد لعلم التفسير بقدر ما اهتم في الممارسة النّقدية ، والوصف والسرد لخصائص كتب التفسير وما تمتاز به – كتوصيّف بعديّ –ثم يحاكمها على ضوء عقيدته: اما بالمقبوليّة او الانحراف دون ان يتناول تعريف المصطلحات التي وظفها في التوصيف او التقسيم.

وكان لدعوة الشيخ أمين الخولي (ت 1966م) الى تجديد مناهج الدارسات اللغوية والدينية ومن جملتها التفسير أثرٌ في الوسط الثقافي عموما وعلوم القران والتفسير بصورة خاصّة ، فعُرف عنه محاولاته الجّادّة في تجديد طرائق قراءة النّص القرآني[2] ، ويعدّه البعض «أول رجلِ دينٍ مسلم حاول العبورَ من المناهج والمفاهيم والأدوات التراثية في فهم الدين ونصوصه، إلى استعمال مناهج ومفاهيم وأدوات جديدة، وتوظيفها في بناءِ فهمٍ بديل ونقدِ الفهم القديم. وتميز بخبرة رصينة، وشجاعة كبيرة في توظيفها»[3].

يبدو انّ الخولي يعتبر من الاوائل الذين أسهموا في بذر المفاهيم التوصيفيّة التي راجت فيما بعد في مدونات مناهج التفسير كمفهوم (المنهج وطرائق التفسير واللون والاتجاه وغيرها) اذ ذكر ذلك في كتاب مناهج تجديد – في النحو والبلاغة والتفسير والادب– في طبعته الاولى عام (1961م).

وقد أسهم الخولي في تحديث مناهج التفسير من خلال توظيف المناهج الحديثة في فهم النصوص لتشمل النص القرآني[4] وطرح مسألة أثر العلوم الادبية والبيانية والفلسفية والتجريبية على فهم النص القرآني وغيرها من المسائل المتعلقة بالمناهج والاتجاهات[5] دون ان يدخل في تفاصيل التفريق بين تلك المفاهيم واعطاء حدود لمصطلحاتها.

وظهرت دراسة للدكتور عفت محمد الشرقاوي، عام (1972م) بعنوان (اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث) واعاد نشرها عام (1976م) تحت عنوان (الفكر الديني

([1]) ينظر: التفسير والمفسرون ، الذهبي :1 /13 ، 2 /448.

([2]) ينظر: تجديد في المناهج ، امين الخولي :271.

([3]) الدين والاغتراب الميتافيزيقي عبدالجبار الرفاعي (بيروت: دار التنوير، ط2،2019م) : 174–175.

([4]) ينظر: تجديد في المناهج: 21.

([5]) ينظر: م ن :286–289.

في مواجهة العصر–دراسة تحليلية لاتجاهات التفسير في العصر الحديث) اذ قسّم الاتجاهات الى الاتجاه الاجتماعي والادبي والعلمي في حدود بلد "مصر" في العصر الحديث.

ويرى الباحث "حازم محي الدين" بان معظم الباحثين المعاصرين الذين اهتموا بدراسة حركة التفسير في العصر الحديث اعتمدوا بشكل او باخر فكرة النموذج التصنيفي الذي طرحه "هانس جانسن" المستشرق الهولندي في بداية السبعينيات في كتابه (التفاسير القرآنية في مصر في العصر الحديث) ؛ وشاركه في الفكرة – في الفترة نفسها – الدكتور عفت الشرقاوي في كتابه اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث[1] ، وكان تصنيف "هانس" للاتجاهات كالاتي : الاتجاه العلمي، والاتجاه البياني، والادبي والاتجاه الاجتماعي العلمي !.

ويذهب "محي الدين" الى ان تأثير –هانس والشرقاوي– على الدارسين واضحا وجليا في اعتماد النموذج ؛ ولعل ما كتبه الدكتور فهد بن عبدالرحمن الرّومي، حول اتجاهات التفسير ينبئ عن تأثره بتصنيف هانسن والشرقاوي[2] .

ووُجِدت بعض المؤلّفات غير انها ما بين تقليد للسابقين وما بين إضافات جديدة، فمنها:

كتاب (اتجاهات التفسير في العصر الحديث) للدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب، الذي صدر بطبعته الاولى في عام (1973م) تناول المؤلف فيه أبرز اتجاهات العصر الحديث كما يصفها.

كتاب (لمحات في علوم القران واتجاهات التفسير) لمؤلفه الدكتور محمد بن لطفي الصباغ والذي ألفه بحسب ما ذكر في ذيل مقدمته سنة(1973م) واعاد النظر فيه وطبعه في (1985م) وتناول في القسم الاول بعض مباحث علوم القران وفي القسم الثاني تناول الكلام عن الاتجاهات.

كتاب (مناهج المفسرين) للدكتور منيع عبد الحليم محمود، الذي نشر في طبعته الاولى عام(1978م) وهو تناول المؤلف فيه كتب التفسير عديدة، مبيّنا ترجمة مختصرة لكل مفسر وتصنيف لمنهجه وكشف عن اتجاهه بصورة موجزة، ولم يخرج كثيرا عن طريقة

([1]) ينظر: التفاسير القرآنية في مصر الحديثة ،حازم محي الدين، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث المجلد5/العدد العشرون ، 1431هـ–2010م: 217.

([2]) ينظر: م ن: 217.

الدكتور الذهبي في دراسة كتب التفسير وابداء موقفه منها.

ويبدو ان فترة ما بين بداية سبعينيات القرن الماضي الى بداية الثمانينيات اخذت المفاهيم المنهجية تأخذ طريقها في الدراسات والبحوث النقدية في مناهج المفسرين، وراج استعمال الالفاظ التوصيفية والنماذج التصنيفية كالاتجاه واللون والمنهج والنزعة.

قدّم الدكتور محمد ابراهيم شريف، رسالته (اتجاهات التجديد في تفسير القران الكريم في مصر في القرن العشرين) لنيل درجة الدكتوراه، وقد اجيزت بمرتبة الشرف عام (1979م) وتناول فيها أبرز الاتجاهات التفسيرية في حدود بلد مصر في القرن العشرين، وقام بتحديد المصطلحات الشائعة في تاريخ التفسير مثل الاتجاه والمنهج والتيار والنزعة وغيرها، ويعد الدكتور أحد الاوائل الذين تنبّهوا لضرورة تحديد تلك الاصطلاحات والتفريق بينها.

وكتب الدكتور ابراهيم عبدالرحمن خليفة (ت 2013م) مؤلّفه في (دراسات في مناهج المفسرين) ويظهر في مقدمته تاريخ تأليفه في سنة (1979م) وطرح المؤلف في المقدمة والتمهيد نُكات علميّة منهجيّة مهمة عن مفهوم مناهج المفسرين، وقد اشار المؤلف الى دواعي افراد هذا الفن –كما يصفه– عن موضوعات علوم القران هو الدعوة التي وجهها قسم التفسير بكلية اصول الدين بالقاهرة بإفراد هذا الفن بالدراسة واعطائه اسما مخصوصا[1] اذ كان المؤلف يراعي مستوى خاصا من طلّاب الدراسات القرآنية.

وفي عام (1980م) قام كل من : الدكتور مسلم مساعد ال جعفر والدكتور محي هلال السرحان، بتأليف كتاب (مناهج المفسرين) بتكليف من وزارة التعليم العالي ودُوّنَ الكتاب في ضوء المفردات المقررة من قبل الوزارة كما في مستهل الديباجة[2] ، ليكون مقررا للدراسة الجامعيّة، ومحتواه حول مدرستي الأثر والرأي والتعريف بهما وذكر نماذج من المفسرين وبيان لخصائص تفاسيرهم.

ومما تجدر الاشارة اليه: انّ ما ذكره الدكتور عبد الرحمن خليفة في كتابه، وما ذُكر في مقدمة كتاب (مناهج المفسرين) للدكتورين مسلم مساعد ومحي هلال، يظهر بانّ درس

([1]) ينظر: دراسات في مناهج المفسرين، إبراهيم عبد الرحمن محمد خليفة (القاهرة: دار الوفاء ، مكتبة الازهر، دط، ١٣٩٩هـ– 1979م): 2–7.

([2]) ينظر: مناهج المفسرين ، مساعد مسلم آل جعفر و محي هلال السرحان (السعودية: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الطبعة الاولى 1980م): 3.

مناهج المفسرين اخذ موقعه من الدراسات الاكاديمية في تلك الفترة (1979–1980م) وفي خصوص الجامعات التي كانوا يُدرِّسون فيها.

قدّمَ الدكتور فهد بن عبدالرحمن الرُّومي، دراسته الموسومة بـ(اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر) عام (1405هـ) على ما يظهر في ذيل مقدمتها ، ومن جملة ما تطرق اليه هو بيان الاصطلاحات (الاتجاه والمنهج والأسلوب) وبيّنَ الفرق بينها من زاويته[1] ، وطَرحَ نموذجا لتقسيم الاتجاهات والمناهج يتناسب مع حدود الفترة الزمنية من حركة التفسير وهي القرن الرابع عشر الهجري.

وفي عام (1986م) صدر كتاب (مناهج المفسرين من العصر الاول الى العصر الحديث – الجزء الاول) لمؤلفه الدكتور محمود النقراشي السيد علي، وعرّف مفردتي (منهج وتفسير) ولكنه لم يعرف (مناهج المفسرين) بصورته المركبة، وباقي المباحث تشابه لما تناوله الذهبي وغيره حول تاريخ التفسير والمفسرين ومناهجهم.

ويبدو ان مصطلح (اتجاهات التفسير) كان أكثر رواجا من (المناهج) في التوصيف والاستعمال لما يمتاز به من دلالة فضفاضة تجعله يحقق الاغراض التي يوظّف لأجلها، غير ان المفهوم لا يخلو من إيحائيّة النّزعة الذاتية يجب تنزيه البحث العلمي منها.

ويبدو مع مرور الوقت –خصوصا بعد تدوين ما يناسب المقررات الدراسية بعنوان (مناهج المفسرين) في الدراسات الجامعية؛ وتصدّي الاساتذة للكتابة فيها لتعليم الطلاب– أخذ اصطلاح (مناهج المفسرين) ينتشر بينما بدأ اصطلاح (الاتجاهات) ينحسر.

ومن جهة اخرى: ان تفضيل استعمال لفظ منهج على اتجاه لا يخلو من جنبة علمية لما يختزنه مفهوم منهج من معاني: الاستقامة والمبدأيّة والتوجيه الممرحل، بخلاف الايحائية التي يحملها مفهوم الاتجاه كما مرّ.

وبمقتضى الحاجة والاهتمام والمراجعة اخذ مصطلح (مناهج المفسرين) نحو البزوغ بِعَدّه فنّا مستقلا –كما عبر عنه الدكتور عبد الرحمن خليفة– تنضوي تحته مسائل عديدة ومصطلحات متنوعة.

ثم ظهرت مؤلفات كثيرة ومتنوعة ما بين دراسة نقديّة فاحصة جادّة تقدم للمتلقي منتج رصين ومبرهن على الافكار فيه، او دراسات اجترارِيّة خلتْ بعضها من المنهجية

([1]) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبدالرحمن الرّومي (السعودية : مؤسسة الرسالة ، ط3، 1997م) : 22/1.

ومراعاة ضوابط الاصطلاح ولم تتقيد بحدود المفاهيم.

منها على سبيل المثال لا الحصر:

كتاب (التفسير والمفسرون: في ثوبه القشيب) للشيخ محمد هادي معرفة، وهو عبارة عن تصحيح وتنقيح لبحوث كتاب التفسير والمفسرون للذهبي، وتوصيفه بـ"القشيب" يوحي بان غاية التأليف هو لتصفية وفلترة الآراء التي عبّر الدكتور الذهبي فيها عن موقفه الحادّ والقاسي تجاه الشيعة ومذهب الامامية، فالكتاب فحواه اشبه بالردّ ولكن على نحو الهدم واعادة البناء فتوافر على تصحيحات واضافات قيّمة لا تنكر.

ومنها: (المناهج التفسيرية في علوم القران) للشيخ جعفر السبحاني ويظهر في ذيل المقدمة كان تأليفه سنة (1990م) تناول المؤلف فيه انواع المناهج وفرّق ما بين الاهتمامات التفسيرية وما بين المناهج التفسيرية.

ومنها: (المفسرون حياتهم ومنهجهم) للسيد محمد علي آيازي، ونشر الكتاب في عام(1414هـ) ويعد دراسة لكثير من التفاسير المتنوعة للفرق الاسلامية وترجمة للمفسرين وشرح لطرقهم وطرائقهم ومناهجهم وتضمن الكتاب على مقدمة بيّن فيها المصطلحات والمفاهيم "المنهج والاتجاه واللون والطريقة" والتفريق بينها وربما تحتسب من الخطوات الاولى في باب مؤلفات المناهج التفسيرية.

ومنها: (مناهج المفسرين –القسم الاول: التفسير في عصر الصحابة) للدكتور مصطفى مسلم؛ المطبوع في عام (1995م) وأفصح المؤلِّف عن الهدف من تأليفه بانّ يُجَعل مقررا لطلاب الدراسات القرآنية، وتناول فيه موضوعات تشابه وتقارب لما كتبه الذهبي حول مراحل التفسير والمدارس بصورة مختصرة مع تغييرات روعي فيها المتعلم.

ومنها: (تعريف الدارسين بمناهج المفسرين) لمؤلفه الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، في عام (2000م) على ما يظهر في ذيل المقدمة؛ وبيّنَ المؤلف الهدف من تأليفه وهو للدراسين من طلاب الجامعات والمتعلمين، وتناول مفهوم المنهج والطريقة والفرق بينهما وعزز ذلك بالأمثلة واستعرض بعض الاتجاهات المنحرفة والعصرية كما يصفها.

والمؤلّفات عمومها لم تخرج عن حدود ما بذره المتقدمون وابتكره أوائل المتأخرين وما نظّر المعاصرون له مع متغيرات طفيفة في المنهجية والمحتوى: إما ناقدة ومنقحة او شارحة او مختصرات مبسّطة لأغراض التعليم والدراسة؛ كـالذي كتبه الدكتور محمد علي الرضائي في كتابه (مناهج التفسير واتجاهاته) وهو مؤلف منهجي روعي فيه النسق

التربوي والتعليمي؛ وكـتاب (مناهج تفسير القران) للدكتور طلال الحسن تناول قضايا تخص المنهج من ناحية مفهومه واقسامه وتأثير الاتجاهات على العملية التفسيرية؛ وكتاب (التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث) لمؤلفه الدكتور فضل حسن عبَّاس في ثلاث اجزاء، تناول في الاول منها: التفسير، وفي الاخريين : المفسرون ؛ وللمؤلف رسالة دكتوراه عام (1972م) بعنوان (اتجاهات التفسير في العصر الحديث في مصر وسوريا) غير مطبوعة ويبدو ثمة ملاحظات سُجّلت عليها[1] ؛ وكتاب (المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة) لمؤلفه الشيخ محمد علي اسدي قدّم فيه استقصاء لآراء السنّة والشيعة حول مناهج التفسير والمصادر وانواع التفسير ... قاصدا بذلك تحقيق التقارب بين وجهات النّظر بين الفرقتين على نحو المقارنة واظهار المشتركات وابراز مساحاتها العريضة كما جاء في مقدمته.

ويلاحظ على تلك المؤلفات والبحوث ان بعضاً منها قد أُلفت لأغراض الدراسة والتعليم فهيمن عليها جانب الاختصار والتبسيط والتجوز والتسامح في التعبير مما أصّل لإشكالية الخلط بين المفاهيم واوقع الدارس في ارباك ازاء تحديد مدلول المصطلح ومصاديقه.

ويلاحظ على بعضها ايضا تناول موضوع المناهج بعيدا عن عرف اهل المناهج التفسيرية فاختط لأفكاره مسلكا شخصيا على مستوى الموضوعات والتعبير عن بعض المفاهيم بألفاظ مبتكرة دون التقيد في الاصطلاح وتطوراته؛ وهذا أحد الاسباب الكامنة وراء الاشكالية المربكة للدّارسين والمتلقين، وان كانت لا تخلو من فائدة في فحواها وظرافة في طريقة العرض؛ فمنها:

ما كتبه الدكتور محمد مصطفوي في كتابيه: (اساسيات المنهج والخطاب في درس القران وتفسيره)، (امكانيات التفسير واشكالياته): في البحث عن المعنى.

وما كتبه الشيخ سالم الصفار البغدادي في كتاب (نقد منهج التفسير والمفسرين المقارن) اذ طرح المؤلف موضوع تباين الاصول المرجعية لمفسري الشيعة عن مفسري السنة واثره العقائدي؛ وعرض ذلك بطريقة حجاجيّة ينتصر فيه المؤلف لمذهب اهل البيت(ع) في التفسير ولم يتطرق لمفهوم المنهج ولا الاتجاه[2].

([1]) ينظر: شوائب التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، عبد الرحيم فارس أبو علبة(رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية –الدكتوراه– في الدراسات الإسلامية من كلية الشريعة بجامعة بيروت الإسلامية، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م): 14–21.

([2]) (طبعة دار الهادي ، ط1)

الفصل الاول: اشكاليّة تعريف المفاهيم وتوظيفها

المبحث الاول: مفهوم المنهج التفسيري :

المطلب الاول: التعريفات (عرض ومناقشة).

المطلب الثاني: أصل الوضع والاستعمال لمصطلح منهج.

المطلب الثالث: توظيف المصطلح في الدراسات التفسيرية.

المطلب الرابع: توظيف المعاني الناتجة عن الترجمة.

المبحث الثاني: مفهوم الاتجاه التفسيري:

المطلب الاول: استعمال المفهوم في ضوء غياب التعرف الاصطلاحي.

المطلب الثاني: تعريف مفهوم الاتجاه بين الحدود والمصاديق (عرض ومناقشة).

المطلب الثالث: علاقة المنهج بالاتجاهات.

المطلب الرابع : التفريق بين المنهج والاتجاه.

المطلب الخامس: تتبع جذور حقيقة المفهوم المستعمل.

المطلب السادس: توظيف مصطلح الاتجاه في توصيف المحمود والمذموم من التفاسير.

المبحث الثالث: مفهوم الاسلوب التفسيري:

المطلب الاول: تنوع موارد استعمال اللفظ.

المطلب الثاني: تعريفات الاسلوب التفسيري (عرض ومناقشة) .

المطلب الثالث: الخلط ما بين الاسلوب والمفاهيم الاخرى.

المطلب الرابع: فرق الاسلوب عن المنهج والاتجاه.

المبحث الاول: مفهوم المنهج التفسيري وتعريفاته

دأب بعض المؤلفين في المناهج التفسيرية على بيان مقصدهم من لفظ منهج وهذا الاجراء منهجي مِنْ ناحية علميّة؛ إذ سيكون مُراد المؤلِّف واضحا، وَيسهل ربُط المدلولات والمقاصد بِصُورَةٍ صَحيحَةٍ، غير ان بعض المؤلفات يلاحظ عليها غياب تعريف المصطلح[1] .

ويبدو ان ذلك سببه الاعتياد والرواج في التداول لمفردة (منهج) بما يجعل البعض يظن انها واضحة لا يطلب تبيينها، ويلاحظ على نصوص المؤلفات حينما تتناول الكلام عن المنهج تقرنه بلفظ (الطريق والطريقة والمسلك) فيظهر على عباراتهم ارادة ذلك[2]، استنادا الى ما جاء في معاجم اللغة العربية القديمة والمعاصرة عن معنى المنهج بأنّه «طريق ، الطريق الواضح»[3] .

ويزداد المفهوم وضوحا حينما يضاف اليه او يُقرْن بمُسمّيات أخرى كمُفسِّر معين، او نموذج معرفي، أي بما هو «حُكما او وصفا لاحقا لخطوات عمل معين»[4] فيكون مَفْهومه من الوصف اَلْبَعْديّ وَهُوَ الطَّريقُ اَلَّذِي سَلَكَهُ المُفَسِّرُ فِي تأليف تفسيره.

ويكون الكلام في هذا المبحث مقسّما الى عدّة مطالب:

([1]) ينظر: مذاهب التفسير الاسلامي للمستشرق أجنتس جولدتسهير. ، التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي.، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ، محمد هادي معرفة (الناشر: الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، ط2، 1425هـ).، مناهج المفسرين، مساعد مسلم آل جعفر ومحي هلال السرحان(السعودية : وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ط1، 1980م) .، مناهج المفسرين ، منيع بن عبد الحليم محمود (القاهرة: دار الكتاب المصري ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، دط : 1421 هـ - 2000م) .، والتفسير والمفسرون مدارسهم ومناهجهم واتجاهاتهم ، فضل حسن عباس، 3 اجزاء.، مسير التفسير الضوابط والمناهج والاتجاهات، ابراهيم عوض(مصر: مكتبة جزيرة الورد، ط1: 1431هـ ، 2010م)، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، عبد المجيد عبد السلام المحتسب(عمان: منشورات مكتبة النهضة الإسلامية ،ط3: 1402هـ-1982م).

([2]) ينظر: منهج الفرقان في علوم القران ، محمد علي سلامة: 22/2؛ التفسير والمفسرون للذهبي:57/1 ؛59 ؛194. مناهج المفسرين من العصر الاول الى العصر الحديث – الجزء الأول، محمود النقراشي السيد علي (القصيم: مكتبة النهضة، ط1: 1407هـ-1986م): 78.، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي: 17؛ المناهج التفسيرية في علوم القران، جعفر السبحاني (قم: مؤسسة الإمام الصادق، ط4: 1432هـ): 75-76.

([3]) ومما تجدر الاشارة اليه ان الاسلوب ايضا بمعنى الطريق على ما ذكرته بعض المعاجم ، ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، تح: عبد العظيم الشناوي (القاهرة: دار المعارف، ط2: دت) :1/ 284 ، وسيتم الكلام عن الاسلوب في المباحث اللاحقة ومقارنته بالمنهج وبيان الفرق بينهما.

([4]) الاسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي جواد الحجّار: 20.

المطلب الاول: التعريفات (عرض ومناقشة):

تناول المؤلفون تعريف ما اصطلحوا عليه بمنهج التفسير بصياغات وصور متنوعة فمنهم من كان دقيقا في توصيفه للمصطلح فميّز بين منهج التفسير ومنهج المفسر في التعريف، ومنهم من كان تعبيره غير واضح وغير دقيق فيبقى المتلقي في لبْس من دلالة التعريف أَ يُقصَد به المنهج التفسيري ام منهج المفسر؟!

ولهذا ستُعرض التعريفات مشفوعة بالمناقشة والتحليل: –

1– تطرّق الدكتور محمد حسين الذهبي الى بيان (المنهج) الذي يعتمده المفسر حتى لا يفسر بـ(الراي المذموم) ويكون منهجه قائما على التفسير بالراي المحمود؛ وعليه فـ«لا بد أن يُلم بكل العلوم التي هي وسائل لفهم كتاب الله، وأدوات للكشف عن أسراره»[1] مراعيا التدرج بالمصادر في كشف مراد الله ابتداءً من كتاب الله، فإن لم يجده طلبه من السُّنَّة، فإن أعجزه ذلك رجع إلى أقوال الصحابة، فإن عجز عن هذا كله، ولم يظفر بشيء من تلك المراجع الأولى للتفسير، فليس عليه بعد ذلك إلا أن يُعمل عقله، ويقدح فكره، ويجتهد وسعه في الكشف عن مراد الله تعالى، مستنداً إلى الأصول والقواعد التفسيرية، بحيث لا يحيد عنها، ولا يخرج عن نطاقها[2] .

فالمنهج بهذا التعبير يتناسب مع المرحلة القبلية التي تقوم على التأسيس النظري للخطة التي سيعتمدها المفسر في العملية التفسيرية. ويبدو ان توصيف تلك الخطوات بالمنهج لا يتناسب مع مفهوم المنهج الاصطلاحي – البحث والنظر والاستدلال–، نعم اعتبر المؤلف اِعمال العقل من خلال الاجتهاد وبذل الوسع لكن هذه مرحلة من الخطة وليس هو تمام حقيقة المنهج، وعليه كان الانسب للتوصيف هو ان يصطلح عليه بالمنهاج لا المنهج.

2– يُميّز الدكتور ابراهيم عبدالرحمن خليفة بين مفهوم (مناهج المفسرين) في حال وصفه مركبا اضافيا فيُعرّفه بقوله هو: «الطرق المعنوية الواضحة لمفسري القران الكريم»[3] هذا بحسب معاجم اللغة العربية .

([1]) التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي : 1/197– 199.

([2]) ينظر: م ن :1/197.

([3]) دراسات في مناهج المفسرين، إبراهيم عبد الرحمن خليفة: 3.

ثم يعرّفه اصطلاحا بعد ان يقرر صيرورة المركب الاضافي "عَلما" على هذا الفنّ فيقول: «هو عِلم يبحث فيه عن المسالك المختلفة لفرق المفسرين وافرادهم في تفسيرهم للقران الكريم وعن تتمات لابد منها لفقه ذلك»[1] .

ثم يبيّن قيود التعريف كالاتي: –

«فقولنا عِلم: جنس يشمل سائر العلوم.

وقولنا: يبحث فيه عن المسالك المختلفة: أعني الطرق المعنوية –قيد اول– خرج به العلوم التي تبحث في اشياء مادية.

وقولنا : لفرق المفسرين وافرادهم – قيد ثانٍ– خرج به البحث عن مسالك غيرهم .

وقولنا : في تفسيرهم للقران – قيد ثالث – خرج به غير التفسير .

وقولنا : عن تتمات لابد منها لفقه ذلك : قيد للإدخال اريد منه ادخال الامور التي ليست من مسالك المفسرين ولكنها من مباحث هذا العلم والمقدمات الضرورية التي لابد من الوقوف عليها قبل الخوض في مسالكهم كمعرفة معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما ومعرفة فائدة التفسير ووجه الحاجة اليه ومعرفة اقسامه وشروطه التي لابد من توفرها فيمن يتصدى له ... وبهذا يكون التعريف فيما احسب جامعا مانعا ...»[2] .

واضح هذا التعريف في حدوده وقيوده انه يتحدّث عن طرق المفسرين بما هي وصف بعديٌّ وتوصيف لما بعد الشروع.

ميّز الدكتور خليفة بين تعريفين لمناهج المفسرين:

التعريف اللغوي الذي عبّر عنه بالطرق المعنوية الواضحة، وهو توصيف يتناسب مع معنى (المسلك الذي سلكه المفسر في تفسيره).

وجاء في التعريف الاصطلاحي بان (منهج المفسر) هو(عِلم) ووصفه ب(الفن) ايضا!

فهل توصيفه بالفن هو تعبير عن النوع والضرب[3] كما جاء في معاجم اللغة ، او هو بمعنى المهارة والحرفة[4] ؟

والذي يبدو إنّ المعنى الثاني أقرب لمراده؛ فالفن هو التمهر والتمكن من البحث في

([1]) دراسات في مناهج المفسرين: 3.

([2]) م ن: 3.

([3]) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس : 435، مختار الصحاح، الرازي: 517.

([4]) ينظر: تاج العروس ،الزبيدي: 35 /519، المعجم الوسيط : 703.

المسالك المختلفة؛ بقرينة ما ذكره من ضرورة تحصيل المقدمات والشروط قبل الخوض في مسالكهم.

أذن يكون مصطلح مناهج المفسرين بما هو (توصيف بعدي)* من العلوم التي لها موضوعا وثمرة في دراستها ولها مقدّماتها اللازم تحصيلها عن مَلَكة ومهارة .

3- وعرّف الدكتور محمد ابراهيم شريف، المنهج التفسيري بانه «تلك الافكار النظرية التي صاغها المفسر في تفسيره والتزم تطبيقها لإبرازها من خلال التفسير، ثم الأسس العامة الي بنى عليها اختياراته وترجيحاته بين اراء وأقول سابقيه والتي اتسعت لها نظريته في التأويل، ويمكن النظر اليها كظواهر عامة في تفسيره تشير الى خط فكري واضح عنده»[1].

ويُميّز الدكتور شريف بين المنهج بتعريفه المتقدم وما بين (الطريقة) فهي اعمّ من المنهج، لانّها تعني «كيفية استخدامه لهذه الافكار والترتيب والملائمة بينها وبين ما ينقل من اثار حول النص وظروفه وملابساته والترتيب الداخلي بين هذه الاثار نفسها من سبب نزول.. وما ورد فيها من قراءات ..والنسخ ...»[2] .

فالدكتور شريف يرى بان المنهج يقوم على دعائم يعتمدها المفسر مرجعا نظريا ويرسخّها في نفسه لتصحبه خلال العمليّة التفسيرية. غير ان دوره الاجرائي في التطبيق يمثل طريقته القائمة على الترتيب والموائمة ومعالجة التعارض ومراعاة المقتضي وغيره. والمنهج بالمفهوم الذي عرفه المؤلف ناظر الى مفهومه الاصطلاحي –النظر والاستدلال والبحث– بقرينة ما تطرق اليه حول الالتزام بمنطلقات (نظريّة) مصاغة لتنتج قضايا مطلوبة، وبقرينة (الاساسات) التي يركن اليها في الترجيح وهي ضرب من التفكير البرهاني الذي يقتضيه مفهوم التأويل في الاستنباط بما يدل على التزام المفسر بخط فكري واضح لديه.

(*) سيكثر استعمال هذا اللفظ ويُقصد به: التوصيف الذي يطلق على ما بعد شروع المفسر بكتابة تفسيره فالمفاهيم البعدية تتناسب مع طبيعة حركة القارئ والدارس في الكتب التفسيرية حينما يريد ان يصف المنهاج بما هو طريق سلكه المفسر في انتاج تفسيره غير توصيفه للمنهج كمجموعة ادوات ووسائل يعتمد عليها في الكشف والابانة للنص القرآني ، وسياتي لاحقا بيان هذا المصطلح مفصلا.

([1]) البغوي الفراء وتفسيره للقران الكريم، محمد ابراهيم شريف(القاهرة: المدينة دار السلام، ط1، 1406هـ-1986م): 289.

([2]) م ن : 289.

ويبدو ان المؤلّف صاغ تعريفه بلحاظ المرحلة البعديّة أي ناظر الى منتج تفسيري لمفسر معين فيكون التعريف أقرب لمصطلح (مناهج المفسرين).

4-عرّف الدكتور محمود النقراشي ومن تبعه المنهج «هو الطريق الواضح في التعبير عن شيء او في عمل شيء او في تعلم شيء طبقا لمبادئ معينة وبنظام معين بغية الوصول الى غاية معينة»[1] ولكنه لم يعرّف المصطلح في صورته المركبة، و يبدو من خلال عنوان كتابه انه يتحدّث عن مناهج المفسرين اي التوصيف البعديّ ، بينما مضامين التعريف اقرب الى توصيف ما قبل الشروع (التوصيف القبلي)[2] ! .

بالإضافة الى إنّه أعتمد المدلول اللغوي في صياغة التعريف الاصطلاحي دون تمييز بين الاستعمال اللغوي والاصطلاحي- بمعنى النظر والاستدلال!

5- وعرّفه الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرُّومي «هو السبيل التي تؤدي الى الهدف المرسوم -ويقصد به الاتجاه الذي يعرِّفه ب: الهدف الذي يتجه اليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصب اعينهم وهم يكتبون ما يكتبون»[3] .

لقد ورد بانّ ان معنى السبيل هو الطريق[4] ، ولكن ابا هلال العسكري فرّق بينهما اذ قال: «بأن السبيل أغلب وقوعا في الخير، ولا يكاد اسم الطريق يراد به الخير إلا مقترنا بوصف أو إضافة تخلصه لذلك»[5].

ويظهر من اختيار مفردة (سبيل) في التعريف لا علاقة له بملاحظة الفرق المذكور!؛ لانّ الكلام عن قضايا علميّة وليست قيميّة حتى يقال ينبغي مراعاة الفرق ليناسب مقتضى الحال!

وعليه: فمعنى السبيل في التعريف هو الطريق فيكون تعريفه للمصطلح وصفا لما بعد الشروع. ولكن عند ملاحظة المصاديق التي ذكرها، يظهر انّه يشير الى المبادئ والاصول المدرسية والمذهبية فيُعد المتبنيّات الشيعية والسنية كاشفة عن المنهج

([1]) مناهج المفسرين، محمود النقراشي :13. ، مناهج المفسرين ، مصطفى مسلم – القسم الاول: 14. ، دراسات في التفسير ومناهجه ، عيادة بن ايوب الكبيسي (كلية الشريعة – جامعة الشارقة، ط1 :1436هـ-2015م) :37.

([2]) وايضا سيكثر استعمال هذا التوصيف الذي هو يقابل التوصيف البعدي الانف الذكر ، ويطلق على المفاهيم القبلية ومنها المنهاج التفسيري الذي هو الخطة والبرنامج الذي يعدّه المفسر ليعتمده في الكشف والابانة للنص القرآني.

([3]) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: 22/1.

([4]) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: 130. ، مختار الصحاح ، الرازي: 326.

([5]) معجم الفروق اللغوية: 215.

الذي يسير عليه المفسر نحو الهدف المحدد ليُسمّى باسم ذلك المذهب والمعتقد[1] .

6- ميّز الشيخ جعفر السبحاني بين (المنهج التفسيري) و (البحث) عن منهج المفسّر؛ فالبحث عن المنهج التفسيري لكل مفسر «هو تبيين طريقة كل مفسّر في تفسير القران الكريم، والاداة والوسيلة التي يعتمد عليها لكشف الستر عن وجه الآية او الآيات، فهل يأخذ العقل اداة للتفسير او النقل؟ وعلى الثاني فهل يعتمد في تفسير القران على نفس القران او على السنة او على كليهما او غيرهما؟ وبالجملة ما يتخذه مفتاحا لرفع ابهام الآيات ، وهذا هو ما نسميه المنهج في تفسير القران في كتابنا هذا»[2] .

ويبدو ان التعريف جمع الوصفين: فمن جهة يعدّ المنهج التفسيري: تبيين لطريقة المفسر، ومن جهة اخرى بانه: طريقة المفسر! بقرينة ما صرّح به في نهاية كلامه.

لقد تَضمّنْ التعريف اوصافا متنوعة؛ فالتبيين تعلق ب(الطريقة والاداة المعتمدة) ثم أجملَ بعبارة (ما يتخذه مفتاحا لرفع ابهام الآيات): يعني ان المنهج يتألف من (طريقة واداة) لرفع الابهام عن الآيات الشريفة ؛ او إنّ الاداة والوسيلة هي مصداق للطريقة ؛ او تفصيل لمفهوم الطريقة ، وحينئذ ستكون الطريقة هي عبارة عن الادوات والوسائل المعتمدة في الكشف فيكون التعريف جامعا لأفراد المنهجين (العقلي والنقلي) .

ولكنّ قَصْر الادوات على العقل والنقل من دون تخصيص لحدودهما يحتاج معه الى قرائن مانعة للرأي المذموم؛ اذ كان ذكر العقل فيه إطلاق! وأهمية التعريف هو تحديد الضابط بما يمنع من دخول الاغيار، فلم يتوافر التعريف على هذا! .

وميّز السبحاني بين البحث عن المنهج و البحث عن الاهتمامات ، ووصف البحث عن المنهج بالبحث عن الطريق والاسلوب[3] فبعد هذا هل المنهج التفسيري طريقة او طريق او اسلوب ؟

وعليه: يكون المصطلح أقرب لما بعد الشروع، وتكون الطريقة بمعنى الكيفية التي تناول بها تفسير الآيات ونظّم عليها نصوصه الصق بالأسلوب من المنهج كما سياتي تفصيل ذلك لاحقا.

([1]) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: 23/1.

([2]) المناهج التفسيرية في علوم القران ، جعفر السبحاني: 75.

([3]) ينظر: م ن :76.

7-عرف محمد بن بكر اسماعيل المنهج التفسيري «هو المسلك الذي يتّبعه المفسِّر في بيان المعاني، واستنباطها من الألفاظ، وربط بعضها ببعض، وذكر ما ورد فيهما من آثار، وإبراز ما تحمله من دلالاتٍ، وأحكامٍ، ومعطَياتٍ، دينيّةٍ وأدبِيّةٍ وغيرِها، تَبَعاً لاتّجاه المفسِّر الفكرِيّ والمنهجِيّ، ووِفْق ثقافته وشخصيّته»[1] .

والتعريف يناسب مفهوم (منهج المفسر) الذي عبّر عنه بالمسلك؛ وهو مفهوم يستعمل في توصيف مظاهر المرتكزات النظرية الخاضعة لاتجاه فكري – لما بعد الشروع – ويستعمل معيارا في تصنيف تلك المسالك عبر ما ذكره من وظائف يقوم بها المفسر وكل هذا تحت تأثير الاتجاه الفكري والمنهجي للمفسر، فيُفهم من التعريف بان نتائج العملية التفسيرية تخضع لاتجاه المفسر، فالتعريف يكشف عن العلاقة بين المتبنيات الفكرية والمباني المنهجية والاسقاطات الذاتية: المعرفية والأسلوبية .

8-عرف الأستاذ علي الزبيري منهج المفسّر «بالطريقة الموضوعية التي عالج بها [المفسر] قضايا التفسير المختلفة ، مع ابراز رايه وتحديد موقفه حيال هذه القضايا بكل ما يمكن من الوضوح من حيث نتبع كلامه على الموضوع الواحد في جميع المواضع المتفرقة من تفسيره .....»[2] .

وتوصيف المنهج بالطريقة مأخوذ من المعجمات الحديثة – كما سياتي بحثه لاحقا- وان توصيف المنهج بالطريقة يوقع في اللبس والايهام فيما بينه وبين من عرف الاسلوب بالطريقة او افرد للطريقة اصطلاحا وحدّا خاصّا بها كما فعل ذلك المؤلف نفسه.

اذ الّلافت للنّظر انّه يصف المنهج بالطريقة ثم يعود ليفرّق بينهما ويصطلح لكل منهما مدلولاً خاصاً[3] فيعرّف الطريقة بـ «مظهر شكلي للطريقة التي سلكها [المفسر] في تفسيره لآيات القران الكريم او يمكن ان نعبر عنه بالناحية الشكلية التي ترتسم في مخيلة الباحث

([1]) ابن جرير الطبري ومنهجه في التفسير، محمد بكر اسماعيل (دار المنار، ط1، 1411 هـ-١٩٩١ م): 31. ، المفسرون، حياتهم ومنهجهم ، محمد علي ايازي(طهران : مؤسسة الطباعة والنشر ، ط1: 1414هـ) : 52 .، المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة، محمد علي اسدي نسب (طهران : نكار ، ط1: 1431هـ): 19.

([2]) ينظر: ابن جزي ومنهجه في التفسير، علي محمد الزبيري (الناشر: دار القلم، ط1: 1407هـ- 1987م) :338/1. ، المفسرون "حياتهم ومنهجهم" ، محمد علي ايازي(طهران : مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي،ط1: 1414هـ) :52 .

([3]) ابن جزي ومنهجه في التفسير: 1 /337 .

بعد قراءته لتفسير [المفسر] ... فالمنهج يُعنى بالدراسة الموضوعية ...، والطريقة تُعنى بالدراسة الوصفية لتفسير المفسر...»[1] .

وهذا من اجلى موارد الخلط التي توقع في اللبس والايهام.

ومن الاشكالات: ان المؤلف في تعريفه للمنهج التفسيري: قيّد وظيفة المفسر بالمعالجة لقضايا التفسير المختلفة بينما دور المنهج في العملية التفسيرية اعم من المعالجة، مما يستظهر من كلام المؤلف بانه يقصد بالمنهج التفسيري هو البحث التفسيري الذي يتطرق من خلاله المفسر الى قضايا تفسيرية مختلفة ومتنوعة وحينئذ يكون التعريف لا يخص التفسير وانما البحث التفسيري! .

9- اعتبر الدكتور مصطفى مسلم، مصطلح مناهج المفسرين هو نوع من انواع علوم القران ، فعرّفها «هي الاساليب التي يتبعها المفسرون لبيان مراد الله تعالى من آيات القران الكريم حسب الطاقة البشرية»[2] .

ولكنّ عندما عرّف المنهج كمصطلح قبل الاضافة للفظ المفسرين ، عرّفه على انه طريق واضح ... وهو التعريف نفسه الذي اعتمده "النقراشي" في تعريفه للمنهج ، ثم وصف مناهج المفسرين بالأساليب ! ؟ . ومعلوم ان المنهج يختلف عن الاسلوب من الناحية الاصطلاحية، فالمنهج اصطلاحا توصيف مقيد بأحد الوصفين اما قبلي او بعدي ، والتعريف ناظر الى التوصيف البعدي بقرينة استعماله لمصطلح "مناهج المفسرين" والقرينة الاخرى: ذكر اتباع المفسرين لتلك الاساليب فيكون معنى الاسلوب هنا هو الطريق وهو المعنى اللغوي الذي ذكرته المعاجم المتأخرة والمعاصرة دون القديمة[3] . غير ان استعمال لفظ (اسلوب) في تعريف المناهج يوقع المتلقي في اللبس لان المفاهيم تفقد خصوصياتها في الاستعمال.

10- عرّف الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، مناهج المفسرين «هو الخُطَطُ العلميّة الموضوعية المحدّدة التي التزم بها المفسرون في تفاسيرهم للقران الكريم ، هذه الخطط الموضوعية لها قواعد واسس منهجية مرسومة ولها طرق واساليب وتطبيقات ظهرت في

([1]) ابن جزي ومنهجه في التفسير: 1/ 338. ، المفسرون حياتهم و منهجهم :52.

([2]) مناهج المفسرين ، مصطفى مسلم: 15.

([3]) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، الفيومي، :1/ 284 .، المحيط في اللغة ،الصاحب بن عباد، تح: محمد حسن ال يسين (بيروت : عالم الكتب : ط1 ،1414هـ-1994م) : 328/8.

تفاسيرهم»[1] التعريف يصف المنهج بانه «خطة مرسومة) وهي «تتمثل في القواعد والاسس والمنطلقات التي تعرف عليها المفسر وانطلق منها في فهمه للقران الكريم والتزم بها في تفسيره فان هذه القواعد والاسس كانت ضوابط له ولتفسيره حكّمته وهو يتعامل مع كتاب الله ويفهمه ويفسرّه فلم يخالفها ولم يخرج عنها»[2] .

ويذهب الدكتور الخالدي الى ضرورة التمييز بين المنهج والطريقة إذ يرى ان الطريقة «هي الاسلوب الذي سلكه المفسِّر اثناء تفسيره لكتاب الله ، والطريقُ التي عرض تفسير كتاب الله من خلالها»[3] ثم يفصّل اكثر عن الطريقة: «هي تطبيق المفسر للقواعد والاسس المنهجية التي كانت منهجه في فهم القران. تطبيق تلك القواعد في مختلف الوان علوم التفسير : كتفسير آيات العقيدة وآيات الاحكام ....»[4] .

ولكن توصيف منهج المفسر بالخطة المرسومة هو توصيف يقرب من مفهوم الصياغة الإجرائية التي هي نتائج «الدراسة المنطقية لقواعد وطرق البحث العلمي وصياغتها – لمنظومة علم من العلوم – صياغة إجرائية تيسر استخدامها ؛ المعبّر عنها بالمنهجية»[5] وحينها ستكون هذه الخطة المرسومة «منهاجا»[6] وليس (منهجا)؛ لانّ توصيف الخطة لم يرد الا في خصوص المنهاج الذي يقوم المفسر بأعداده بناء على منظومة معرفية تُعْرف بالـ«مَنْهَجة»[7] .

انّ خطّة المفسر: نتيجة تقع في مرحلة الاعداد والتهيئة لما قبل الشروع في كتابة التفسير. والمنهج بمفهومه الاصطلاحي عبارة عن «جملة المبادئ والقواعد والإرشادات التي يجب على الباحث اتباعها ليصل الى الحقيقة»[8] فيكون احد عناصر الخطة .

([1]) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبدالفتاح الخالدي :17 .، الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث، عادل بن علي الشدي(الرياض: مدار الوطن للنشر ، ط1: 1431هـ-2010م) :13.

([2]) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: 17.

([3]) م ن :18.

([4]) م ن:18.

([5]) منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، مجموعة مؤلفين : 13.

([6]) المعجم الوسيط (مادة نهج).

([7]) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر(القاهرة: عالم الكتب، ط1 ، 1429 هـ - 2008م): (مادة ن هـ ج) ، 2291 .

([8]) منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، مجموعة مؤلفين : 13 .

فتعريفه يعدّ توصيفا للصيغة الاجرائية للمنهجية التفسيرية وليس لمنهج المفسر، والمعاجم الحديثة تصف ذلك بالمنهاج وليس المنهج، فالمنهاج اعمٌّ من المنهج.

اما عَدّ الطريقة هي (اسلوب) ثم يصفها بـ(الطريق) ثم يقول هي (التطبيق للقواعد...)! كما مرّ في تعريفها؛ فهنا يتطلب وقفة لمناقشة الآراء:

قد يقال بان لتوصيفها بالأسلوب وجه مناسب بحسب المعاجم المعاصرة، لكن توصيف الطريقة ب(الطريق) هو من تعريف الشيء بنفسه! اذ كيف جاز تعريف اللفظ بإيراد احد مشتقاته فهذا معيب في الحدود كما هو مقرر في علم المنطق! ؛ إلا أن يقال: انها الفاظ تهدف لمعنى مشترك مهما تغيرت هيئاتها تَحمل معنى واحد، والمؤلف يبتغي الافهام والتعليم للدراسين؛ وهذا تبرير لا يتناسب مع الهدف من تحديد المفاهيم واعطائها خصوصية اصطلاحية تُعتَمد في التوصيف والتصنيف حتى تكون النتائج واضحة ورافعة لأي لبس واشتباه.

ووصف المؤلف الطريقة بـ(التطبيق) أشكل فهم مراده بصورة دقيقة؛ فهل يقصد الكيفية الفعليّة والاجرائية (تطبيق الخطط) ؛ او ما يتعلق بالشكل المعبَّر عنه بأسلوب المفسر في تناوله للآيات الشريفة من نواحي عديدة: كالتعبير وترتيب الآيات والموائمة وغيرها وبتعبيره (العرض) ؟! .

ان توظيف اكثر من لفظ ومفهوم لمصطلح واحد يوقع الدارسين في الايهام واللبس ويشوش عليهم المقصد بصورة دقيقة.

11- عرّف الدكتور محمد علي الرضائي، منهج التفسير: «هو الاستفادة من الوسائل والمصادر الخاصة في تفسير القران والتي من خلالها تبيين معنى الآية والحصول على نتائج محددة؛ وبعبارة اخرى: ان كيفية كشف واستخراج معاني ومقاصد آيات القران هو ما يطلق عليه: منهج التفسير»[1] .

ولكن: ما الذي يحدد كيفية الاستفادة؟ التعريف لم يشرْ الى بيان حقيقة المُعَرّف وانما بيّن خصائص المنهج بذكر وظيفته ودوره في التفسير وهي الاستفادة من الوسائل والتبيين... فهل حقيقة المنهج (صورة مفهوميّة): تتشكل في الذهن بعد توافر الوسائل؛ فلا واقع له وراء الاستفادة منها؟! فمتى ما أُريد تفسير النصّ القرآني تمثّل المنهج عبر الافادة من الوسائل لاستخراج المعاني؟!

([1]) مناهج التفسير واتجاهاته، الرضائي: 17.

وهذا التوصيف –الصياغة الاولى– يناسب التوصيف القَبْلي للمنهاج التفسيري لكن حقيقة المنهج تبقى امرا مبهما في التعريف إلا من حيثية وصف دوره ووظيفته.

بينما في تعريفه الثاني عبر عن المنهج بالكيفية؛ وهو يناسب الحديث عن التوصيف القبلي والبعدي؛ لان الكيفية: هي الطريقة التي ترتسم في ذهن المفسر قبل الشروع؛ وكذلك الشكل الذي تم به العمل التفسيري وتكوّن(توصيف لما بعد الشروع).

12– عرف الباحث محمد مصطفوي، منهج التفسير «عبارة عن الطريقة التي نصل من خلالها إلى كشف المعاني المكنونة في النص القرآني أو هو الاجراء الذي نستخدمه للتوصل الى الكشف عن معاني الآيات القرآنية ، وبتوسع تعبيري اكثر ، منهج التفسير هو الطريق الذي نسلكه بهدف تكوين المعارف ، المفاهيم ، والمعاني والمواقف من النصوص القرآنية ... فالمنهج يتشكل من مجموعة من الضوابط الاجرائية التي يستعين بها الباحث لمواكبة العمل البحثي وادارة العمليات البحثية»[1] .

هذه التعريفات التي اوردها المصطفوي وبيّن من خلالها التوصيف القبليّ عبر ثلاث صياغاتٍ قد ارتكزت على توصيف المنهج بـ(الطريقة والاجراء والطريق).

فإذا كان لتوصيف المنهج على انه (اجراء وطريق) له وجه مناسب في بيان حقيقة المصطلح: ولكن توصيفه بـ(الطريقة) يعدّ من التسامح في الاستعمال والتجوّز لان مفهوم الطريقة يعدّ توصيفا للأسلوب وأقرب للجانب الشكلي الفنّي من حيثية تناول الآيات القرآنية الكريمة.

و يلاحظ على ما اورده من تنوع للتعريفات بان جعل وصف الوظيفة التفسيرية للمنهج مجزأة على التعريفات! فلم تكن محصورة في تعريف واحد جامع ومانع!، وهذا يشتت ذهن المتلقي عن تحديد مقصد المؤلف .

ففي الاول والثاني بيّن إن المنهج يُكشَف بوساطته عن معاني الآيات القرآنية الكريمة، وفي تعريفه الاخير: تكوين المعاني والمعارف!

ويذهب المؤلف الى وضع معياراً في الكشف عن المنهج هو ما يقع جوابا لسؤالنا «بكيف، ونقول: كيف نبحث؟ فالسؤال حينئذ عن المنهج»[2] وهذا التنوّع في التعريفات

([1]) اساسيات المنهج والخطاب في درس القران وتفسيره، محمد مصطفوي (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1 : 2009م) : 24.

([2]) اساسيات المنهج والخطاب: 29.

يشوش فهم المتلقي حول مراد المؤلف، وبالتالي تتداخل خصائص صورة المفهوم، وتتسع دائرة المشكلة بسبب عدم وضوح المراد من المصطلح .

13- عرف السيد كمال الحيدري المنهج التفسيري بقوله: «الكيفية المعتمدة في كشف معاني القران الكريم ومقاصده»[1] ويقول ايضا «فاذا كانت العملية التفسيرية تمثل نفس الكشف عن مقاصد ومرادات القران الكريم فان المنهج التفسيري هو الهيئة التي يقع عليها ذلك الكشف؛ فاذا كانت الهيئة والكيفية علميّة بحثيّة تحقيقيّة فان العملية التفسيرية سوف تكون ممنهجة، والا فهي مجرد ركام معلوماتي لا يزيد الباحث والمتوغل فيها الا بعدا عن هدفه المعرفي والعلمي الذي يصبو اليه وراء العملية التفسيرية»[2] .

وهذا التعريف اعتمد توصيف الكيفية: الصورة (الهيئة) التي يراد للفعل التفسيري ان يكون عليها، او تم وحَصُل (ما هو كائن).

ويبدو على التعريف بأنّ المؤلف ناظرٌ للمنهج من حيثية (الهيئة والمادة) بوصفه دليل لتحصيل المطلوب، ولعلّ ما يؤكد ذلك هو ما صرّح به المؤلف من ان «المنهج يراد به الدليلية بنحو ما فكما أن الدليل هو الطريق الواضح لإثبات المدعى فكذلك المنهج»[3] ، و يميّز بين العملية التفسيرية الممنهجة وما بين غير الممنهجة –ركام من المعلومات– من خلال توافرها على التحقيق والبحث. فهل بعد هذا ممكن ان نصف العملية التفسيرية بانّها عملية تحقيق وبحث؟ او ان التحقيق والبحث يناسب القضايا التي يرغب المفسر بمعالجتها كأن تكون موضوعاتها قرآنية او من الواقع العلمي والحياتي؟ يبدو ثمّة خلط ما بين التفسير والبحث التفسيري! ومما لاريب فيه انّ التعريف يصف المنهج بمفهومه البعديّ.

14- وعرّفتْ الدكتورة فريدة زمرد المنهج التفسيري «الطريقة التي يسلكها المفسر في بيان معاني القران الكريم واستنباط احكامه المختلفة والادوات التي يعتمدها في الكشف عن هذه المعاني والاحكام»[4]

([1]) اللباب في تفسير الكتاب ، كمال الحيدري (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي ، ط1 :1430هـ-2009م): 21.

([2]) اللباب في تفسير الكتاب: 21. ، مناهج تفسير القران، طلال الحسن "من ابحاث اية الله السيد كمال الحيدري" (مؤسسة الإمام الجواد (ع) للفكر والثقافة، دط ،دت): 31.

([3]) م ن: 25.

([4]) نحو دراسة علمية لتاريخ التفسير وتطوّره ، فريدة زمرد : 18-19.

ويبدو ان توصيف (المنهج) بالطريقة يؤدي الى حصول لبس واشتباه فيما بينه وما بين مفهوم (الاسلوب) الذي عرفه بعضهم على انه طريقة ايضا. والتعريف حدد دور المفسر هو بيان المعاني واستنباط الاحكام. وتخصيص الاستنباط بالأحكام يُفَهم منه أحد معنيين: إما ما يخصّ الفقه والشريعة فيكون التعريف خاصّ بمنهج الفقهاء. وإما ان مفردة أحكام مطلقة يُقصد بها الموقف القرآني من الموضوعات المختلفة. ان توظيف مفردة (استنباط) في التعريف قرينة قد تؤكد بان المراد بالأحكام في خصوص (الشرع)، وعليه فان التعريف يوهم ما بين ان تكون دلالته عامّة في التفسير وما بين ان تكون خاصّة تتعلق بتفسير آيات الاحكام الشرعية! .

يُستَخلَص مما تقدّم:

بان بعض التعريفات ذهبت الى وصف مباشر لمفهوم المنهج التفسيري على أنّه (طريق) و(مسلك) و(سبيل) و (خطة مرسومة) و(طريقة)، بينما بعضها عرّف المنهج التفسيري بصورة غير مباشرة من خلال ذكر خصائص المنهج ودوره الوظيفي في العملية التفسيرية، ويظهر ثمّة خلطاً واضحاً بين مصطلحي: (مناهج المفسرين) و (مناهج التفسير) في تعريفات عديدة.

فلابد من التفريق بين مناهج التفسير مجردةً عن استعمال المفسرين وبين مناهج المفسرين الناتجة عن تفاعل المفسر مع الآيات عبر وسائط متعددة ومتنوعة من معارف وادوات...، فالأول اوسع ، ونطاقه اشمل من الثاني[1] ،ولم يتضح في جملة من التعريفات حقيقة اصطلاح (مناهج المفسّرين) هل هو (علما او فنا)؟! بينما ميّز الدكتور عبدالرحمن خليفة المصطلح وَ وَصفه بالعلِم والفنّ[2] .

نعم؛ اقترب تعريف الشيخ السبحاني من التمييز حينما فرّق بين البحث عن المنهج و بين ما عناه من المنهج التفسيري في كتابه[3] وكذلك الدكتور مصطفى مسلم، حين وصف مصطلح (مناهج المفسرين) بانه (عَلَماً) على نوع من انواع علوم القران[4] .

([1]) ينظر : مصطلح الاتجاه في التفسير والفرق بينه وبين المنهج والأسلوب، مراد قمومية ، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 19 / العدد:2، اكتوبر 2018م: 60 .

([2]) ينظر: دراسات في مناهج المفسرين: 3 .

([3]) ينظر: المناهج التفسيرية: 75 .

([4]) ينظر: مناهج المفسرين: 15.

إن التفريق ما بين مصطلح (مناهج المفسرين) الذي اخذ يستقلّ عن مباحث علوم القران[1] بوصفه علما وفنّا لدراسة مسالك المفسرين وما بين مفهوم (المنهج التفسيري)* بصفته دالّاً على البناء المنهجي الذي يسبق شروع المفسر في العملية التفسيرية، فانّه تترتب على هذا التفريق ثمرة كبيرة في معالجة اشكاليّة الخلط الحاصل في المفاهيم والمصطلحات، اذ سيسهل تمييز المنهج التفسيري القبْليّ(قبل الشروع بعملية التفسير) أي فيما يتعلق بخطة المفسّر، عن المنهج التفسيري الذي يُكشف عنه بعد دراسة تفسير المفسر ويوصف بنحو الاضافة (منهج المفسر) ولا يصح بدون الاضافة ليعرف بانه توصيف بعديّ (أي بعد اتمام العملية التفسيرية وصيرورة جهد المفسر في كتاب يتناوله القُرّاء والدّارسين) و«لا شكَّ أنَّ اختلاف الإضافات تدلُّ على اختلاف المصطلحات»[2]!.

وممـا يلاحـظ علـى بعـض التعريفـات عـدم التمييـز بـين التعريـف اللغـوي والتعريـف الاصـطلاحي، الا ان الدكتور عبد الرحمن خليفة ميز بينهما، فوصف مناهج المفسرين بالطرق المعنوية ... بينما عرّفها اصطلاحا بالعلم الباحث...[3] .

وقد ذهب بعضهم الى تعريف المنهج اصطلاحا بـ(الطريق الواضح) من دون تمييز بين وصفه (علم يُبْحث من خلاله عن طُرق المفسرين ومسالكهم) أو هو (ما اعتمده المفسّر في الكشف والإبانة بما يقرب من توصيفه بالخطة المرسومة).

ووُصِفَ بـ(الطريقة) ووظفها بعضهم في توصيف ما يتعلق بالجانب الشكلي الذي يظهر على تفسير المفسر كالترتيب والتنظيم والنسق وغيره، فتداخلت المدلولات وتشابك التوظيف بسب المقاربة المعنائية فيما بينها.

ويلاحظ عليها ايضا؛ اعتماد المعنى اللغوي: (الطريق الواضح)، دون تحديد للمرحلة التي يوصف فيها الطريق بالوضوح؛ لان الوضوح صفة نسبية –وبتعبير المناطقة مفهوم كلي مُشكك – فإنّ المُفسّر قبل شروعه في تفسير القران الكريم كان قد اعدّ خطة مُحْكمة لتطبيقها في كشف معاني القران الكريم، فهل وصف خطته بالطريق الواضح بالنسبة له

([1]) ينظر: دراسات في مناهج المفسرين :3.

(*) استعملتُ مصطلح منهج التفسير دون منهاج التفسير تمشيا مع سير الدراسة من المناقشة والتحليل وحتى بلوغ المعالجة حيث سيتم اعتماد مصطلح (منهاج التفسير) وليس منهج التفسير .

([2]) المحرر في علوم القرآن ، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار (الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط2، 1429هـ - 2008 م): 53.

([3]) ينظر: دراسات في مناهج المفسرين: 3.

قبل شروعه بتطبيقها او حينما يُكشف عن منهجه من خلال دراسة تفسيره بالفحص والتتبع؟ فوصف الوضوح للطريق هل هو بالنسبة للمفسر او هو بالنسبة لمنهجه من قبل الدارسين في تفسيره؟

وستتضح الإجابة عندما نضع كل مفهوم بما يناسب مرحلته من العمليّة التفسيرية وسيُكشف عنها في فصل المعالجة.

واما من اعتمد في تعريف المنهج التفسيري على مفهوم المنهج المُصطلح عليه في علم مناهج البحث العلمي (اصول البحث العلمي) موائما بينه وما بين المعنى اللغوي دونما مراعاة للقبْليّة والبَعْديّة وكذلك دون مراعاة استقلالية مفهوم مناهج المفسرين عن مباحث علوم القران وضرورة فصل مسائله بوصفه (فنا وعلما) يُعتمد عليه في البحث عن مسالك المفسرين –كل ذلك وغيره– أثّر بطبيعة الحال على تحديد المصاديق والافراد والاقسام والاصناف المتعلقة بالمنهج في علم التفسير.

وامتدّت الاشكاليّة الى حصول التشابك بين المفاهيم (الاتجاه والمنهج والاسلوب والطريقة) وصعوبة التمييز بين حدودها بالنسبة للمتلقي وحصول اللبس والاشتباه فيما بين مصاديقها واصنافها وتوظيف ما هو من افراد الاتجاه للمنهج او بالعكس! بنحو يظهر ان بينهما اشترك وترادف ، وكل مؤلف وباحث يتناولها من زاويته وبحسب ما افاده بعضهم بان يرى له الحق في تحديد ما يريده من هذه الاصطلاحات[1].

ويبدو ان السبب الحقيقي هو الخلط بين مفهوم لفظ (منهج) المستعمل في اصطلاح البحث العلمي وما بين المعاني المضافة حديثا للفظ منهج في المعاجم المعاصرة والحديثة.

المطلب الثاني: أصل الوضع والاستعمال لمصطلح منهج:

عند فحص مصطلح (منهج) المستعمل في (اصول ومناهج البحث العلمي) والذي اعتمده المؤلفون والباحثون في مناهج التفسير والمفسرين، وتقصي موطنه الاصليّ، ومن واضعه؟ ولأي مدلول خصّصه؟

يظهر بان مفهوم (منهج) بمدلوله الاصطلاحي يعدّ من المفاهيم الوافدة علينا من فلاسفة ومناطقة الغرب (اليونان) وقد استعمله حكمائهم كسقراط وافلاطون بمعنى: البحث او

([1]) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الرومي : 22/1.

النظر او المعرفة[1] «اشارة الى الطريق المتبعة في اثناء المعرفة ، وكان افلاطون يستعمل لفظ منهج مرادف للفظ المذهب [ثم جُعل] المنهج جملة الطريق الصالحة في مجال ما للحصول على عناصر واشياء جديدة وشيئا فشيئا اصبح هذا اللفظ يستخدم عندما يقع تأمل البنية الصورية للعلوم ولاسيما بنية الهندسة حيث يرتبط مفهوم المنهج بمفهوم النظام والاستدلال الضامن لصحة المنهج العلمي»[2] .

ويرى الدكتور عبد الرحمن بدوي ان مفهوم المنهج لم يأخذ معناه الحالي –اي بمعنى انه طائفة من القواعد العامة المصوغة من اجل الوصول الى الحقيقة– الا ابتداء من عصر النهضة الاوربية ففي هذه الفترة نرى المناطقة يعنون بمسالة المنهج كجزء من اجزاء المنطق[3] ... اما المحاولة الوضحة في عصر النهضة فهي تلك التي قُسِّم المنطق من خلالها الى اربعة اقسام: التصور والحكم والبرهان والمنهج ... والمنهج عنى به خصوصا في البلاغة والادب ... وفي القرن السابع عشر تمت الخطوة الحاسمة في سبيل تكوين المنهج صيغت قواعد المنهج التجريبي، وايضا اكتشاف المنهج المؤدي الى حسن السير بالعقل والبحث عن الحقيقة في العلوم ... ثم حددوا المنهج بعد ان جُعل قسما رابعا من منطق بور رويال بانه : « فن التنظيم الصحيح لسلسة من الافكار العديدة ، اما من اجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين ؛ او من اجل البرهنة عليها للأخرين ، حين نكون بها عارفين . فثمة اذن نوعان من المنهج : احدهما للكشف عن الحقيقة ويسمى التحليل او منهج الحل ، ويمكن ان يدعى ايضا منهج الاختراع ، والاخر وهو الخاص بتعليمها للأخرين بعد ان نكون قد اكتشفناها يسمى بالتركيب او منهج التأليف وممكن ان تدعوه ايضا "منهج المذهب"... ان المنهج الاستدلالي والتجريبي قد تكونا في القرن السابع عشر بصورة واضحة»[4] .

([1]) ينظر: مناهج البحث العلمي، عبدالرحمن بدوي: 3. ، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد: 450.

([2]) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية :450.

([3]) لان المنطق يقسم الى صوري ومادي والاول هو منطق التفكير بوجه عام والثاني هو قواعد التفكير في العلوم الجزئية لكن لما كان المقصود ليس هو المادة العينية بل الشروط العامة للتفكير فسمي هذا المنطق المادي بعلم المناهج لأنه يتناول المناهج العلمية الرئيسية المستخدمة في العلوم المختلفة وحصورها بشكل عام في اربعة : الاستدلال الرياضي وهو منهج العلوم الرياضية ، الاستقراء المستخدم في العلوم الفيزيائية والكيميائية والحيوية ، المنهج التاريخي ، المنهج الجدلي المستخدم في المناقشات العلمية، ينظر : موسوعة الفلسفة ، عبدالرحمن بدوي : 475/2 .

([4]) ينظر: مناهج البحث العلمي ، عبدالرحمن بدوي: 3–5 .

يَخْلُص الدكتور بدوي الى ان فكرة المنهج بالمعنى الاصطلاحي المستعمل اليوم كان بدايته من ذلك التاريخ فيُعرِّفه بـ«الطريق المؤدي الى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل الى نتيجة معلومة»[1] .

ويبدو ان التعريف المتقدم هو من ثمار تعريف الفيلسوف ديكارت اذ قال «انا اقصد بالمنهج قواعد مؤكدة بسيطة اذا راعاها الانسان مراعاة دقيقة كان في مأمن من ان يحسب صوابا ما هو خطا»[2]. وهذا التعريف يركزّ على قواعد معنية ومحددة يتألّف منها المنهج وكأنها جوهر المنهج او فصله المُقَوم؛ فبدونها لا يتحقق وجوده.

ويلاحظ على ما قام به الدكتور بدوي: بان قرن لفظ الطريق بالقواعد! غير ان حقيقة المنهج عند الفلاسفة ليست سوى تلك القواعد وآليات البحث والاستدلال!، نعم؛ الترجمة للعربيّة حصرت ذلك المعنى بلفظ (منهج).

وبالعودة الى قواميس الترجمة نجد ترجمة مفردة: (method) والتي معناها (مَنْهَج) لها أكثر من ذلك المعنى، فهي بمعنى:

«نِظَام ، وَجْه ، أُسْلُوب، وَتِيرَة، نَحْو، نَهْج، مِنْهَاج، طَرِيقَة، مِيزَان، مَنْزَع، مِنْوَال، نَسَق، خطّة ...»[3] .

وكما ان المفردات التي معناها منهج وطريقة في اللغة الانجليزية ايضا لها مرادفات:

"manner ,course , scheme, procedure"[4]

الا في كلمة (curriculum) والتي ترجمت للفظ (مِنْهَاج) وهي تعني المقررات الدراسية، المناهج الدراسية[5] .

ويظهر على بعض معاجم اللغة العربية المعاصرة وخصوصا الحديثة منها انّها ضمنت مفرداتها المعاني الواردة في قواميس الترجمة والنصوص المترجمة المنقولة في التراث، فيكون للمفردة العربية مضافا لمعناها الاصيل مفردات تشترك معها في الدلالة.

([1]) مناهج البحث العلمي، بدوي: 3-5.

([2]) معجم المصطلحات العلمية والفنية ، يوسف خياط : 690 .

([3]) موقع : قاموس الإنجليزيّة الأمريكيّة المتميّز ، الشبكة العنكبوتية:
http://arabic.britannicaenglish.com/ ، وينظر ايضا : معجم المصطحات العلمية :413 (مادة طرق)

([4]) ن م .

([5]) ينظر: موقع :education reform ، https://www.edglossary.org/curriculum/

وعند فحص المدونات والمؤلفات في الدراسات اللغوية والقرآنية كالتفسير ومناهجه واصوله وغيرها مع توجه العديد من مؤلفيها بالتأليف المنهجي فأن بعضهم استعملوا تلك المفردات والمعاني دون الالتفات الى دلالتها الاصليّة من المضافة حديثا بسبب الترجمة، فوُظِّفت معاني عديدة لمفردة منهج فهو طريق واسلوب ومسلك ونظام ونسق وطريقة..

وفي التعريفات – كما مرّت سابقا– اضافوا في وصف المنهج معنى (واضح)، فاختلطت المعاني بصورة فوضوية وكأنها تستعمل للدلالة على امر واحد او انها تصلح لوصف المصاديق على نحو الاشتراك، فمزج المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي الغربي الوافد على نحو الموائمة والمزاوجة في المداليل، دون فحص أصل الوضع ومقصد الواضع ولأي شيء وضعه.

ومما هو ثابت منهجيا اجتناب الترادف في تداول الاصطلاحات العلمية؛ لان استعمال الترادف والاشتراك يوقع في الايهام واللبس ويعدّ «من اخطر الظواهر لأنه مؤد الى افقاد المصطلح العلمي اهم ما ينبغي ان يتصف به : الدقة والخصوصية»[1] .

كما ان الاشتراك «في المجال العلمي الواحد يؤدي الى افقاد المصطلح الدقة والخصوصية»[2] ايضا.

ورد في معجم المصطلحات بان مصطلح (methodology) «كلمة مركبة من "method" أي منهج ، ومن "Logy" وهي مأخوذة من الكلمة الاغريقية "Logos" علم، ويراد بها الدراسة التي تحدد المناهج العامة والخاصة المختلفة للعلوم ، واذن تعريف الكلمة يؤخذ من تركيبها وهو علم مناهج البحث»[3] فهو مصطلح يختزن معنى الكيفية التي تقدمها الدراسات في تحديد الوسائل والادوات البحثية والاستدلالية لمختلف العلوم .

بينما ذهب الدكتور جميل صليبا الى عدّ لفظ (طريقة) بانها تعبير عن آليات وادوات البحث والاستدلال ووصفها ب(المنهج) موردا ذلك عند ذكره المصطلح بالفرنسية (Méthode) ، و بالإنكليزية (method) و باللاتينية (methodus)، ثم يقول:

([1]) من قضايا المنهج في نقل المصطلح العلمي ووضعه وتقييسه في اللغة العربية ، ابراهيم بن مراد (مجلة المعجمية ،العدد 8–1992م): 62 .

([2]) م ن: 64 .

([3]) معجم المصطلحات العلمية والفنية : 690.

ان للطريقة عند المحدثين صورتان اساسيتان: الاولى ان تكون غير محددة تحديدا مسبقا. والثانية ان تكون مبنية على منهاج واضح محدد من قبل، يبين القواعد التي يجب اتباعها ومواطن الزلل التي يجب اجتنابها للوصول الى المطلوب[1] .

ولكن معجم (لالاند) عدّ كلمة (Méthode) بانّها تعني «منهج وطريقة»[2] ، ويشير (لالاند) الى ان المنهج هو مجهود لبلوغ غاية ، بحث ، دراسة ولكن عند القدماء يغلب استعماله بمعنى (البحث)[3] .

كما وتطرّق لجدليّة مثارة : هل يمكن قبْليّا تحديد ورسم خطوات المنهج مسبقا(قبل الشروع) او هو ممالا يمكن اكتشافه الا من خلال عملية فعليّة (ما بعد الشروع)[4]

اذن اختلاف الترجمة اوقع في اشكال دلالي.

ويتلخص مما تقدم:

الجذور الاستعماليّة للفظ (منهج) بمفهومه المستعمل في اصطلاح علم واصول البحث العلمي يرجع الى معنى : البحث ، واُستعمل في توصيف الصورة المرتسمة في الذهن لموضوع او علم معين «فهو لا يملك خارج عمليات الفكر سوى وجود لفظي محض»[5] على رأي القائلين بإمكانية تحديده «بمعزل عن كل مادة وموضوع»[6] وبعبارة اخرى: ان المنهج حقيقته لا تخرج عن فضاء الذهن والمدركات والكلام عنه لفظي وانما يظهر اثره في التطبيق والعمل بمقتضيات الموضوع والعلم .

وممكن تصور المنهج بانّه: ذلك القالب الذي لا يتمظهر الا من خلال موضوعه ولا تتضح معالمه الا من خلال مادّته التي هي تصميم مبسط لتطبيقاته[7] فالمنهج لا تتضح

([1]) ينظر : المعجم الفلسفي : 20/2.

([2]) موسوعة لالاند الفلسفية : 803/2 .

([3]) صورة النص من المصدر؛ موسوعة لالاند الفلسفية: 803/2:

حول **منهج Méthode**. ــ إن كلمة μέθοδος، لدى القدماء ولا سيّما عند أرسطو، تعني غالباً «البحث» فقط، مثلاً: ἡ μέθοδος περι φόσεως, *phys.*, III, 1; 200b 13. وإن ما سمي لاحقاً، **منهجاً**، كان يُسمّى أحياناً τρόπος τῆς μεθόδου؛ أنظر مثلاً: περι ζώων μοριων, I, 5; 646ª 2 والأمثلة الأخرى الواردة عند بونيتز، ورد سابقاً. حتى إنَّ كلمة **منهج** تستعمل أحياناً مرادفاً لـ: .... *Théétète*, XXVIII, (حسب العقيدة القائلة بحركة كل شيء). (حسب تعليقات ر. **أويكن وج. لاشليه**).

([4]) ينظر: م ن : 804/2 .

([5]) ينظر: م ن :804/2.

([6]) م ن:804/2.

([7]) م ن:804/2.

ماهيته الا بعد انتزاعه من مظاهر موضوعه التي اصطبغ بها وتجريده من مكونات العلم الذي تمثّل فيه كنموذج معرفي .

فلم تخرج التعريفات الاصطلاحيّة مهما تنوعت واختلفت وتعددت في زوايا النظر عن بيان كيفيته في «السلوك النظري او العملي الذي ينبغي ان نتوخاه من اجل بلوغ غاية محددة»[1] .

ومما تقدّم يظهر ان «علماء المسلمين- لم يعرفوا- اصطلاح منهج بمعنى جملة القواعد العامة المصوغة من اجل الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها في فرع من فروع المعرفة الا في العصر الحديث»[2] ويعدّ الاصطلاح وافدا من حيثية منشأه.

المطلب الثالث: توظيف مصطلح(منهج) في الدراسات التفسيرية:

مما لا شك فيه ان اغلب المصطلحات لها أصل في الالفاظ العربية بما لا تخرج عن فضاء المعنى المعجمي (أصل الوضع)، وعليه ذهب جملة من الباحثين الى عدّ مصطلح (منهج) -بما هو مفهوم وافد- له أصل في اللغة العربية ينسجم مع الدلالة الاستعمالية الرائجة في البحث العلمي، مستبعدين فكرة ان يوضع لفظ بإزاء مفهوم وعدّه مصطلحا بمعزل عن أصل الوضع (المعنى المعجمي) حتى وان كان مصطلحا وافداً وضع من قبل حكماء اليونان، إلا ان الحقيقة غير ذلك في الالفاظ الوافدة والدخيلة على منظومة مصطلحات ومفردات الدراسات الاسلامية.

انّ لإدخال المنطق والفلسفة على الثقافة الاسلاميّة بعد انتهاء عصر النبوّة أثرٌ كبير في الحياة العلميّة ومجالات البحث وطرائقه.

وتعدّ قضية جواز او عدم جواز استعمال الفكر الوافد قضية مثيرة للجدل، قد حدثت في الماضي صدامات ومماحكات فكريّة معقدة وفي ضوئها أُصدرت الفتاوى بتكفير من يتناول الفكر المنطقي والفلسفي الوافد من اليونان بل ينظر بعين الريب في المنتجات

([1]) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ، جلال الدين سعيد :450.

([2]) منهج التفسير الموضوعي للقران الكريم ، سامر عبدالرحمن رشواني(حلب : دار الملتقى ، ط1: 1430هـ-2009م) : 32.

الفكرية لمن مزجهما بعلوم الدين[1] ، إذ كان يخشى المانعون من انحراف الفكر الاسلامي الاصيل بسبب الاختلاف القائم بين خصائص اللغة اليونانية والثقافة التي يستند اليها المنطق الارسطي وغيره ، وبين خصائص اللغة العربية والثقافة الإسلامية المبنيّة على الوحي وتعاليم النبي الاكرم[2] .

ويذهب البعض الى ان هذه العلوم راجت في الاوساط العلمية نتيجة اختلاط المسلمين بالفرق المختلفة من امم البلاد المفتوحة بيد المسلمين وعلماء الاديان وغيرهم، وفي أواخر القرن الاول من الهجرة انتشر البحث الفلسفي بين الباحثين من المسلمين[3].

وايضا ساعد على ذلك رواج الترجمة؛ وذلك في حركتها الاولى من اواخر القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) التي (أسست للترجمة) ، ومزج الثقافة عن طريق اللغات الاعجميّة ، وفي حركتها الثانية المعبّر عنها ب(حركة الاحياء) على نقل الاثار العلمية الاوربية الى العربية فكانوا المؤسسين لثقافة جديدة تختلف في كثير من مفاهيمها ومصطلحاتها عما عرفته الثقافة العربية في الجاهلية ثم في القرنين الاول والثاني من مفاهيم ومصطلحات[4] ، ومعلوم انّ ذلك يؤثّر بشكل من الاشكال في الفكر العربي الاسلامي[5] .

وبغض الطرف عن الافراط والتفريط في قبول او رفض استعمال هذان العلمان وغيرهما من العلوم والاصطلاحات الوافدة، ما يرغب الباحث بقوله:

ان ثمّة تسامح في استقبال المصطلح الوافد دون اخضاعه لعمليات: هدم، وبناء، وفلترة، بغية بناءه على اسس عربية اسلامية اصيلة، وتنقيته مما هو هجين لا يتناسب مع اهداف ومقاصد العلوم الاسلامية.

([1]) ينظر: مناهج البحث عند مفكري الاسلام ونقد المسلمين للمنطق الارسطاليسي، علي سامي النشار (الناشر: دار الفكر العربي ، ط1 :1367هـ-1947م): 143. وعقد ثلاثة ابواب حول موقف الأصوليين والفقهاء والصوفية من المنطق الارسطاليسي ؛ اساسيات المنهج والخطاب، محمد مصطفوي: 118.

([2]) ينظر: اساسيات المنهج والخطاب: 119.

([3]) ينظر: الميزان في تفسير القران ، محمد حسين الطباطبائي: 1/5-6.

([4]) ينظر: من قضايا المنهج في نقل المصطلح العلمي ووضعه وتقييسه في اللغة العربية ، ابراهيم بن مراد ، مجلة المعجمية- تونس ،العدد 1992/8م :45-68.

([5]) ينظر : مناهج البحث عند مفكري الاسلام ونقد المسلمين للمنطق الارسطاليسي: 136-138 ؛ مناهج المفسرين ، مساعد مسلم آل جعفر :172- 178 .

وكذلك دون إخضاعه (للفحص التخصصي الدقيق) للوقوف على اعماقه والتحقيق في دلالته بغية فحص تكيفه الدلالي وهل يحقق انسجاما في علاقاته الدلالية مع مصطلحات العلم الاخرى او يتقاطع معها؟ مما يؤدّي الى زجّ المساق الدراسي ونظام المعلومات بإشكاليات فكرية ومطبّات بحثية متتالية سيّالة لا تستقر على معالجة يطمئن لها القلب وتستقر له النّفس!

ويبدو ان لتأثير الترجمة دور في ظاهرة الخلط والتداخل بسبب استعمال المعاني المتقاربة، خصوصا اذا عُلِم مستوى المُترجِم الثقافي (البطاقة العلمية) –شخص كان او لجنة متخصصة– فالمُترجم المتخصص في مجال علم التفسير سيكون ملتفتا لخصوصية المصطلح ، بخلاف لو لم يكن من اصحاب التخصص، فان مصطلح (المنهج) بمفهومه الاصطلاحي الوافد تناوله الكثير من المؤلفين والباحثين وخصوصا اولئك الذين تأثروا بالفكر الاستشراقي[1] دون ان يمحصّوا سلامته الدلالية والفكرية بما يتلاءم مع الثقافة العربية الاصيلة واصول الفكر الاسلامي، و زجّوا به في الدراسات القرآنية والدرس التفسيري ، وعلل بعضهم بان الذي دفعهم الى ذلك هو الاحتياج المعرفي اما على نحو الاقتراض او الاستيراد كما يعبرون[2] بغية التطوير والتنظيم لمسائل العلوم وطرق البحث، ومواكبة الثقافة العصرية اما بهدف دفاعي عن الاسلام وتبرئته عن التخلّف[3] او بدافع الحاجة للتنظير فيكون المصطلح الوافد ضالّة الباحثين والسبيل المؤدي اليه هو العثور[4] دون ان «تقفه الجمارك عند الاستقبال في حدود الامة الحضارية للسؤال والتثبت من حسن النية ودرجة النفع والملائمة للهوية»[5].

([1]) ينظر : اثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الاسلامية ، محمد خليفة حسن(ج. م .ع ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، ط1 ،1997م) : 87–89 ؛137 .، مناهج المفسرين من العصر الاول الى العصر الحديث ، محمود النقراشي السيد علي(القصيم : مكتبة النهضة ، ط1 ، 1407هـ–1986م): 115.

([2]) ينظر: من قضايا المنهج في نقل المصطلح العلمي ووضعه وتقييسه في اللغة العربية:47.

([3]) نظر: اتجاهات التفسير في العصر الراهن : 110، 124.

([4]) ينظر: المصطلحات الوافدة واثرها على الهوية الاسلامية، الهيثم زعفان (القاهرة : مركز الرسالة للدارسات والبحوث الإنسانية، ط 1: 2009م) : 23.، نظرات في المصطلح والمنهج ، الشاهد البوشيخي(فاس: انفو – برانت، ط3 : 2004م) : 11 ؛ 54.

([5]) نظرات في المصطلح والمنهج : 54–55.

يبدو ان ادخال الفكر المنهجي بأصوله ومقرراته وطرقه (الميثودولوجيا)[1] على منظومة علم التفسير دون دراسة شاملة وعميقة في اساسات وجذور المصطلحات المستعملة في علم المنهج تسبب في مشكلات اصطلاحيّة؛ إذ لم تُراعى إجراءات تهذيب المصطلح الوافد عبر عمليات الهدم والبناء وفق خطة علمية شاملة حاسمة تقوم بوضع المفاهيم في مختبرات التحقيق ريثما يثبت انسجامها مع كل ادوات ووسائل عملية تفسير النّص القرآني، فان المصطلح الوافد (ظنين) حتى تثبت براءته بتعبير البوشيخي[2] .

ان تلقّف المفاهيم دون فحص ودراسة –كما اسلفت– تسبب في الوقوع في اشكاليات كثيرة منها التوظيف الفوضوي فكل مؤلف يُكيّف المصطلح مع رؤيته ويستعمله بما يناسب مقتضيات بحثه فأنتج ذلك خلط المفاهيم واضطرابها وبالتالي اوقع المتلقي «الدارسون والباحثون) في اللبس والايهام مما أثّر على نتائج الابحاث وبدت بصورة متقاطعة ومضطربة وبعضها قد تصل الى درجة المساس بمسلّمات العقيدة واصول الايمان*.

مما تقدّم: يعد لفظ (منهج) بمفهومه المستعمل في اصطلاح البحث العلمي وافد على الثقافة العربية والاسلامية فجذوره تضرب في اعماق الثقافة اليونانية.

ويترتب على ذلك: اعتماد المعنى اللغوي الموجود في المعجمات المعاصرة والحديثة في ارجاع المصطلح الوفد اليه لا يخلو من إشكال.

وارجاع لفظ منهج الى أصله الثلاثي: (نهج) لا ينسجم معناه مع أصل الوضع لمدلول مفردة (method) التي تُرجمت الى معنى لا يتطابق بصورة دقيقة مع معنى (نهج) بما مرّ سابقا.

وقد يقال: ورد لفظ منهج في المعاجم القديمة بمعنى (طريق) كما في معجم مقاييس اللغة لابن فارس وغيره فكيف لا يتطابق؟

([1]) هو العلم الذي يدرس المناهج البحثية المستخدمة في كل فرع من فروع العلوم المختلفة.

([2]) ينظر: نظرات في المصطلح والمنهج : 55.

(*) فعلى سبيل الايضاح والمثال : ان طبيعة المنهج المستورد والوافد يبحث في الحقائق من منطلقات الشك أي ان الوقوع او لا وقع متساويان عند الباحث بحيث تكون فرضية البحث موضوع للأثبات او النفي حسب جهد الباحث وما يصيبه من معطيات ... بينما تعد بعض الفرضيات عند المسلم حول نزول القران هي عقيدة ثابتة ومن المسلمات ، وكذلك فيما يعرف بالتفسير العلمي (المكتشفات والمخترعات) فما يفعله الباحث المسلم استنادا لطبيعة المنهج المستورد هو سير تصوري للمفاهيم والقضايا فيدور من مُسَلّم ليعود اليه دون الخروج عن محيط المسلمات وهذا امر يتعارض مع جوهر المنهج الغربي والاستشراقي.

قلتُ: لكنّ لم تجتمع كلمة أصحاب المعاجم القدماء على ما ذهب اليه (ابن فارس) بل تقاربت آراءهم في ان معنى مفردة نهج هو الوضوح.

ويظهر من الشواهد النثرية والشعرية الواردة في تراث العرب بان أصل الوضع والاستعمال هو في (الشيء الواضح) أعم من ان يكون طريق وطريقة ومذهب.

وان بِنْية الكلمة في صيغتها الصرفية وما يظهر في مستوياتها الصوتية تعطي معاني مختلفة من حيث الدقّة والمطابقة، ولكنها بالتضمن والتلازم تبدو متقاربة.

ان لفظ (نهج) يختزن معاني (الوضوح والبروز والظهور والتتابع والامتداد والتعاقب)

لهذا نجد استعمالهم له في المبهور اي منْقَطِع النَّفَس، وفي (الحديث) أنّه رأى رجلا ينهج- أي يربو من السمن ويلهث، ويطلق على الشيء الرّث المتهالك عندما يخلِق ويبلى كالثوب او غيره فيقال أنهجَه البِلَى[1] .

ان الملازمة ما بين لفظ نهج وما بين الطريق هي من باب أقرب المصاديق، وجريان العادة في الاستعمال أحكمت الملازمة.

ويؤكد (ابن سيده) بان (النهج) بمعنى الوضوح ومنهج الطريق: وضَحُه ؛على ما جاء في كتاب المخصص مسندا عن الفراهيدي[2] .

ولا يمكن ان يكون الطريق واضحا الا بعناية نسبته للمُنكشف له، وهذا لا ينطبق الا على التوصيف البعدي سواء كان الانكشاف لدى المفسر بعد تأسيسه لـ(خطته التفسيرية)

([1]) من جملة الشواهد النثرية والشعرية: حديث العباس: لم يَمُتْ رسولُ الله صلى الله عليه واله سلم حتى تَرَكَكُم على طريقٍ ناهِجةٍ أَي : واضحةٍ ؛ وفي ادعية الصحيفة السجادية : " وانهج لي إلى محبتك سبيلا سهلة" اي اوضح ، وبقرينة سبيلا يثبت المطلوب .

وقول الشاعر يَزِيد بن خَذَّاق « وهو من شعراء العصر الجاهلي»: ولَقَدْ أَضَاءَ لَكَ الطَّرِيقُ وأَنْهجَتْ ... سُبُلُ المَسَالكِ والهُدَى يُعْدِي؛ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار(بيروت: دار العلم للملايين، ط4 ، 1407هـ - 1987م) : ٣٤٦/١.

وقال الغريفي العنسي: جعلنا لهم نهج الطريق فأصبحوا...على ثبت من أمرهم حيث يمموا : معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي تح: إحسان عباس (بيروت : دار الغرب الإسلامي، ط1 : 1414 هـ - 1993 م): 4/ 186-187.

؛ وقول الراجز : مَنْ يكُ فِي شَكٍّ فَهذَا فَلْجُ... مَـاءٌ رَوَاءٌ وَطَـرِيقٌ نَهْجُ: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عبد الله بن عبد العزيز البكري، تح: مصطفى السقا (بيروت: عالم الكتب، ط3، 1403هـ):1027/3 .

([2]) ينظر: المخصص، علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، تح: خليل ابراهيم جفال (بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ط1 : 1417هـ- 1996م) : 3 / 307، 39/4.

فيفصح عن وضوحه عنده، وعلى: طريق المفسر الذي سلكه في تفسيره؛ حينما يُكشف عنه بعد دراسة كتابه من قبل الدارسين فيعبر عنها–الخطة– بالطريق الواضح .

غير ان توصيف (الخطة التفسيرية) بـ(المنهج) لا ينسجم مع حقيقة مفهوم منهج (الاصطلاح الوافد). وان مفهوم الخطة التفسيرية هو البناء التصوري الذي يعتقد المفسر بصحته، وسلامة نتائجه قبل شروعه بالعملية التفسير، فتكون صورتها واضحة في ذهنه ويستطيع ان يعبّر عنها للأخرين، وتكون راكزه في وعيه وتصحبه طيلة ممارسته للعملية التفسيرية، فوصفها ب(المنهاج) أقرب لمدلوله الذي لا يطلق الا على (الطريق الواضح) لا على (منهج) على ما سياتي بيانه في فصل المعالجة لاحقا.

ويبدو ان الدكتور سامر رشواني، لم يراعِ فحص النصوص الواردة في المعاجم عن معنى المنهج وما فيها من فروق دلالية واختلافها عن حقيقة الاصطلاح الوافد، فقرر بان: علماء المسلمين لم يكونوا يعرفوا المنهج بمفهومه الاصطلاحي الوافد (قواعد واصول البحث العلمي) وانما كانوا يستعملون مفردات عديدة تقرب من معناه اللغوي: كـ«الطريق الواضح» ، «أسلوب الشاعر او الكاتب»، «المذهب المتبع»[1] .

وهذا التقرير من الدكتور لا يخلو من فائدة لكن يبدو انه اعتمد على ما جاء في تلك المعاجم من معاني تقرب من مفهوم المنهج الاصطلاحي بنحو مسلّم ومفروغ من التحقيق في صحة المقاربة، وقد تبين فيما سبق عدم دقّة الاستنتاج القائل بان المنهج هو الطريق الواضح وبانه أسلوبا ومذهبا بغية الموائمة مع مفهومه الاصطلاحي الوافد؛ فهو استنتاج متأخر استُمِدت معطياته من المعجمات الحديثة التي ضمنت مفرداتها معاني ومفردات حادثة.

وعليه: فان ذلك الاستنتاج تبقى ثغرة عدم دقّة المقاربة فيه؛ لانّ المعاجم القديمة لم تتفق نصوصهم و تتضح مقاصدهم بصورة جزمية وقطعية – على ما يظهر لي– حول معنى (نهج ؛ منهج ؛ منهاج)* الا في صيغة (منهاج) اذ ورد في التنزيل الحكيم {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة: 48] و«المنهاج في هذا الموضع –النظام العملي– ليدل على الطريقة التي يسلكها الناس لتطبيق الشريعة الاسلامية ... وقرنت الآية الشريعة بالمنهاج، لان الشريعة تمثل الجانب النظري من التعاليم الإلهية، بينما يمثل المنهاج

([1]) ينظر: منهج التفسير الموضوعي للقران الكريم :32.

الجانب العملي التنظيمي للتشريعات الإلهية»[1] ويبدو ان هناك ما يشبه الأجماع لدى المعجميّون والمفسرون بان لفظ (منهاج) هو خصوص (الطريق الواضح) على ما افاده ابن الانباري[2] فكيف ساغ الاطمئنان لما جاء في المعاجم مع ما يظهر في عباراتهم من اختلاف ؟! .

وذهب الدكتور الرشواني اِلى ان اللفظ المرادف لمصطلح (منهج) بمفهومه الحديث؛ هو لفظ (اصول) المستعمل في علوم كثيرة كالفقه واصوله للدلالة على (القواعد الكليّة) التي تستند اليها هذه العلوم[3] ! .

ولكن المصطلح الحديث للمنهج لا يتألف من قواعد كليّة فقط بل ان أحد عناصره هو وجود القواعد الكلية!، ذكر الدكتور ذلك دون ان يرشد الى اي مصدر يثبت مُدّعاه.

وان كان ما ذكره يسهم في كشف جزء من الحقيقة الا ان العلماء لم يعنو باستعمالهم مفهوم اصول بما نعرفه اليوم عن المنهج الاصطلاحي!

ولو انه ذهب الى المقاربة بين المدلولين ربما سيكون لاستنتاجه وجه؛ لكن عدّ مفهوم (اصول) مرادفا للمنهج لا يخلو من اشكال!؛ لاختلاف أصل الوضع الاصطلاحي بين المفهومين، فما اصطلحوا عليه بانه (أصل) يعدّ من مكونات المنهج في الاصطلاح الحديث والوافد، فمفهوم (المنهج) يعدّ أشمل وأعم من مفهوم (الأصل).

ويبدو بعد اطلاع علماء المسلمين المتقدمين على مدونات الاغريق المنطقية والفلسفة اليونانية تأثروا بمسالكهم البحثية، واعتمدوا اصطلاحاتهم في عمليات النظر والاستدلال في مؤلّفاتهم الكلامية والعقدية والفقهية حتى ان «المتأخرين جعلوا علم المنطق جزءا من علم الكلام»[4] .

(*) وقد اتضح في الشواهد الشعرية والنثرية انهم يستعملونه مطلقا في الشيء الواضح البارز المتتابع وليس ان أصل اللفظ يدل على الطريق فضلا عن الواضح.

([1]) جدلية العلاقة بين المنهج العلمي والدراسات الانسانية –المفاهيم والتأثر، احمد عبدالجبار فاضل ، مجلة مداد الآداب / عدد خاص بالمؤتمر السنوي الرابع (العلوم الانسانية والتنمية الشرية المعاصرة) لكلية الآداب الجامعة العراقية ، 1436هـ- 2015م : 586 .

([2]) تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بابي حيّان الاندلسي :3/ 513-514 .

([3]) ينظر: منهج التفسير الموضوعي للقران الكريم :32-33.

([4]) ينظر: مناهج البحث عند مفكري الإسلام، علي سامي نشار: 13-14 ، -33،47 ، وفي ص 56 ذكر المؤلف "ان المنهج الاصولي هي الطرق التي يسلكها الاصولي في استنباط الاحكام" ، وذكر في ص55 تعريف الزركشي لا صول الفقه واصفا ايها مجموعة طرق الفقه من حيث انها على سبيل الاجمال وكيفية الاستدلال بها وحالة المستدل بها

واما ما اصطلحوا عليه بأصول التفسير مؤخرا فهذا يعني ان العملية التفسيرية لم تكن عشوائية وانما وجدت ضوابطها ملازمة معها من قبل ان تصنّف التفاسير الكاملة[1].

ويبدو ان ثمة وجهاً مناسباً لمن ذهب الى انّ العلماء سابقا استعملوا لفظ (اسلوب) كمصطلح يقرب من مدلول لفظ (منهاج) ولكن فيما يرجع الى المسائل اللغوية على ما افاده الدكتور محمد مصطفوي، وذكر بان مورد استعماله في خصوص الدراسات الادبية والبيانية مستندا على ما افاده ابن خلدون في مقدمته[2] ، وهو وان كان رايا موثّقا الا ان تخصيصه بالدرس اللغوي والبياني تقييد لموارد استعماله على ما يأتي في مبحث الأسلوب.

اذن من المستبعد ان تكون العلاقة بين المنهج والاصول مترادفة؛ لانّ «الاصول والقواعد والضوابط توضع لتكون موازين للفهم والادراك منعا للانحراف»[3] .

وبلا شكّ استناد المفسرين في العملية التفسيرية لم يكن على (القواعد الكلية) الموصوفة بالأصول فحسب بل هي أحد عناصر ومفردات الخطة التفسيرية التي ينبغي تسميتها ب(المنهاج) ولكن دون ان يكون لها وظيفة المصطلح ودوره لكي تكون مرادفا له.

ويظهر وجه الاشكاليّة جليّا: في تحديد أصل اللفظة الموضوعة للاصطلاح الوافد فكل من حسب ان أصله من (نهج) كان تحديده غير دقيق بل أقرب للاشتباه.

وتعمّقت الإشكالية وتجذر التشابك حينما أُخِذَ المعنى اللّغوي ومُزج مع دلالة المصطلح الوافد على نحو التوليف والتلفيق والمجانسة، بل لا تزال حدود مصطلح (المنهج) المستعمل في علم التفسير غير ثابتة سعة وضيقا ؛ بل المصطلح «مُخْضَع في الغالب في دلالته ومفهومه لدلالة المصطلح الاعجمي ومفهومه»[4] .

ان إقحام علم المنهجة في الدراسات القرآنية والتفسير دون تروي بغية فلترة المفاهيم ومعالجة التقاطع الفكري، أحدث اضطرابا معرفيّا بسبب الاختلاف في الافاهيم المصنوعة

" كما ان الزركشي عرف النظر في الِاصْطِلَاحِ : الْفِكْرُ الْمُؤَدِّي إلَى عِلْمٍ أَوْ ظَنٍّ ... ويوضح دور النظر في علم الاصول في الطلب ويعنون به البحث ...؛ ينظر ايضا : مناهج المفسرين ، مساعد مسلم :178-180.

([1]) ينظر: مناهج المفسرين: مساعد مسلم: 116-117.

([2]) ينظر: اساسيات المنهج والخطاب ، محمد مصطفوي : 26-27.

([3]) أصول التفسير وقواعده ، خالد عبد الرحمن العك (بيروت : دار النفائس، ط2: 1406هـ-1986م): 34.

([4]) ينظر: من قضايا المنهج في نقل المصطلح العلمي ووضعه وتقييسه في اللغة العربية: 51.

استنادا لثقافة كل حضارة وخصوصياتها ومع هذا فان التفكير المنهجي دائما في حالة تطور مهما كان مصدر قواعده وان مرّ في فترات من الركود والجمود.

ومما ينبغي تسجيله: ان الجهد المنهجي في مجال الدراسات الاسلامية عامة والتفسير خاصة لم يأخذ حيّزا من الاهتمام الجاد في كيفية تطويع الافاهيم المستوردة والوافدة واسلمتها. وان بعض المؤلفات ينقصها الدقة والموضوعية ويغلب عليها الطابع الموسوعي والمعلومات العامة ولم تبلغ مستوى الاختصاص والحرفية[1] .

المطلب الرابع: توظيف المعاني النّاتجة عن الترجمة:

يلاحظ على بعض مؤلفات (مناهج التفسير والمفسرين) تأثّر مؤلفيها بمعاجم اللغة العربية المعاصرة اذ تناولوا وصف مفهوم (منهج) استنادا لما اضيف الى مفرداتها من معاني جديدة. وبالرغم من حرص بعض مؤلفي المعاجم المعاصرة على تنبيه الباحثين والقُرّاء الى ضرورة مراعاة الرموز التي تشير بكون اللفظ معرب او دخيل او مولد او محدث[2] .

ومع هذا مرَّ في التعريفات من وصف المنهج بالطريقة[3] ، وقد ذُكِر بانّ مفهوم (الطريقة) مرادف للفظ (منهج) في الاصطلاح الوافد[4] .

وبناء على ذلك فهل يصح توصيف (الطريقة) في اللغة العربية بـ (الطريق الواضح)، بناء على من يذهب الى استعمالهما وكأنهما مترادفين؟

وهل حينئذ ستكون طريقة التفسير او المفسر هي (طريق) كما وصفها البعض[5] ؟!

يبدو الخلط واضحا ما بين المعنى اللغوي وما بين المدلول الاصطلاحي الوافد، وان توظيف جملة من المفردات التي أُدرِجَت مؤخّرا في المعجمات الحديثة في العلوم الانسانية القائمة على مراعاة اصول البحث العلمي وطرائقه، ونتيجة تداول تلك المفردات التي انتجتها قواميس الترجمة (من الانجليزية الى العربية) وتوظيفها بالشروح وبالإيضاحات في الدروس والمحاضرات ؛ مما جعل المتلقي (الدارس والباحث) يوردون اكثر من لفظ من

([1]) ينظر: اساسيات المنهج والخطاب: 121.

([2]) ينظر: المعجم الوسيط :31 (المقدمة) .

([3]) ينظر: اساسيات المنهج والخطاب: 24 ؛ تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: 18 .، ابن جزي ومنهجه في التفسير: 1/ 338 ؛ المناهج التفسيرية في علوم القران: 75.

([4]) ينظر: أصول البحث، الفضلي: ٤٩ ؛ منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية : 14.

([5]) ينظر : تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: 18.

مفردات المعاني المتقاربة المستعملة في التوصيف والتصنيف، فيقال: منهج وطريقة واسلوب وطريق ومذهب ونمط و... الى أخره، ويظن المتلقي انها مفاهيم مجعولة لشيء واحد! .

وعلى ما يبدو هذا ما جعل الكثير من الباحثين يرجعون في الكشف عن معنى المصطلح الى اللغة العربية دونما ان يفحصوا عن منشئه واصوله الموضوعة ابتداءً: هل كان الواضع عربيا او غير عربي؟

والذي يبدو ان السِّر في الخلط هو توهم ان كل مصطلح بُني على المعنى اللغوي العربي!، فمن يريد تعريف (الطريقة) ينبغي ان يعود الى جذورها العربية!

وعند العودة الى معاجم اللغة العربية القديمة نجد ان : طَرِيقةُ الرجل : مذهبه، و يقال ما زال فلان على طريقة واحدة أي على حالة واحدة، وفلان حسن الطَّرِيقة، والطَّرِيقة : الحال، يقال: هو على طَرِيقة حسَنة وطَريقة سَيِّئة ، والطريقة السِّيرة والطَّرِيْقَة: أماثِلُ القَوْم، هؤلاء طَرِيْقَةُ قَوْمِهم، والجميع طَرَائقُ[1] .

ولم يرد في هذه المعجمات معنى للطريقة يتعلق بالـ(منهج) بمفهومه الاصطلاحي الوافد فكيف عدّها من عرّف المنهج بانه طريقة!؟

نعم قد يكون معنى (مذهب) مقاربا له ولكنّ لا ينسجم مع مدلوله.

بينما تناولت المعاجم المعاصرة كلمة طريقة بمعنى (مسلك ونهج واسلوب) يقول صاحب معجم الصواب اللغوي: «يمكن تصحيح استعمال (طُرُق) جمعًا لـ (طريقة) اعتمادًا على وجود نظائر لها في اللغة كصحيفة وصُحُف، ومدينة ومدن، وسفينة وسفن، أو على أنها جمع (طريق) بمعنى المسلك أيضًا، وقد ذكرها الأساسي جمعًا لكلمة (طريقة)»[2] .

لهذا اغلب من وصف (المنهج التفسيري) بالطريقة انما اعتمد على ما جاء في المعاجم الحديثة: «نَهْج؛ أسلوب ومسلك ومذهب طريقة علميَّة: طريقة منظمة تقوم على جمع المعلومات بالملاحظة والتجريب وصياغة الفرضيات واختبارها، ومفردها طريقة وجمعها طُرق وطرائق»[3] .

([1]) ينظر: مختار الصحاح: 403. ، لسان العرب (مادة طرق).، المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد: 319/5.

([2]) معجم الصواب اللغوي :1/ 506.

([3]) معجم اللغة العربية المعاصرة :2/ 1398.

وبهذا يتضح الخلط في توظيف المفاهيم لتوصيف المنهج التفسيري، ومالم يصار الى هدم واعادة بناء المصطلح وتنسيق لبناته ومقاساته مع المصطلحات الاخرى بما يحقق الانسجام في اطار المفاهيم التفسيرية فان الاشكاليّة ستبقى سيّالة لا تتوقف؛ لان المعاجم العربية والانجليزية لم تراعِ خصوصيات العلوم الدينية والتفسيرية فكيف ساغ توظيف اللفظ دون اعادة بناء واعتماد خطة شاملة لصناعة المفاهيم بآليات شرعية تقوم على أسلمة المصطلح وتهذيبه .

المبحث الثاني: مفهوم الاتجاه التفسيري وتعريفاته

تُذكر احياناً الى جانب مناهج التفسير: (الاتجاهات) وقد مرّ في المسار التاريخي بان الاصطلاح الرائج كان هو الاتجاه غير ان الاشكالية الواضحة في كثير من المؤلفات عدم تناول دلالته الاصطلاحية، وتشابك مفهومه مع المفاهيم الاخرى، وفي هذا المبحث يكون الكلام عن مفهوم الاتجاه على عدّةٍ مِنَ المطالب:

المطلب الاول: استعمال المفهوم في ضوء غياب التعريف الاصطلاحي:

من اوضح مصاديق الاشكاليّة :غياب تحديد المصطلح وتعريفه[1] ، اذ ان من ثمرات تحديد المصطلح رفع الغموض، ولا يحصل لبس وايهام بسبب المقاربة مع المفاهيم الاخرى من حيثية الخصائص والما صدق.

اُستعمل لفظ اتجاه في المؤلّفات –التي لم تُحدّد تعريفا له – في كيفيات متنوعة؛ اتحدتْ في مدلوله الوصفي، واختلفتْ في تفاصيل مجالاته وما يرتبط في سعة مفهومه.

ومن هذه الكيفيّات: أُستعمل على نحو يلازم مصطلح مناهج التفسير من حيثية النشأة والتكوّن الى درجة قد يصعب التمييز و يعسر الفصل بينهما[2] .

إذ يلاحظ استعمال لفظ الاتجاه مقترنا بلفظ منهج في موارد كثيرة ، ويبدو ان علّة ذلك هو اقتراب المفهومين في الوظيفة: (التوصيف والتصنيف) ، والاشتراك في بعض المصاديق[3] مما يوقع المتلقي في الايهام واللبس .

([1]) ينظر: كتاب الاتجاهات المنحرفة في تفسير القران الكريم دوافعها ودفعها، محمد حسين الذهبي(الناشر: مكتبة وهبة ، ط3 : 1406هـ–1986م) ، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، عبد المجيد عبد السلام المحتسب . مناهج تفسير القران، طلال الحسن؛ التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، فضل حسن عباس؛ مسير التفسير "الضوابط والمناهج والاتجاهات" ابراهيم عوض؛ تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي؛ التيسير في أصول واتجاهات التفسير، عماد علي عبد السميع (الإسكندرية: دار الإيمان، دط: 2006م).

([2]) ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ،صلاح عبد الفتاح الخالدي : 38–40 .، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، فهد بن عبدالرحمن الرُّومي :1/ 415–419، مناهج المفسرين من العصر الاول الى العصر الحديث، محمود النقراشي السيد علي:38/1 ؛ مناهج التفسير واتجاهاته ، محمد علي الرضائي : 20 ؛ لمحات في علوم القران واتجاهات التفسير، محمد بن لطفي الصّباغ (بيروت : المكتب الإسلامي ، ط3 :1410هـ–1990م) : 260–261 ؛ البغوي الفراء وتفسيره للقران الكريم ، محمد ابراهيم شريف :296 وما بعدها .

([3]) ينظر: دراسات في أصول تفسير القران الكريم، محسن عبدالحميد(المغرب : دار الثقافة ، ط2 :1404هـ–1984م) :146 ، 148 .، وصف التفسير العلمي بالاتجاه ، ثم في ص151،150 يصفه بالمنهج ، ثم في ص151 نفسها يعود يسمه اتجاه ؟! ولّعل المصنف يراهما من الالفاظ المترادفة –والله اعلم! وكذلك ينظر: التيسير في أصول واتجاهات

واستعملت مفاهيم متنوعة في الدلالة عليه، بعضها بألفاظ مقاربة له في الدلالة: كالمذهب والنزّعة[1] .

وبعضها الاخر يكشف عن وجوده: كالصِّبغة واللون، وغلبة او طغيان: الاهتمام، الميول، التخصص[2] .

وتُدْرَج – احياناً– افراد أو مصاديق تلك المفاهيم تحت لفظ (اتجاه) فيكون عنوانا لها؛ وهي كاشفة عنه[3] .

ويلاحظ على بعض المفاهيم مرونتها في الاستعمال كمفهوم (اللون) وُظِّفَ في موارد خارج اسرة المفاهيم المتعلِّقة بالاتجاه. أو الاختلاف في توظيف بعض الاقسام بين: المنهج والاتجاه واللون! مما يُوهم بانّه من المفاهيم المشتركة بين الاتجاه والمنهج وبالتالي يحصل خلط بين مصاديقهما واصنافهما...[4] .

وقد ورد عن المتقدمين كلاما عن معنى الاتجاه ومفهومه الاصطلاحي دون تسميته بلفظ الاتجاه، يقول السيوطي في الاتقان:

التفسير، عماد علي عبد السميع: 95.، مناهج تفسير القران، طلال الحسن –تقريرات ابحاث كمال الحيدري :32.، لمحات في علوم القران واتجاهات التفسير، الصّباغ:293–294.، اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني، سليمان محمد علي الدقور – رسالة دكتوراه جامعة اليرموك – الاربد / الاردن: 2005م: 17.، اساسيات المنهج والخطاب، محمد مصطفوي: 58.

([1]) كما في كتاب جولدتسهير على ما نقله امين الخولي حول اسم عنوانه " اتجاهات التفسير" ينظر : مناهج تجديد للخولي :286 ، ينظر : التفسير والمفسرون ، الذهبي : 1/ 108 –109 . ، اتجاهات التفسير في العصر الراهن :43، 109،76.

([2]) ينظر : مناهج تجديد ، امين الخولي : 289 ؛ 296–299 ؛ 302 .، التفسير والمفسرون، الذهبي ،1/ 113–114، . ، أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك :227.، التفسير والمفسرون، هادي معرفة: 2/ 534 ،535 ، 803 ،804 ، 999 ،1000 .، المناهج التفسيرية في علوم القران ، جعفر السبحاني:75–76. ، مناهج التفسير واتجاهاته، علي رضائي : 25،30 .، مناهج المفسرين من العصر الاول الى العصر الحديث، محمود النقراشي السيد علي: 1/ 41–45 ؛71 .، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، عبد المجيد عبد السلام المحتسب: 77؛ 104.، المبادئ العامة لتفسير القران الكريم بين النظرية والتطبيق ، محمد حسين الصغير : 90 .، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ، الخالدي: 42 .

([3]) ينظر : مسير التفسير –الضوابط والمناهج والاتجاهات – ،ابراهيم عوض: 300 وما بعدها .، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الرّومي : 49/1، 414/2 .

([4]) ينظر: مناهج المفسرين من العصر الاول الى العصر الحديث، محمود النقراشي السيد علي: 1/ 207، المناهج التفسيرية في علوم القران، السبحاني:150–151.، اساسيات المنهج والخطاب، محمد المصطفوي :69 ، صنف المأثور منهجا ثم وصفه بالاتجاه ، واستعمل مفهوم نزعة في الاشارة للمنهج : 86.

«ثم صنّف بعد ذلك قوم برعوا في علوم فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه»[1] .

ويُبيّن تأثير (المذهب) على التفسير في توجيهه فيذكر «بأن يُجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً فيرد إليه بأي طريق أمكن وإن كان ضعيفاً»[2] .

فالعلماء تنبّهوا قديما الى تأثير المذهب والعقيدة والتخصص بفن او علم على العملية التفسيرية من دون ان يصطلحوا عليه بالاتجاهات.

وتجدر الاشارة الى ان لفظ (الاتجاه) كان هو الرائج في مباحث علوم القران ومناهج التفسير والمفسرين في بدايات التأليف عن المناهج التفسيرية[3] .

وغالبا ما يقرن في قضايا التجديد و التيارات الفكرية العصرية المقبولة والمنحرفة[4] قبل ان يصبح مصطلح (المناهج) هو عنوانا شاملا لكل الموضوعات والمسائل المرتبطة بمناهج التفسير والمفسرين بما فيها الاتجاهات ايضا.

المطلب الثاني: تعريف مفهوم الاتجاه بين الحدود والمصاديق (عرض ومناقشة):

قد لا يفي ذكر المصاديق والنّماذج في توضيح المُعَرَّف؛ لان من اهم ثمرات التعريف هو كشف حقيقة المصطلح بما يجعله واضحا في حدوده وبيّنا في قيوده. وردت تعريفات لمصطلح الاتجاه، شارحة لاسمه واصفة مفهومه ومحدّدة لمصاديقه، منها: –

([1]) الإتقان في علوم القرآن: ٢٤٣/4.

([2]) م ن: ٢٢٠/4.

([3]) ويظهر ذلك واضحا من خلال اسماء عنوانات المؤلّفات السابقة؛ حيث اطلق المستشرق جولدتسهير على كتابه عنوان "مذاهب التفسير" ويعني "الاتجاهات" كما ذكر ذلك الخولي في مناهج التجديد: 286 ؛ وكذلك كتاب الدكتور محمد عفت الشرقاوي عنوان "اتجاهات التفسير في العصر الحديث في مصر"؛ و " اتجاهات التجديد في تفسير القران الكريم" لمحمد ابراهيم شريف؛ و "اتجاهات التفسير في العصر الراهن لعبدالمجيد عبدالسلام المحتسب؛ و"اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر لفهد عبدالرحمن الرّومي...ثم صار استعمال لفظ "مناهج" يأخذ صداه في المدونات والدراسات المعاصرة وانحسر استعمال لفظ الاتجاه بما مر ذكره في المسار التاريخي من الفصل التمهيدي من هذا البحث .

([4]) ينظر: التفسير والمفسرون ، الذهبي: 441/2. ، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القران الكريم دوافعها ودفعها، محمد حسين الذهبي:18–23. ، المبادئ العامة، محمد حسين الصغير: 145. ، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، الخالدي :38–48. ، 495،565. ، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الرومي: 1056/3–1057. ، مناهج المفسرين من العصر الاول الى العصر الحديث ، محمود النقراشي السيد علي: 78/1.

1- يصف الدكتور محمد حسين الذهبي (الاتجاهات) بلحاظ (انواع) التفسير التي اتجه اليها المفسرون وهي "المأثور والاشاري والمذهبي والعقدي والراي"، ويعبِّر عنها بـ(المناحي) التي ينحو نحوها المفسِّر بتفسيره. ويصف مؤلفات وكتب التفسير بانها تتجه الى اتجاه معين وتغلب عليها ناحية خاصة من نواحي التفسير والوانه ... كالصناعة النحوية والنزعة الكلامية والفلسفية ويطغى على بعضها الناحية القصصية والاسرائيلية ... وهي تدرج تحت التفسير بالراي الجائز[1] .

وكان وصفه للاتجاهات بلحاظ النّزعة الفكريّة، والتخصص المعرفي، والذوق الشخصي، وتلوين التفسير.

ومما يجدر تسجيله: انّ الكلام الذي ذكره الدكتور الخولي حول -ما اصطلح عليه بظاهرة تلوين النّص بالمستوى الفكري للمفسِّر- هو نفسه الذي ذكره الدكتور الذهبي دونما ان يشير الى مصدره[2] .

و يركز على دور العلماء الذين لهم اهتمام بالتفسير في عصر النهضة العلميّة الحديثة الذين «نظروا في كتاب الله نظرة - وإن كان لها اعتماد كبير على ما دوَّنه الأوائل في التفسير - أثَّرت في الاتجاه التفسيري للقرآن تأثيراً لا يسعنا إنكاره»[3] فعملوا على تخليص العملية التفسيرية من الاستطرادات العلمية، وتنقيتها من القصص الإسرائيلية، وتمحيص الاحاديث والاخبار التفسيرية، وإلباس التفسير ثوباً أدبيّاً اجتماعيّاً، والتوفيق بين القرآن وما جَدَّ من نظريات علميّة صحيحة بصورة معتدلة، ويشير الى اثار أخرى اثّرت بالاتجاه التفسيري نتيجة لعوامل مختلفة، أهمها: التوسع العلمي، والتأثر بالمذهب والعقيدة، والإلحاد الذي قام على حرية الرأي الفاسد[4] .

بهذا يتضح مفهوم (الاتجاه التفسيري) عند الدكتور الذهبي وهو تأثير المُتغيرات الفكرية والمعرفية على المفسّر وظهور ذلك على تفسير القران الكريم بعَدِّهِ الكتاب الخالد وهو يتمشّى مع الزمن واطواره ومراحله وان المفسّرين في كل عصر تكون منطلقاتهم في التفسير مرتكزة على ثقافتهم العصرية ويعيشون الظروف، ويراعون المتطلبات، ويتفاعلون

([1]) ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي : 111/1، 205.

([2]) ينظر: مناهج تجديد ، الخولي : 296-297؛ التفسير والمفسرون : الذهبي : 113/1-114.

([3]) التفسير والمفسرون : الذهبي: 363/2-364.

([4]) م ن : /363-364.

مع القضايا التي تكون على تماس بالدين ومصادره، ويبدون موقفهم من الحوادث والمتغيرات في الوسائل والأدوات وفي تجاذبات وجدل القديم والحديث والتقليد والتحرر والركود والجمود والتطور العلمي والمخترعات...[1] .

2- عرف الدكتور محمد ابراهيم شريف، الاتّجاه التفسيريّ: «هو مجموعة الآراء، والأفكار، والنظرات، والمباحث، التي تشيع في التفسير بصورةٍ أوضح من غيرها، وتكون غالبةً على ما سواها، ويحكمها إطارٌ نظريٌّ، أو فكرةٌ كلّيّةٌ، تعكس بصدقٍ مصدر الثقافة التي تأثَّر بها صاحب التفسير، ولوّنَتْ تفسيره بلونها، وبعبارةٍ موجَزَة: هو مجموعةٌ من المبادئ والأفكار المحدَّدة التي يربطها إطارٌ نَظَرِيٌّ، وتهدف إلى غايةٍ بعينها»[2].

ما قبل عبارته الموجزة؛ كان تعريفه أقرب لتوصيف الاصطلاح، فمعرفة (اتجاه) المفسر يكون باستقراء الآراء والأفكار والمباحث.. في نصّ تفسيره؛ فما وجد نسبته أكثر وأكبر "شائع وغالب" في نصّ المفسر يكون ذلك اتجاهه، ويرى ذلك انعكاسا حقيقيا لثقافة المفسر.

ويبدو ان مفهوم الاتجاه بناء على هذا التعريف هو امر يتجلّى في نص المفسر دون ان يكون له اختيار في التحكم به، فهو معيار يُكْشَف به عن اتجاه المفسر، وتوصيف بعديّ لا قبلي.

اما ضابطة نسبة الشيوع والغلبة وتلون النّص امر يقدّر بقدره، ولهذا سيكون من الصعب ضبط تحديد النّسبة لمن يستقرئ تلك الأفكار والنظرات وغيرها، ويصعب توحيد الحكم على ضوئه بين الباحثين والدارسين في التفاسير فيتعدد وصف الاتجاه للتفسير الواحد تبعا لاختلاف مستويات الدارسين والباحثين في ذلك التفسير، وهذا أحد صور الاشكاليّة.

واما عبارته الموجزة: فلم يكن البيان فيها كافيّا في رسم وتحديد الاصطلاح وتوافرت على مفردات فضفاضة تقرب من العموميات والكليات، بينما يراد من التعريف تحديد المفهوم وتخصيصه ليتم تشخيص الماصدق.

([1]) ينظر: التفسير والمفسرون ، الذهبي: 2/ 363 - 433.

([2]) اتِّجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في القرن العشرين، محمد ابراهيم شريف(القاهرة : دار التراث ، ط1 ، 1402هـ) : 63.

3- ويرى الدكتور فهد بن عبدالرحمن الرّومي، ان الاتجاه «هو الهدف الذي يتّجه إليه المفسِّرون في تفاسيرهم، ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون ما يكتبون»[1] وتشابه تعريف الدكتور عادل الشدي مع التعريف السّابق: «الاهداف التي يقصدها المفسرون في تفسيرهم»[2] .

والتعريفان- يبدو- أُنطلِق فيهما من المدلول اللغوي فان معنى (الاتجاه) هو من الوجه والجهة والتوّجه نحو نقطة معينة واليها، والموضع الذي تتوجه اليه وتقصده[3] ، والنقطة والموضع هو الهدف المراد بلوغه عِبْرَ الـ(منهج) : السبيل و الطريق[4] المؤدي للهدف.

ومما تقدّم يظهر بانّ ثمّة ملازمة ما بين المنهج والاتجاه، اذ يلزم من وجود الهدف وجود طريق اليه ولا يمكن تصور طريق دون تصور جهته! .

فالمفسر له سبيل يسير عليه لبلوغ المقصد (الهدف) الذي قد يكون مسائل العقيدة فيكون الاتجاه عقائدي او حينما يكون القصد الغالب على المفسر ايضاح العقيدة فيسمى اتجاهه عقائديا وحين يغلب على قصده بيان الاحكام الفقهية فيطلق على اتجاهه فقهيا[5] .

وبهذا يكون مفهوم الاتجاه توصيف قبلي بناء على تصور حركة المفسر نحو هدفه ومقصده فما لم يحدد في رتبة سابقة ذلك الهدف لا يرتسم المنهج وتتضح معالمه ليسلكه في تحقيق الهدف.

وعليه يكون الاتجاه اجراء يقوم به المفسر بصورة اختيارية وعن قصدٍ فهو سلوك واعٍ يلتزم المفسر بمقتضيات اساساته واصوله (عقدية، فقهية...، تخصصية) وهذا بخلاف ما يذهب اليه البعض من ضرورة الاحتراز من الميول العقدية والمسبّقات المذهبية والحذر من اخضاع القران للأصول العلمية وجعله تابعا وخادما لنظرياتهم وتوجهاتهم.

ويبدو ان تشبيه المفسِّر بالمسافر[6] والتمثيل لمفهوم الاتجاه والمنهج بأمور محسوسة قرّب

([1]) اتِّجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الرُّومي: 1 / 22.

([2]) الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث، عادل بن علي الشدي :13.

([3]) ينظر: مختار الصحاح، الرازي: 395.، لسان العرب، ابن منظور : (مادة وجه)

([4]) ينظر: اتِّجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الرُّومي: 22/1.، الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث، الشدي:13.

([5]) ينظر: اتِّجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الرُّومي: 22/1-23.، الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث، الشدي: 13.

([6]) ينظر: اتِّجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الرُّومي: 22/1-23.

الفكرة للأذهان من زاوية معينة، ولكن اثّر على صورة المفهوم مجردة عن لوازم ابعاد الحس والمادة.

ومن جهة اخرى حصل خلط بين الهدف والغرض التفسيري فالأغراض التفسيرية تحكم المفسر بضرورة مراعاتها استنادا لمقتضيات النص المقدّس المراد تفسيره؛ فان كانت الآيات تتحدث عن مقاصد عقديّة فان المفسر يعتمد الوسائل والادوات التي تَمدّه بتحديد الفهم السليم وبيان المعنى العقدي، وان كانت فقهية فيتعامل معها حسب منهج علم الفقه دون استطراد يؤثر على روح النّص وفضائه؛ لا ان يقوم المفسر بتحديد موضوعا معينا في رتبة سابقة ثم يلج العملية التفسيريّة فهذا ما ينبغي ان يعمل المفسرون على التخلّص من تأثيره اثناء كتابتهم لنتائج التفسير ويقفون على الحياد في تطبيق خططهم بعيدا عن المذهبية والنظريات والآراء خشية التورط بمنزلقات ليّ عنق النّص لما تهواه النّفس وتميل اليه حتى وان خالف روح النّص القرآني ، لذا فان التفاسير التي وظّفت مناهج العلوم في بحث قضايا مختلفة – دينية وغيرها– ممكن ان يبرز عليها اتجاه المفسر العلمي لان نتائجها تتعلق بالبحوث التفسيرية وليس التفسير ذاته .

وإذا ظهر شيء من ذلك على نصوص تفاسيرهم فان الدارسين فيها قد يعثروا على ما يثبت اتجاهاتهم وحينئذ قد يحكم عليها بما يناسب الاصل والمنطلق الذي عُثر عليه.

وقارب التعريفان اعلاه تعريف الدكتور مساعد بن سليمان الطّيّار، بانه «الوجهة التي يقصدها المفسر في تفسيره وغلبت عليه، او كانت بارزة في تفسيره بحيث تميز بها عن غيره»[1].

والتعريف ناظر لوجود هدف وغاية ينطلق نحوها المفسّر لتبرز في ارضية نصوصه وتنبئ عن مقاصده التي تُميز تفسيره عن غيره، وهي ضوابط عموميّة غائمة غير واضحة لتعتمد في تشخيص مصداقها فهكذا ضوابط كليّة تنطبق على جزئيات كثيرة قد تكون المصادر وقد تكون عناصر المناهج وقد تكون الاليات والتخصصات العلمية. فالتعريف لم يحدد او يخصص ضابطة ترشد الى حقيقة الاتجاه ومصداقه.

4– وعرّفه الدكتور محمد بكر إسماعيل «هو فكر المفسِّر، ونظره، ومذهبه، ووجهته التي يوليها وجهه، عند تفسير كتاب الله تعالى؛ من تقليدٍ أو تجديدٍ؛ ومن اعتمادٍ على المنقول أو المعقول أو الجمع بينهما، في إطارٍ معيَّنٍ ينعكس فيه بصدقٍ مدى ورع المفسِّر،

([1]) فصول في اصول التفسير، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار (الناشر: دار ابن الجوزي، ط2، 1423هـ) :20.

وتحرّيه للصواب، ودقّته في النقل والفهم، ويكشف عن مصادر ثقافته، وملامح شخصيّته»[1] .

التعريف توافر على تحشيد جملة من المفردات عدّها المُعرِّف ضابطة لوصف وتمييز اتجاه المفسر فالفكر والنظر والمذهب وموقفه من التجديد والتقليد والإطار الذي اعتمده في اعتماد مصادر التفسير وآلياته (النقل والعقل) والتزامه الموضوعية في الفهم والنقل وتصريحه بمنابع الاستمداد فكل ما تقدم هي (خصائص) تكشف عن اتجاه المفسر!

ولكن ثَمَّ خلط بين خصائص الاتجاه وما هو وصف لمصادر واليات المنهج وطريقة المفسر!

فان مذهب المفسر وقناعاته الفكرية وموقفه من التجديد والتقليد تقرب من مفهوم الاتجاه، بينما التزام إطار نظري في التعامل مع المصادر والمنابع النقلية والعقلية وما يرتبط بالنّظر والاستدلال يعدُّ من عناصر المنهج واساسيات الخطة التفسيرية، واما الموضوعية والتحري ومما يتعلق بملامح شخصيته فهي أقرب للأسلوب والطريقة ولا يمكن حشرها في خصائص الاتجاه.

5- وعرّفه السيد محمد علي ايازي، بما يقرب من التعريف السّابق ان لم يكن نفسه مع تغيير يسير، اذ قال: «هو موقف المفسِّر ونظره ومذهبه ووجهته التي يوليها من العقائد الدارجة من السنَّة والشيعة والمعتزلة والأشاعرة، سواءً كانت وجهته عند تفسير كتاب الله تعالى من تقليدٍ أو تجديدٍ، وكذلك من اعتمادٍ على المنقول أو المعقول أو الجمع بينهما في إطارٍ معيَّنٍ. وقد يُسمَّى هذا الاتّجاه بمدرسة التفسير، وموقف المفسِّر من مدارس التفسير»[2]. لم يكتفِ التعريف بتحشيد المفاهيم الكلية دون تحديد متعلقها؛ فذكر ان (النظر والمذهب والفكر) متعلّقه هو موقف المفسر من (العقائد والفرق الاسلامية) وتأثير ذلك على العملية التفسيرية، ولا فرق بين ان يكون ذلك عن تقليد او تجديد وهو بهذا خصص تلك المفاهيم العامة والكلية بما يكشف عن مفهوم الاتجاه، غير ان موقف المفسر من اعتماد المنقول والمعقول بما يعود لأطار نظري معتمد فيتعلق بالمنهجية

([1]) ابن جرير الطبري ومنهجه في التفسير، محمد بكر اسماعيل(دار المنار، ط1، 1411 هـ-١٩٩١ م): 29.

([2]) المفسرون حياتهم ومنهجهم، آيازي : 32. ، وتبعه ؛ محمد علي أسدي ، في: المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة: 21 ، ولكن المؤلف نسب صياغة تعريف " ايازي" الى صاحب كتاب " ابن جرير الطبري ومنهجه في التفسير" و ربما هذا اشتباه منه.

لا القناعات والميول العقدية – بما بيّنته في التعريف السابق.

وذكر التعريف مرادفات لمصطلح الاتجاه بان قد يطلق عليه (مدرسة التفسير)، وفيما يبدو ان هذا التسمية هي كاشفة عن الاتجاه لا انها اسم بديل عنه وخصوصا إذا كان نَظرنا الى حركة التفسير بما هو علم في مساره التاريخي؛ وفي حُقبٍ زمنية معينة.

6- وعرفتْ الأستاذة هدى جاسم محمد أبو طبرة، الاتّجاهات التفسيرِيّة «هي المميّزات والخصائص التي تميّز تفاسير القرآن الكريم بعضها عن بعضٍ، تِبْعاً لما يحمله المفسِّر من نَزَعاتٍ وميولٍ مسبَقةٍ، تنطبع آثارها في تفسيره، وتوجّهُه اتّجاهاً معيَّناً»[1].

بينت الاستاذة هدى ابوطبرة مصدر افادة تعريفها وهو معجمات علم الاجتماع وعلم النفس[2] ويبدو ان هذا يعدّ تأسيسا منهجيا للمؤلّفة لتحديد المفهوم استنادا الى الدراسات الاجتماعية والنفسية؛ لان المادة التفسيرية لأي تفسير توصف بانّها ذات اتجاه هو ابراز للمناحي التي قصدها المفسر ؛ سواء كان عن توجّه واعٍ –مقصود–؛ او توجّه يتجلّى تلقائيا(لا واعي) صادرا عما هو كامن في اعماق النّفس.

ومن هنا تتمايزّ التفاسير بلحاظ ما يظهر عليها من خصائص مختلفة؛ لاختلاف المفسرين بالميول والاهتمامات.

اذن التعريف ينطلق من زاوية (الدراسات النفسيّة) وتأثير الوسط الثقافي والعقدي في المجتمع (البيئة) على تفكير المفسر في توجيه مكونات المادة التفسيرية* ولكن لم يتطرق التعريف الى متعلق تلك الخصائص والمميزات؛ هل هي المباني الفكريّة او الاهتمامات العلميّة والتخصصيّة ، او هي الميول العقديّة والمذهبيّة ؟ التعريف لم يشر الى ذلك.

7- وعرّف الشيخ جعفر السبحاني (الاتجاهات) وعبّر عنها بالاهتمامات؛ فهي: «المباحث التي يهتمّ بها المفسِّر في تفسيره، مهما كان منهجه وطريقته في تفسير الآيات»[3] .

([1]) المنهج الأثَري في تفسير القرآن الكريم، حقيقته ومصادره وتطبيقاته، هدى جاسم محمد أبو طبرة (قم: مكتب الاعلام الاسلامي ، ط1: 1414هـ-1994م): 23.

([2]) م ن : 23.

(*) مكونات المادّة التفسيرية: هي ما يدخل في بناء المعنى التفسيري كالمكون اللغوي والبياني والمنطقي والفلسفي والمكون النقلي بكل انواعه.

([3]) المناهج التفسيريّة في علوم القرآن، السبحاني: 75.

فرّقَ الشيخ السبحاني بين البحث عن المنهج التفسيري والبحث عن الاهتمامات (الاتجاهات التفسيرية). لان البحث في الاهتمامات هو بحث عن (الاغراض والاهداف) التي يبتغيها المفسر وتكون علّة غائية لقيامه بالتأليف في مجال القران[1] .

فهل التعريف يصف عدم تأثير الاهتمام على المنهج والطريقة؟ فلا يكن هناك تطويع من قبل أحدهما للأخر؟

يبدو ان التعريف لم يكن جامعا لبيان تأثير الاهتمام على سلامة المنهج؛ لان المؤلف عندما يتحدث عن تفسير القران على ضوء المدارس الكلاميّة يشير الى ان اصحاب الاتجاه الكلامي حملوا الآيات –عندما فسروها– على معتقدهم، وربما كان التفسير بعيدا عن ظاهر الآية ولكن تأويلهم لها يدعم معتقدهم[2] ؛ وهذا يعني بانّ القناعات الفكريّة تُوجّه نتائج العمليّة التفسيريّة، وبالتالي توظّف المنهج التفسيري والطريقة تبعاً لأصول هذه العقيدة فيفقد المنهج موضوعيّته! ، فلم يتطرق لهذا القيد الاساسي في التعريف بل توحي عباراته الاخيرة بانّ (الاهتمامات) تتعلق بـ(البحوث) التي يتناولها المفسر في تفسيره وتكشف عن دوافعه من التأليف! فهل الشيخ السبحاني يذهب الى التفريق بين مناهج البحوث التفسيرية والمنهج التفسيري؟ لم تكن عباراته واضحة في هذا الخصوص، ولكن يبدو انّه بمعرفة موضوعات البحوث التي يتناولها المفسر تكشف عن اهتمامه وتوجهه بمعزلٍ عن منهجه وطريقته، وهذا يعني قد يكون للمفسر أكثر من اهتمام فيتوافر تفسيره على أكثر من اتجاه.

8– تناول الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، مفهوم الاتجاه بصورة توصيفيه ولم يتطرّق الى تعريفه، واستعمل مصطلح اتجاه في وصف ما يبرز على الساحة الفكريّة الاسلامية من توجّهات لفهم كتاب الله وتفسيره. واستند في تحديدها الى حركة التفسير في مسيرتها التاريخية والتي مَرْحلها الى اطوار وهي: التأسيس والتأصيل والتفريع والتجديد[3] كشف عن اتجاهين برزا في مرحلة التأسيس وهما «الاثري، واللغوي البياني»[4] . ويذهب الى عدّ مرحلة التأصيل هي مرحلة الجمع بين الاتجاهين[5] .

([1]) ينظر: المناهج التفسيريّة في علوم القرآن، السبحاني: 76.

([2]) ينظر: م ن :92.

([3]) ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، الخالدي: 35.

([4]) ينظر: م ن: 38.

([5]) ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، الخالدي: 40–41.

وفي طور ما اصطلح عليه بطور (التفريع) اخذ المفسرون اللاحقون يفسرون القران على اساس (المنهج الغالب) ، فظهرت العديد من (الاتجاهات) في التفسير بسبب ظاهرة التنوّع في الفروع المعرفية والعلمية والفكرية للتفاسير، فكل مفسر –في هذا الطور– غلب على تفسيره منهجا معيناً يكشف عن اهتماماته وتخصصه وميوله الفكريّة[1] .

اما ماعبّر عنه بـ(الاتجاهات التجديديّة) فخصصها في العصر الحديث من خلال تتبع المباني المدرسيّة لجملة من المفسرين[2] . وارجع ما عبّر عنه بـ(الاتجاهات المنحرفة) الى جملة من الفِرق والمذاهب التي زعمَ انّها فسرت القران بناء على مناهجها فكانت تفاسيرهم منحرفة حسب وصفه[3] . والمؤلّف يذهب الى تأثير المنهج في ظهور الاتجاهات، فمعياره في الكشف عن الاتجاه هو غلبة منهج على آخر، ولكنه عدّ هذا تحول وانتقال في (التفسير) من التأصيل الى التفريع ومن الجامعيّة الى التفريع.

وبناء على تقدم: الرابطةُ ما بين المنهجِ والاتجاهِ في التفسير ممكن وصفها بالعضويّة!

والملاحظة الاساسيّة: انّ المؤلف خلط بين المنهج التفسيري –المنهاج– وما بين منهج العلم والفن الذي يغلب على التفاسير[4] واعتبر نتائج البحث التفسيري هي نتائج التفسير!.

فالمفسر حينما يستطرد في بعض الموضوعات التي يجد نفسه ماهرا في البحث بها فيغلب منهجها على تفسيره ويتلون بها فليس منطقيا ان يوظف المصطلح المخصص لمنهج العلم او الفنّ في توصيف الاتجاه التفسيري فهذا يوقع في اللبس والايهام* ؛ لان المفسر قد يكون منهاجه شاملا –المنهج الجامع– ثم رغب بالبحث في موضوعات تناسب اهتماماته وغاياته من التأليف.

انّ توظيف اسماء مناهجِ العلومِ في تسميةِ مناهج المفسرين وعَدّها اتجاها تفسيريا يوهم المتلقي (الدارسون والباحثون وغيرهم) بانّه من الممكن ان تتم العمليّة التفسيرية بتوظيف هذا الاتجاه التفسيري فيها وهو توصيف غير واقعي؛ لان المفسر لم يعتمد اتجاها تفسيريا

([1]) ينظر: م ن: 42–44.

([2]) ينظر: م ن: 45 ؛ 565.

([3]) ينظر: م ن: 495–518.

([4]) ينظر: م ن: 42 .

(*) فعلى سبيل المثال: يغلب على تفسير المفسر مسائل النحو والبلاغة والصرف فيوصف اتجاهه التفسيري بالبياني وهذا يعني توظيف أسم منهج علم البيان لوصف او تسمية اتجاه المفسر، وعليه: سيصبح المنهج اتجاهاً ! ، وهذا يوقع المتلقي باللبس والايهام في تحديد خصوصية المصطلح وهو اجراء غير منطقي يتعارض مع ادارة الاصطلاحات .

قبل شروعه ولا على منهج ذلك العلم او الفن فقط، بل اعتمد منهاجا، خطة شاملة وكاملة في تفسير النص القرآني!

فهكذا توظيف يؤدّي الى حصول لبْسٍ في المفاهيم عند المتلقي.

9- وعرّف الدكتور محمد المصطفوي الاتجاه: «هو الموقف الذي يكوّنه المفسر في ظل واقع معين سواء كان ذلك واقعا اجتماعيا او سياسيا او ثقافيا او مذهبيا او غيرها ، وفي الحقيقة فان الاتجاه لا يعبر عن موقف معرفي بقدر ما يعكس موقفا ايديولوجيا ذلك الموقف الذي تمليه على المفسر العوامل الاجتماعية والثقافية والمذهبية ونزعة مدرسية او حب او كره لهذا او ذاك ويتحول في كثير من الاحيان الى موقف مضمر يبرز في ثنايا الحديث وفي مفاصل معنية من البحث والدراسة ولا يخلو باحث من هذه المواقف المضمرة ولكن يختلف الباحثون في مستوى التأثر من تلك المواقف وكيفية التعاطي بها ومعها»[1].

لقد توافر التعريف على جملة من الصور التي تبين مفهوم الاتجاه، منها؛ بيان مدلوله بوصفه موقفا يعبِّر عن قناعة المفسر تجاه قضايا بيئته –واقعه– ، ومنها؛ بيان وظيفته الاستعماليّة فهو لا ينتج معنى ولا يخلق معرفة، وانما هو مفهوم يصف انعكاس موقف المفسر الايديولوجي سواء صرّح به او يُعرَف من بين ثنايا تعبيره. ومنها؛ دوره في المجال التفسيري دورا توصيفياً بعديّا فهو تعبير عن متعلّق ميول المفسر الفكريّة التي يتصيدها الدارسون والباحثون في تفسيره.

والتعريف يدور في الحقل الاجتماعي والنفسي ولم يتطرّق للاتجاه في الدرس التفسيري وهل توجد رابطة فيما بينه وبين المنهج؟ وهل المنهج التفسيري يتأثر بالاتجاه؟ وكيف يكون معيارا في تقييم المنتج التفسيري؟! لم يتطرق المؤلف لهذا في تعريفه بعناية كافيّة.

10- تناول الدكتور محمد علي الرضائي، الحديث عن الاتجاهات بقوله: هي «تأثير الاعتقادات الدينية ، المذهبية ، الكلامية ، الاتجاهات العصرية ، واسلوب كتابة تفسير القران والتي تتكون على اساس: العقائد، الاحتياجات، الذوق، والتخصص العلمي للمفسر»[2] .

([1]) أساسيات المنهج والخطاب، محمد مصطفوي: 30.

([2]) مناهج التفسير واتجاهاته ، الرضائي: 358.

ذكرَ ما يخصّ مفهوم الاتجاهات بانها ما يظهر في التفاسير من تأثير الاعتقاد المذهبي والكلامي والاتجاه العصري واسلوب الكتابة على المفسر.

ويلاحظ عليه: أدرج لفظ (الاتجاه) في سياق تعداده لخصائص الاتجاهات! ويُعدُّ هذا معيبا في التعريف وبيان حقيقة المصطلح، فانّ المُعرِّف لابد ان يكون كاشفا عن حقيقة المُعَرف لا ان يُستَعمل نفس لفظه، فالأقرب ان يسميها التيارات الفكرية العصرية او الثقافة المعاصرة مثلا.

وايضا: اعتبر الاسلوب في الكتابة يتالف من الاعتقاد والذوق والاحتياجات والتخصص العلمي، فخلطَ ما بين (الاسلوب) بوصفه طريقة في التعبير وما بين الاسلوب بوصفه مفهوما يستعمل في التصنيف! ، ثم ان كان يقصد به (الموضوعي والترتيبي) فهل هذا يعني ان الاسلوب التفسيري يوصف على انه اتجاه؟ فانّ المتعارف: عدّ غلبة علم او فن على التفسير اتجاها لا اسلوبا!، ويبدو بان تحشيد الاصطلاحات بهذه الصورة واقحام بعض المفردات الاصطلاحية يوقع المتلقي في الخلط بين مفهومي الاتجاه والاسلوب.

تلخّص مما تقدم:

ان هناك نقاطا مشتركةً بين التعريفات مما يكشف اقترابها في تحديد مفهوم الاتجاه، وان بعضها انفرد في اضافات خصّصت المفهوم، واخرى وسّعت من دائرته بما جعل دلالتها فضفاضة تتصف بالشموليّة لا يعتمد عليه –أي التعريف– في حصر افراد المفهوم وحجب غيرهم – غير مانع–، وبعض التعريفات ظهر عليها تحشيد لجملة من المفردات الاصطلاحية: بعضها اضرّ في سلامتها من الناحية المنطقية، وبعضها الاخر حصل فيها خلط بين ما هو من متعلقات مفهوم الاتجاه وبين ما هو من متعلقات مفهوم المنهج والاسلوب.

ويظهر على معظم التعريفات عدم تحديد وظيفة المفهوم التوصيفية والتصنيفية بصورة دقيقة وواضحة، ولا تحديد موارد استعمال لفظ اتجاه: أ هو مفهوم لوصفٍ قبليٍّ او بعديٍّ؟ وهل هو يعدّ من عناصر الخطة التفسيرية –منهاج المفسر– الذي ينبغي مراعاته قبل الشروع بتطبيقها أو هو مفهوم يُستَعمل للتوصيف البعديّ ، ومعيار يُعتَمدُ في تصنيف التفاسير والحكم عليها من خلاله* .

(*) وستتضح اهمية هذا التمييز لاحقا عند الحديث عن معالجة الاشكالية.

وما هو الاصوب في الإضافة: اتجاه التفسير ام اتجاه المفسّر؟ لم يكن اتفاق بين معظم المؤلفين والباحثين حول استعمال المركب الاضافي المناسب!

ولم تتناول التعريفات بيان واضح ودقيق يناسب الاستفهامات السابقة.

المطلب الثالث: تتبع جذور حقيقة المفهوم المستعمل:

يظهر –استنادا لما مرّ في المطالب السّابقة– بانّ (مفهوم الاتجاه) مُنتزَع من مدلولين:

الأول: المدلول اللغوي: استعمل بعض المؤلفين لفظ اتجاه استنادا الى معناه المعجمي، فمن راعى التفريق فيما بين لفظ (الاتجاه) وما بين لفظيّ (المنهج والأسلوب) كان قد استند الى المعنى الأصيل والمطابقي[1] ، والذي لم يراعِ التفريق فانّه وظّف اللفظ بما يقرب من معنى الطريق وهو بهذا يكون مرادفا للمنهج والأسلوب[2] ويعود هذا الى جواز استعمالهم له على نحو «الاستعارة للمَذْهب والطريق»[3] .

ويبدو بانّ لكثرة التداول والاعتياد دورا في توظيفه بمعنى (طريق) لان تصوّر الطريق يقتضي تصور جهته بالنسبة للماشي فيه، ومن جهة أخرى قد أدرجت بعض المعاجم والمدونات وخصوصا المتأخرة والحديثة منها ما يقرب من معنى «طريق ومذهب في النظر والتفكير والضرب من الامور والسبيل»[4] .

الثاني: المدلول الاستعمالي في علمي النّفس والاجتماع او علم النفس الاجتماعيّ.

ذهب بعض المؤلفين الى اعتماد المدلول الاصطلاحي في دراسات علم النّفس والاجتماع، وهو بمعنى الميل والاهتمام والنزعة والقناعات المذهبية والعقائدية وغيرها.

([1]) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الرومي: 22.، الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث، الشدي:13–14.، فصول في اصول التفسير، الطيار:20.

([2]) ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي: 111/1.، دراسات في أصول تفسير القران الكريم، محسن عبدالحميد: 146–148. ، التيسير في أصول واتجاهات التفسير، عماد علي: 95.

([3]) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تح: محمد علي النجار (الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، دط ، دت) : 167/5.

([4]) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، تح: حسين بن عبد الله العمري واخران معه (بيروت: دار الفكر المعاصر، ط1: 1420هـ – 1999م): (مادة [الوجه]) 11/ 7071 ؛ تاج العروس من جواهرالقاموس، الزبيدي: (مادة وجه) 545/36 ؛ معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد: 3/ 2407؛ معجم لغة الفقهاء، عربي–انكليزي، مجموعة من المؤلفين (بيروت: دار النفائس، ط2: 1408هـ –1988م): 2/ 111.

اذ ان «في علم النفس يعبر الاتجاه attitude عن حالة نفسية، وله مكوناته ووظائفه وخصائصه، ويعد من أهم جوانب الشخصية. وتقع دراسة الاتجاهات، موضوع هذا البحث، في مقدمة موضوعات علم النفس الاجتماعي. ثم إن كثرة الاتجاهات لدى الفرد، والترابط القائم بينهما، يعدان معاً المسوغ الرئيس في إيثار الكثير من البحوث النفسية المعنية بالاتجاه اعتماد لغة الجمع، أي الاتجاهات، في الدراسة. وفي اللغة العربية يصادف القارئ أحياناً مصطلح (الموقف) وقد استعمل في التعبير عن الاتجاه في دراسة ما نفسية أو تربوية»[1] .

فالاتجاه هو وصف لما يعد «الغالب في الاهتمام، أو الميل، الصبغة الانفعالية التي ترافق سلوك الشخص نحو موضوع اهتمامه: إنه يبدو محباً لذلك الموضوع أو نافراً منه، منجذباً إليه أو مبتعداً عنه. والصبغة الانفعالية، كما ذكر من قبل، موجودة في الاتجاه»[2] .

ويبدو ان اعتماد هذا الاصطلاح في الدراسات المنهجية المعاصرة في علم التفسير سببه ذهاب البعض الى ضرورة التمييز والتفريق بين الاصطلاحات استنادا لما تفتضيه طبيعة البحث المنهجي ومقتضيات علم التفسير، وكذلك ضرورة التخلص من اشكالية الخلط الحاصل بين المفاهيم والاقسام التي يوصف بعضها بالاشتراك والترادف بما يوقع المتلقي في اللبس والايهام.

فكان مرجع بعضهم في تحديد مفهوم الاتجاه هو ما تذهب اليه الدراسات الحديثة في علم النفس والاجتماع. ويبدو ان المفهوم بمدلوله الاصطلاحي اخذ حيّزه عند مؤلفي المناهج التفسيرية عند المعاصرين ولكن من دون الالتزام بكل ابعاد المفهوم وخصائصه في دراسات علم النفس والاجتماع، وانما أُقتصر بوصفه (ميل واهتمام) من دون الوقوف على مضامينه العقلية والعاطفية والإجرائية[3]!

مما اوقع في مشاكل الخلط بين المدلول اللغوي والمفهوم الاصطلاحي فضلا عن توظيفه

([1]) الموسوعة العربية ، التربية والفنون / تربية وعلم نفس: المجلد الأول : 173 (رابط الموقع : http://arab-ency.com.sy

([2]) الموسوعة العربية ، التربية والفنون : المجلد الأول : 173.

([3]) ينظر: م ن .

في وصف الموضوعات بمعزل عن شخصية المفسر*.

وبالعودة الى مصدر الاستعمال الاصلي يظهر بان المفهوم المستعمل في العلوم النفسية والاجتماعية؛ هو من منتجات المعرفة الغربية الوافدة على العلوم الاسلامية – شانه شان المنهج الاصطلاحي– اذ كان للترجمة دورها في اضافة معاني مُسْتَحدَثة الى معنى المفردة الاصيل في لغة العرب وقام مؤلفو المعاجم وقواميس اللغة العربية المعاصرة والحديثة بإدراجها[1].

ان لفظ الاتجاه كونه وصفا لما هو قبليّا يتعلق بالاهتمام لا بالنّزوع والميول الغاطسة في اللاوعي والتي يصعب التحكم بها، فبعض الميول من الممكن التحكم بها كالاهتمامات والتخصصات ولكنها لا تعبر عن اتجاه تفسيري وانما اتجاه (بحثي).

واما عدّ الاتجاه توصيفا لما هو بعديّ: فيتعلق بما يظهر على المُنتَج التفسيري من استطرادات تكشف عن ميول واهتمام المفسر تجاه بعض القضايا العقائدية والعلمية والفكريّة التي تمثل الاساسات التي انطلق منها المفسر في تفسيره وتتحكم او تحكّمت في توجيه اختياراته ما بين اساس فقهي او صوفي او نحوي ...[2] ، وهذا النّوع من الاتجاه يعدّ مضرّا في (نتائج التفسير) ولكنه يعدّ امرا غير مرفوض في (البحث التفسيري)؛ لان نتائجه لا تعبر عن تفسير الخطاب الالهي – النص القرآني– وانما هي نتائج بحث داخل اطار المدونة التفسيرية .

الخلاصة:

ثَمَّة خلطٌ ما بين خصائص الاتجاه التي تناولتها الدراسات النفسية والاجتماعية عن شخصية الفرد ومواقفه وميوله واهتماماته ونزعته التي تلازمه في حياته ، وما بين معنى الاتجاه اللغوي وهو التوجه والقصد نحو موضع معين وهدف محدد، و من حيث المقاربة بينهما فان الاول أخصّ من الثاني بمعنى ان النسبة بين مفهوم الاتجاه في الاستعمال اللغوي العربي اعم من مفهوم الاتجاه في علم النفس الاجتماعي ؛ بينهما عموم وخصوص

(*) فمثلا: وُصِفت الفنون والعلوم التي تعتمد في التفسير بانها «اتجاهات»؛ لان المفسر قد يغلب على منهاجه احد تلك الفنون والعلوم وهنا تتشابك المصطلحات فيخلط بين العلم كأداة في الفهم والبيان، وبين المنحى الذي طغى على نصّ المفسر وتلون به تفسيره نتيجة الميل والاهتمام.

([1]) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد :3/ 2407. ، معجم علم النفس والتحليل النفسي ، فرج عبدالقادر طه واخرون (بيروت : دار النهضة العربية ، ط1 ، دت) : 11–12.

([2]) ينظر : نحو دراسة علمية لتاريخ التفسير وتطوّره ، فريدة زمرد : 19.

اي كل موضوع لميل ونزعه يمثّل هدفا مقصودا وجهة يتجّه نحوها الانسان بقناعاته الفكرية والوجدانية لا مطلقا فليس كل موضوع يشمله ذلك وانما ما كان داخل دائرة اهتماماته وبيئته وتخصصه .

المطلب الرابع: علاقة المنهج بالاتجاهات:

توجد اراء عديدة ومتباينة، توضح علاقة المنهج بالاتجاه وقد اختلف الباحثون في هذه المسالة بما لا تكاد تقف فيه على معالجة واضحة وحل للمشكلة اذ تناولها كل مؤلف وباحث من زاويته، ومن الممكن حصر الآراء تحت نوعين من العلاقات:

1. **العلاقة التوالديّة:** وهو توصيف لما يذهب اليه البعض من القول بانّ المنهج يخضع لاتجاه المفسر فكأنّما المنهج التفسيري ينشأ ويولد ليتكيّف مع منطلقات الاتجاه، او بالعكس: ان الاتجاه يولد ليتكيّف مع المنهج، ومن الممكن حصر ذلك في صورتين:

الصورة الاولى: ان المنهج التفسيري هو الأم التي يتولد الاتجاه منها ويكون المنهج حاضنا له، أي ان «الاتجاه يتكون داخل المنهج»[1].

يبرز التشابك بين المفهومين عندما لا يكون هناك تخصيص عند الاستعمال بلحاظ كل مرحلة من مراحل العمليّة التفسيرية، فهل الاتجاه يقابل المنهج في مرحلة ما قبل الشروع او في مرحلة لما بعد الشروع؟ ان تولّد الاتجاه ينشأ نتيجة الضغوط الواقعية التي تتحكم بالباحث من الداخل: نتيجة المواقف الشخصية؛ ومن الخارج: نتيجة الواقع الثقافي او الاجتماعي او المذهبي[2] ، وبهذا تكون أسباب وعلل مولّدات (الاتجاه) تتصف بالمزامنة المستمرة ، فكلما صار تفاعل بين المفسر والنّص بناء على منهج محدد فان المفسّر يكون تحت سلطان هذه الضغوط القَبْليّة .

ولكن هل بإمكان المفسر التحكم بتأثير متعلق الاتجاه وضبط اسبابه قبل شروعه في العملية التفسيرية؟!

يبدو من خلال كلمات بعضهم انّ ذلك ممكنا فاذا لم يتخلص منه سيقع المفسر في التفسير بالرأي؛ فعليه مراعاة قوانين التفسير ولا يتخطاها[3] .

([1]) اساسيات المنهج والخطاب، محمد مصطفوي: 30.

([2]) ينظر: اساسيات المنهج والخطاب : 30.

([3]) ينظر: منهج فهم القران عند الشهيد الصدر، احمد زبون الازرقي(الناشر : دار المحبين ، الكوثر ، ط2: 1432هـ -2011م) : 300 .، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القران الكريم دوافعها ودفعها، محمد حسين الذهبي: 19-20 .

بينما يذهب البعض الاخر الى ان التخلص من تأثير الاتجاهات يُعدّ غير ممكن؛ لان الميول الشخصية للمفسر وتأثير ثقافة العصر عليه وغلبة الاهتمام العلمي والذوقي ، ودوافعه العقديّة واسقاطاته الذاتية، كلّها لا يمكن فصلها والتخلّص منها اثناء التعبير الجدّي عن نتائج العملية التفسيرية، فالتنصّل منها يعد امراً عسيراً[1] .

لذا لا يعدّ الاتجاه عنصرا تأسيسيا يعتمده المفسر في منهجيته التفسيرية ، ولا يمكنه ان يتحكم بتأثيراته وانما هو حقيقة تُكشف بعد قراءة كتاب التفسير، فالاتّجاه «يتخلّف موضوعيا عن المنهج في التعاطي المعرفي مع النّص القرآني ... مما يعني ان الحصيلة التفسيرية تمثل انعكاسا فعليا لمتبنياته القبلية»[2] فيُكشَف عن اتجاه المفسر من خلال مضامين تفسيره فيُعدُّ توصيفا لما بعد الشروع؛ لان المسلّمات الفكرية لها حضور خفيّ ، مهيمن على المفسر اثناء ممارسة العملية التفسيرية وتوجيه ابحاثها[3] .

«وعليه فإنّ دراسة مناهج المؤلِّفين تُعين إلى درجةٍ ما على إيضاح اتّجاهاتهم [لان الاتجاه لا يظهر الا بعد تدوين المفسر منتجه التفسيري] ولمعرفة الاتّجاه ينبغي التعرُّف على الجزئيّات وإعمال النظر في المنهج؛ لأنّ المنهج يحتوي على أفكارٍ (أيْ اتّجاه)، وهو [أي المنهج] الوسيلة إلى تحقيق غايته، ولا يصحّ العكس، أي إنّ معرفة الاتّجاه لا يعقبها معرفة المنهج، وبهذا تكون العلاقة بين المنهج والاتّجاه علاقة خصوصٍ وعمومٍ، الخصوصُ إلى جانب المنهج، والعمومُ إلى جانب الاتّجاه»[4] .

فيكون (منهج المفسر) مُولّدا (للاتجاه) «فكل منهج يمكن أن ينشأ عنه اتجاه إثر الخبرة المعرفية المتراكمة عن الجهود التي تتم في سياق اعتماد ذلك المنهج، ولا يمكن أن نعتبر كل اتجاه منهجا»[5] اذ ان الاتجاه التفسيري لا يرتبط بمفسر معين.

([1]) ينظر: امكانيات التفسير واشكالياته– في البحث عن المعنى ، محمد مصطفوي(بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ط1: 2012م) :207–208 ،269–274 .، قضايا اللغة في كتب التفسير "المنهج – التأويل – الاعجاز ، الهادي الجطلاوي(الجمهورية التونسية : دار محمد علي الحامي ، ط1، 1998م) : 114–115 ؛ اللباب في تفسير الكتاب، كمال الحيدري(بيروت : مؤسسة التاريخ العربي ،ط1، 1430هـ–2009م) :1/ 12–13، 16 .

([2]) ينظر: مناهج تفسير القران، طلال الحسن – تقريرات لأبحاث الحيدري: 28.

([3]) ينظر: اساسيات المنهج والخطاب: 126.

([4]) المنهج الأثَري في تفسير القرآن الكريم، هدى ابو طبرة : 23 – 24.

([5]) مراد قمومية، مصطلح الاتجاه في التفسير والفرق بينه وبين المنهج والأسلوب (مجلّة الحضارة الاسلامية ، المجلد: 19/العدد2، أكتوبر 2018م): 58 .

اما الصورة الثانية: ان الاتجاه هو الاصل والمُولِّد للمنهج، فهو الارضيّة التي يقف عليها المنهج وينمو ويتشكل.

فمن كان ينظر لمفهوم الاتجاه على إنه هدف وغرض[1] فان المنهج يرتسم تبعا لهذا الهدف والغرض .

وهذا يكشف بان الاتجاهات تتسلّط على المنهج وتوجّهه تبعا لغاياتها، فهي القصد الغالب على المفسر ، والمنهج سبيله لبلوغ قصده[2].

لذا نبّه الشيخ السبحاني على ان البحث عن (اختلاف التفاسير) من حيث الاهتمامات والاتجاهات؛ لا يمت بالبحث عن (المنهج التفسيري) للمفسر بصلة[3] ، ولكن يعسر احيانا كثيرة ان لم يكن ذلك متعذر اكتشاف الاتجاه دون فحص وتتبع جزئيات منهج المفسر في تفسيره[4] .

ويبدو ان الدكتور الرّومي عدّ الاتجاهات اعمّ واشمل فادرج المناهج التفسيرية تحتها ولكن بلحاظ فترة زمنية محددة ولمذاهب وفرق إسلامية معروفة في الاختلاف والخلاف فيما بينها، وكذلك ادرج مناهج التخصصات العلمية ، والتيارات العصريّة[5] ، ويبدو انه اختزل بما في التفاسير من اتجاهات فكرية وتخصصات علمية بالمناهج ثم صنّف الجميع بلحاظ القرن الرابع عشر الهجري على انها اتجاهات للتفسير شاعت في هذه الحقبة .

ولهذا «فالعلاقة بين الاتجاه والمنهج علاقة عموم وخصوص فكل اتجاه تفسيري منهج للمفسر الذي يلتزمه وليس كل منهج للمفسر اتجاه تفسيري لان الاتجاه اعم واشمل من المنهج ، والاتجاه التفسيري يضم عدّة مناهج تفسيرية متنوعة»[6] .

وهذا الاستنتاج مبني على جعل مناهج العلوم والفنون والمذاهب والفرق الإسلامية مناهجا للمفسرين(منهاج تفسير) ، ومبني على تصور ان الاتجاه هو تأثر المفسرين بتلك المناهج

([1]) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: 22-23. ، المناهج التفسيرية في علوم القرآن: 76.

([2]) ينظر :الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث، عادل بن علي الشدي :13-14.

([3]) ينظر: المناهج التفسيرية في علوم القرآني: 76.

([4]) ينظر: المنهج الاثري في تفسير القران، هدى ابوطبرة : 24.

([5]) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر :1/ 49 ، 414/2.

([6]) مناهج المفسرين –دراسة في النظرية والتطبيق، محمد كاظم حسين الفتلاوي (الناشر: دار حدود للنشر والتوزيع ، النجف الاشرف ، 2017م) : 26 .

واعتماد بعضها دون البعض الاخر في حدود ظرفهم الزماني وعصورهم[1] .

فمن يعدّ الاتجاه منهجا قد اختزال محتويات التفاسير التي تلونت بمسائل فن من الفنون وغلب عليها اهتمام المفسر بـ(المناهج)! بينما يُعدّ مفهوم تلون التفاسير وغلبة الاهتمام فيها بانه اتجاه!؟، انعكس هذا التداخل بين المفاهيم على تصور العلاقة بين المنهج والاتجاه وبالتالي حصول تشابك في المفاهيم المختلفة.

ففي هذه الصورة : خُلط ما بين اتجاه المفسر وما بين المنهج التفسيري ؛ وأقحم المنهج التفسيري تحت (الاتجاهات التفسيرية) !

لهذا يصعب ويعسر فصل (المناهج) عن (الاتجاهات) في التوصيف (البَعديّ) بينما يسهل فصلهما في التوصيف (القَبْليّ)؛ لان وظيفة المنهج معيارية تصنيفية ووظيفة الاتجاه كذلك غير ان الحيثيات تختلف.

ومن صنّف المناهج التفسيرية على اساس (الفنون والعلوم) سيقع في اشكالية التداخل مع الاتجاهات التي تُصنِّف (التفاسير) على اساس (غلبة الاهتمام) وتلون التفسير بتخصص المفسر (الاتجاهات العلميّة).

ومن صنّف الاتجاهات على اساس (طرق المفسرين) سيقع في اشكالية توصيفها بالمناهج[2] !

فالتوالد: (علّة التعالق) بين الاتجاه والمنهج.

2. **العلاقة التكميليّة:** ذهب البعض الى ان الاتجاهات والمناهج يُكمِّل بعضها بعضا فلا يعني القبول بأحدها نفي الاخر[3] ، ومعنى (يكمّل احدهما الاخر): ان الافادة من المصادر والوسائل قبل الشروع في تنفيذ العملية التفسيرية؛ يقتضيه علم المنهجة في بناء الخطة التفسيرية. ومعلوم ان تجارب المفسرين المتمثلة بطرقهم ومسالكهم وطرائقهم تعدُّ مصدرا يَستمِدُ المفسِّر منها لبناء وتطوير خطته، فحينما يشرع في تحديد أحد مصادر النقل كالتفسير بالمأثور فانه سيتناول التفاسير التي تلونت بالمأثور وغلب عليها الطابع النقلي فمن هنا يتضح التداخل بغية التكامل فيكون كل من الاتجاه والمنهج يكمل أحدهما الاخر!

([1]) ينظر: م ن : 24-26 .

([2]) ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: 39.

([3]) ينظر : مناهج التفسير واتجاهاته: 33.

وواضح ان هذا يوقع في اللبس حينما يدور مصطلح (المأثور) بين ان يكون منهجا مرة واتجاها مرة اخرى[1] .

وقد يفهم من عبارات بعضهم بان الاتجاه تعبير عن ذلك الاساس والهدف الذي لن يتحقق الا بسلوك طريق واضح[2] ، فالمنهج تتحدد وجهته بعد تحديد ما يراد بلوغه ويكون مقصدا للمفسر . فالمنهج هو الوسيلة التي بدونها لن تتحقق غاية الاتّجاه التفسيرِيّ، وهو الوعاءُ الذي يحتوي أفكار هذا الاتّجاه التفسيرِيّ[3] وحينئذ تكتمل العملية التفسيرية فيكون ذلك ناتج عن العلاقة التكاملية بين الاتجاه والمنهج.

والعلاقة التكميلية انما تتناسب مع (المنهاج) في مرحلة تطبيقه عندما يتناول المفسر الآيات ليبيّنها فيكون محكوما بمُوجِهات المنهاج الاجرائية؛ وبأغراض واهداف النّص. هذا من ناحية التوصيف القَبْليّ.

ومن الواضح، البديهي: ان منطلق العملية التفسيرية هو: كشف وابانة معاني ومقاصد الآيات الكريمة، فهذا يتجه اليه المفسرون جميعهم، غير انه لا يتعلق بمصطلح الاتجاه الذي نحن بصدده.

وانما يكون الكلام عن مفهوم الاتجاه عندما يحدد المفسر اهدافا قبل شروعه بالعملية التفسيرية، وحينئذ سيوصف فعله بالبحث والدراسة وليس تفسيرا! .

اما إذا كانت العلاقة تكميلية في الوصف والتصنيف البعديّ؛ فعندما يراد تقييم التفاسير وتحديد طريق المفسر والوقوف على ادائه وطريقته لا يُعدّ حينئذ لمفهوم (التكميل) من معنى؛ لأنه يتعلق في البناء والتركيب لا بالتحليل والتبسيط، وهذا لا يتناسب مع منظومة المفاهيم البعديّة.

المطلب الخامس: التفريق بين المنهج والاتجاه:

جاء في جملة من البحوث والمؤلّفات وخصوصا المُتأخرة منها الى ضرورة واهميّة الفصل والتفريق بين (الاتجاه والمنهج) إما تصريحا او من خلال المُباينة في الاستعمال وتحديد

([1]) مرّ سابقا بعض المؤلفات تجعل من المأثور اتجاها كما في " لمحات في علوم القران واتجاهات التفسير ، لطفي الصباغ: 260،279. ، مناهج المفسرين: منيع عبد الحليم محمود: 8 .... الخ.

([2]) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر : 22-23 .، الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث، عادل بن علي الشدي: 13-14.

([3]) ينظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن في مصر في العصر الحديث، محمد ابراهيم شريف: 63، 68.

المصاديق[1] . ولم تتناول مؤلفات السابقين كالذهبي وغيره مسألة التفريق بين مفهومي الاتجاهات والمناهج، ومع «تطورات العصر الحديث، وما فرضته من مناهج متنوعة في تناول النص القرآني، وأساليب وأشكال فنية في تفسير الآيات القرآنية، تختلف عن الطريقة التقليدية التي التزمها المفسرون طوال عصورهم السابقة. هذا فضلاً عن الضرورة المنهجية التي تفرض مثل هذا التفريق..»[2] .

ذهب الدكتور محمد ابراهيم شريف، الى ضرورة التفريق بينهما، وذلك من خلال تعريفه للمنهج وتعريفه للاتجاه ولم يعدّهما شيئا واحد[3] .

وتطرق للتفريق فيما بينها الدكتور فهد بن عبدالرحمن الرّومي، في كتابه اتجاهات التفسير[4] ، والاستاذة هدى جاسم محمد أبوطبرة، في كتابها المنهج الاثري[5] .

وازداد اهتمام جملة من الباحثين والمؤلفين المعاصرين بأهميّة مراعاة التفريق فيما بينهما، وبأهميّة دراسة خصائص وصفات كل من الاتجاه والمنهج[6] .

([1]) ينظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن في مصر في العصر الحديث، محمد ابراهيم شريف: 63.، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: 22-23.، المناهج التفسيرية في علوم القران، جعفر السبحاني: 75.، مناهج تفسير القران، طلال الحسن (تقريرات لأبحاث كمال الحيدري): 28. ، اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني، سليمان محمد علي الدقور (رسالة دكتوراه –كلية الشريعة جامعة اليرموك /الأردن – 2005م): 19.، مناهج المفسرين المعاصرين في التعامل مع اثار الصحابة والتابعين، اسراء عبدالحفيظ العوادات(رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية 2014م) : 14.

([2]) الاتجاه المقاصدي في تفسير ابن عاشور–1، سامر رشواني ، الملتقى الفكري للإبداع :
169http://almultaka.org/site.php?id=

([3]) ينظر: اتِّجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في القرن العشرين: 63 ، 68.، تناول ذلك في رسالته للدكتوراه سنة 1979، قبل ان تُطبع في كتاب .

([4]) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الرومي: 22/1. ومع هذا لم يلتزم بما ذهبه اليه من التفريق فوقع في الخلط بينهما في ج1/ص34.

([5]) ينظر: المنهج الاثري في تفسير القران الكريم– حقيقته ومصادره وتطبيقاته، هدى ابوطبرة : 23.

([6]) ومما تجدر الاشارة اليه هو تسجيل ملاحظة على ما افاده الدكتور محمد كاظم حسين الفتلاوي في كتابه "مناهج المفسرين –دراسة في النظرية والتطبيق" : ص22، اذ يقول "اذ لم يجد الباحث ما يدل دلالة اكيدة على التمييز والتفريق بين الاتجاهات التفسيرية ومناهج المفسرين فهناك ادبيات كثيرة تناولت موضوع اتجاهات التفسير ومناهج المفسرين بالبحث والدراسة والتحليل لكن لم يصرّح احد على حد علم الباحث بالتمييز والتفريق بينهما"! وغريب جدا ان يقول ذلك مع ان بين يديه اكثر من مصدر قد اثبته في قائمة مراجع ومصادر كتابه قد مّيز اصحابها بين الاتجاهات والمناهج كـ(فهد بن عبد الرحمن الرومي في كتابه اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، وهدى جاسم في كتابها المنهج الاثري ، ومحمد علي الرضائي في كتابه مناهج التفسير)! .

ومن اهم حيثيات التفريق بينهما هو تحديد مورد استعماله؛ أ في التوصيف البعديّ ام القبليّ؟ ، وهل المفهوم يصف ويصنف ادوات ووسائل (الخطة التفسيرية للمفسر قبل الشروع) او هو يصف ويصنف المُنتَج التفسيري بما هو مادة كائنة؛ لأنه «إِذَا اخْتَلَفَتْ الِاصْطِلَاحَاتُ فَيَجِبُ بِالضَّرُورَةِ أَنْ تَخْتَلِفَ الْحُدُودُ»[1] فمن غير المنطقي ان يتحد الاصطلاحان في التعريف والتوصيف مع اختلافهما في موارد الاستعمال!.

ويبدو ان تحديد (اتجاه المفسر) انما يكون بعد فراغه من كتابةِ واتمامِ تفسيره، اي هو من المفاهيم التي تُوظّف في وصف ما هو (متكوّن وكائن بالفعل)؛ فـ«المفسِرون الذين أعلنوا تمسكهم بالحياد في التفسير تعذر عليهم ذلك، لم يتمكنوا من تطبيق ما أعلنوا عنه وما ينشدونه. تحكمت في تفسيرهم عوامل متعددة، بعضها ظاهر وحاضر في الوعي وبعضها مستتر غاطس في اللاوعي. تجلت في تفسيرهم: رؤيتهم للعالم، ونمط تكوينهم المعرفي، وثقافتهم، ومسلماتهم، وأفق انتظارهم»[2] .

ثم انّ الميل والانتماء تعتبر صفات سابقة ومتقدّمة على النظر المنهجي في التفسير[3].

ان عدّ الاتجاه عنصرا يلازم بناء الخطة التفسيرية قبل الشروع بكتابة التفسير لا يخلو من اشكال!؟ اذ انّ حقيقة المفهوم يدل على صفات وخصائص ترتبط بالمُسبقات والقبْليّات التي تظهر في المادة التفسيرية فيما بعد تدوينها.

إنّ تجريد منهج المفسر مما انطبع به من ميول فكرية وما التصق به من قناعات مذهبية وما تلون به من اهتمام بالفن او التخصص العلمي بغية الانتفاع بتجربة المفسر التفسيرية في مشروع تفسيري لاحق؛ والسؤال المهم هو: هل يعد التسامح في التعبير عنه بلفظ (منهج) دون تخصيصه بالإضافة لمفسر معين تسامحا مبررا؟! او ينبغي تخصيصه بالإضافة لمفسّر معين؛ بأن يقال: (منهج المفسر فلان)، ليتميّز بانّه توصيف بعديّ فيفهم المتلقي بانّ المادة التفسيرية مُصطبِغة بتوجّهات ذلك المفسّر؟

([1]) المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تح: محمد عبد السلام عبد الشافي (الناشر: دار الكتب العلمية، ط1: 1413هـ - 1993م): 20/1.

([2]) أثر رؤية المفسِّر للعالَم في التفسير، عبدالجبار الرفاعي (مقال منشور في جريدة الصباح - الخميس 07 كانون ثاني 2021م - العدد 5014) / وايضا على موقع الجريدة الالكتروني :

https://alsabaah.iq/38643/أثر-رؤية-المفس-ر-للعال-م-في-التفسير

([3]) ينظر: منهج التفسير الموضوعي، سامر عبدالرحمن رشواني : 34.

في الحقيقة لا يمكن قبول هذا التبرير منهجيّا في مثل هكذا توصيف؛ لأنه سيوقع المتلقي في اشكاليات اللبس والايهام. فيلزم تخصيص المنهج بملحظيّ: البَعْديّة والقَبْليّة؛ وملحظ التفريق بين التفسير والبحث التفسيري؛ لانّ (منهاج المفسر) غير منهج البحث التفسيري؛ فمنهاج المفسر يجب ان يكون بعيدا عن الاتجاهات الفكرية وتأثيراتها لأنه يرتبط ببيان النص القرآني ، اما منهج البحث التفسيري فانه يخضع لموضوع الاتجاه : ان كان يخص علماً من العلوم او فنّا واهتماما للمفسر؛ او ان كان يخص ميله نحو تيار فكري او نظرية او مدرسة ... الى أخره، فيَصحّ ادراج ذلك المنهج تحت (اتجاه معين)لانّ المنهج في حيثيته البحثية واقع تحت سلطان القِبَلّيّات العقديّة والمذهبية والعاطفيّة[1] .

ومن غير المنطقي ادراج (المنهج) الذي يعدّ احد عناصر الخطة التفسيرية –المنهاج التفسيري– قبل الشروع تحت (اتجاه معين)؛ لانّ التبعيض في الادوات والمصادر امر غير منطقي وغير واقعي فالخطة بما هي برنامج –منهاج التفسير– لاتزال مجرد افكار ونظام نظري لم يحصل تفاعل بين المفسر والنص حتى يصطبغ المنهاج بالممارسة التفسيرية فلا تظهر الميول والنزعة الا في التطبيق والتدوين الجدّي ؛ ولان النّص القرآني يتوافر على عناصر غنيّة بالعلوم والمعارف المتنوعة فطبيعته تقتضي ان يفسَّر استنادا لخطة متكاملة تتوافر على الطرق الشرعية في التفسير الادوات والاليات والوسائل التي تبين النص القرآني وتعين المفسر في بحوثه[2] .

مما تقدم؛ يبدو ان فكرة جعل (الاتجاه أحد طرق التفسير) نشأت عن ذلك –الابراز لمنهج المفسر بهدف الاستفادة من تجربته!

والاتجاه لا يدعم المنهجية التفسيرية اثناء اعداد وتأسيس المنهاج التفسيري؛ وانما هو وصف ينبّه ويرشد المفسر اثناء تطبيق منهاجيته –خطته– الى ضرورة التزام الحياد والموضوعية في فهم النص القرآني، وتجنب التعبير الذي يخرج عن روح النص القرآني

([1]) ينظر: امكانيّات التفسير واشكاليّاته في البحث عن المعنى، محمد مصطفوي(بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ط1: 2012م) : 101.

([2]) فمن اعتبر الاتجاهات هي الاتجاه اللغوي والعقلي والفقهي .. مثلا من غير المنطقي ان يستند على واحد ويغفل عن اخر لان النص القرآني يتوافر على اللغة والمعطيات العقلية والفقهية والتربوية و... ، "حيث لا يمكن لأي مفسر ان يلج العملية التفسيرية من دون الاستعانة بالعقل ولايمكن ان يستوي بناء المعنى دون اعتماد اللغة «فان التفسير يعتمد على كل وسيلة استكشافية مشروعة قادرة على الوصول الى المعنى القرآني» ينظر: امكانيات التفسير واشكالياته، مصطفوي : 83، 93، 117.

اثناء البيان، فضلا عن الابتعاد عن الاتجاهات المحظورة التي وقع بها من فسر النص القرآني استنادا لأهوائه المذهبية وقناعاته العقدية.

بينما في البحث التفسيري فانّ المفسر يتناول موضوعات وقضايا يبحثها بالاستمداد من اصوله المذهبية وقناعاته العقدية ومرجعياته النظرية وغيرها، من دون عدّ نتائج بحوثه تفسيرا*.

لهذا يكون التوصيف باستعمال لفظ (الاتجاهات) اولى بالتعبير عن المنتج التفسيري المنحرف والمحظور؛ لسلبيّة تأثير جملة من متعلّقاته كالميول المذهبية والمدرسية على المفسّر، بينما استعمال لفظ (المنهج) في التعبير عن الطرق المعتبرة في التفسير يتوافق مع دوره الإيجابي[1] .

و(المنهج) مفهوم يعطي انطباعا حميدا عن التنظيم والترتيب والموضوعية، بخلاف لفظ (اتجاه) الذي يعطي ايحاء بالذاتيّة ويكشف عن تلكؤ في الحياد.

وبعد تتبع وفحص جملة من المؤلّفات التي تناولت الفرق ما بين المنهج وما بين الاتجاه؛ اجملته ملخصّا في النّقاط الاتية:

- الاتجاه هو الهدف والجهة التي يقصدها المفسر.
- المنهج هو سبيل وطريق وطريقة، واداة ووسيلة، واجراء.
- الاتجاه اعم من المنهج بينما ذهب البعض الى القول بان المنهج اعم فهو الوعاء الذي يحتوي افكار هذا الاتجاه التفسيري او ذاك.
- الاتجاه هو مجموعة الافكار التي يتبنّاها المفسر ذات طابع مذهبي فيخوض العملية التفسيرية وهو مسلح بتلك الافكار المسبقة.
- المنهج عبارة خطوات توصل لغاية وهدف معين.
- ان الاتجاه مصاديقه المذاهب والمدارس والفرق "كالسنة والشيعة وغيرهما" والتخصص العلمي "كعلوم اللغة والبيان والفلسفة ..." والثقافة العصرية "تحدد بلحاظ العصر الذي

(*) مثال على ذلك (تفسير العلاّمة السيد محمد حسين الطباطبائي) لم يخلط فيه بين الاجراءات التفسيرية وما بين الاجراءات البحثيّة، فما ان يفرغ من بيان النص القرآني يعقب ذلك بالبحوث فيعنونها ببحث روائي وبحث فلسفي ... وهذا يجنب المفسر من اقحام القارئ في دوّامة الآراء والنظريات العلمية والفكرية والمذهبية في توجيه الآيات القرآنية وبالتالي يشعر القارئ بضياع مدلول الآيات وتشتت ذهنه عن تحديد مقاصد الخطاب.

([1]) ينظر: مناهج تفسير القران، طلال الحسن: 28.

تدرس فيه تفاسير معينة" والتيارات الفكرية "كالحداثوية والسلفية والموروث والعلمانية" وكل ما يتعلق بموقف المفسر من القضايا الفكرية.

- المنهج عبارة عن الخطط الموضوعية التي ترسم استنادا الى القواعد والوسائل التي توصل الى هدف تفسيري.
- الكلمات الدالة على الاتجاه هي: اللون، الصبغة، النزعة والميول، التيارات كالحداثة والسلفية والتجديد... بينما المنهج فتدل عليه المفردات: الخطط والقواعد والاصول والادوات والوسائل والمصادر والكيفية والمسار والمسلك والطريق.
- الاتجاه لا يعبر عن موقف معرفي بل يعكس موقف ايديولوجيا، بينما المنهج وظيفته هو البحث عن المعنى وبناء معنى جديد.
- تنشأ الاتجاهات من خلال ما يظهر على التفاسير من منهج يغلب استعمال المفسر فيها.

الاتجاه معنى يتجلّى في نص المفسر في كتابه فهو من المسبقات والقبليّات الذاتية التي يسقطها على المضمون التفسيري قاصدا او غير ملتفت ، بينما المنهج حقيقة موضوعية خارج الذات ما لم يقف على اساساته وقواعده لا تكون العملية التفسيرية مستقيمة ومنتجة[1] .

اذن الاتجاه بحسب ما تذهب اليه جملة من المؤلفات هو وصف لما يتناوله المفسر من قضايا تخص العقيدة والقناعات المذهبيّة والكلامية، وهو وصف للمفسر حينما يظهر على تعبيره التفسيري – تفسير او بحث تفسيري– تأثير نزعة معينة وميل لمذهب او نظرية او تيار فكري مشهور ومعروف.

بينما المنهج: ينبغي في رتبة سابقة تعيين المفهوم الذي يقابل مفهوم الاتجاه حتى لا يحصل خلط في الاستعمال بين مصطلح (منهج التفسير) و(مناهج المفسرين) فمع اي اصطلاح يكون مراعاة الفرق؟

([1]) ينظر: اتِّجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في القرن العشرين: 63 ، 68.،اتِّجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الرُّومي: 1 / 22.، المنهج الأثري في تفسير القران الكريم، هدى جاسم ابوطبرة:23 .، المناهج التفسيرية في علوم القران : 76–77.، ابن جرير الطبري ومنهجه في التفسير، محمد بكر اسماعيل: 29. ، المفسرون حياتهم و منهجهم، الايازي: 32–33.، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، الخالدي : 42–44. مناهج التفسير واتجاهاته، الرضائي :17،358.، اساسيات المنهج والخطاب، محمد مصطفوي :30.، الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث، عادل بن علي الشدي :13.، التفسير والمفسرون منهج فهم القران عند الشهيد الصدر، الازرقي :299–300.، اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني، سليمان محمد علي الدقور:19.

وبعبارة اخرى: هل الفروق السابقة كانت بين الاتجاهات وما بين مناهج المفسرين او ما بين الاتجاهات وبين مناهج التفسير؟

من خلال معطيات المؤلّفين وبيانتهم والخصائص والصفات التي عرّفوا ووصفوا بها الاتجاه يظهر حصول خلط بين (مصاديق الاتجاه) مع (مناهج المفسرين)!

فبيّنما هم يتحدّثون عن الالوان التفسيرية ويتذاكرون اصنافها: الفقهي والفلسفي والادبي والعلمي ... والى أخره، نجد من يصفها منهم على انّها مناهج للمفسرين: منهج ادبي ومنهج فلسفي ومنهج فقهي ...؟! ونجد من يصف التفسير بالمأثور على انّه اتجاهاً ثمّ لا يجد مانع من ان يصفه بالمنهج او الطريقة أو النوع[1] !

فهل يُستَظهر من هذا: ذهابهم الى الاشتراك فيما بين مفهوم (الاتجاه) وما بين مفهوم (مناهج المفسرين)؟

لم تُراعَ خصوصيات التفريق بينهما، كما لم يُعثَر على مراعاة تخصيص كل مفهوم بما يناسبه من الاضافة في كلامهم.

ويبدو انّهم تناولوا التفريق ما بين المنهج والاتجاهات دون تخصيص لأي منهج يقصدون؛ هل منهج التفسير او منهج المفسر؟!.

وسياتي في المباحث اللاحقة اثناء طرح المعالجة الوقوف على حقيقة التفريق ويُوضع كل مفهوم في وضعه المناسب.

المطلب السادس: توظيف مصطلح الاتجاه في توصيف المحمود والمذموم من التفاسير:

أُستعمل لفظ (الاتجاهات) في الدلالة على نزوع المفسر نحو اهتماماته فيغلب على تفسيره لونا من العلوم والفنون او مظاهر الانتماء لمذهب او تيار وغيرها، وفي ضوء هذا يُقيَّم تفسيره إن كان تفسيرا معتبرا يُحمد اتجاهه او غير معتبر يُذم اتجاهه.

ولكن في مؤلّفات (المناهج التفسيرية) المعاصرة وخصوصا بعد انحسار استعمال لفظ (الاتجاه) في عَنونة مؤلّفات المناهج التفسيرية، وتسيّد مصطلحي (مناهج المفسرين ومناهج التفسير) ، ويلاحظ عليها– المؤلفات– توظيف لفظ (اتجاه) لوصف التفاسير التي انحرف مفسروها عن قوانين تفسير القران الكريم، فصنّفت تفاسيرهم بانّها من التفسير

([1]) ينظر: مناهج تجديد، امين الخولي: 297.، أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك: 227. ، التفسير والمفسرون، هادي معرفة: 2/ 534 –537.، المبادئ العامة لتفسير القران الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد حسين الصغير: 90.

البدعي المرفوض، وعلى الدارسين وكل من يريد تفسير كتاب الله "عزوجل" انْ يتجنبوا اعتمادها والسير على منوالها لئلا يقعوا فيما وقع به مفسروها من عدم مراعاة سلامة المقدمات التفسيرية التي تؤثّر على نتائج العملية التفسيرية؛ وبعبارة اخرى :

ان الاتجاه مفهوم قد يوحي بعدم الحياد –التحيّز– وان من شروط وآداب البحث التفسيري هو الموضوعية[1] ، لذا تناول جملة من المؤلفين لفظ (الاتجاهات) بوصفه تعبيرا عن فشل المفسرين في التخلّص من تأثيرات الميول والقناعات المذهبية التي تجرّ المفسّر الى التعصب احيانا لمذهبه او يعطف مفاد الآية بما يدعم افكاره وما يؤمن به من عقائد ، ويلوي عنق النّص القرآني تبعا لاهتماماته وتخصصه ، ومن خلاله يتضح مدى خطورة ذلك على نتائج العملية التفسيرية[2] .

ويلاحظ على مباحث مؤلفات المناهج التفسيرية تركيزهم على تتبع اتجاهات المفسرين الذين ظهر على تفاسيرهم الانحراف وفساد المذهب في حقبة زمنية او تاريخية معينة، فوظّف بعضهم مفهوم الاتجاه لوصف التفاسير الغيرِ معتبرة؛ لأنه يصف الدور السلبي لتأثير الميول والاهواء على العملية التفسيرية[3] .

وتكمن سلبيّته في خطورة النتائج التفسيرية المترتبة عن الانغلاق المعرفي على المتبنيّات الفرديّة، و هيمنة سلطة الموروث والتسليم المطلق لمناهج القدماء[4] .

ما تقدّم يمكن عدّه سببا في انحسار استعمال لفظ الاتجاه في الدراسات التفسيرية، وانتشار استعمال لفظ المنهج ومقبوليته بجعله عنوانا بديلا عن الاتجاهات في كثير من المدونات، بعد ان كان العنوان البارز في المؤلفات السابقة هو الاتجاهات[5] .

واما (مفهوم) المنهج فيختزن معاني: الاستقامة والنظام والتمرحل والطريقية والترتيب، بخلاف لفظ (اتجاه) الذي يختزن معاني: الميل والتحيز وتأثير العواطف التي تُخرج الباحث من الموضوعية والحياد.

([1]) ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، الخالدي: 62. ، اصول التفسير وقواعده، خالد عبدالرحمن العك: 188.

([2]) ينظر: اللباب في تفسير الكتاب، الحيدري :12/1.

([3]) ينظر: مناهج تفسير القران ، طلال الحسن : 28.

([4]) ينظر: م ن: 29 ؛ و امكانيات التفسير واشكالياته :272.

([5]) ويلاحظ ذلك في عنوان مؤلفات كل من الدكتور محمد عفت الشرقاوي والدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب و الدكتور محمد ابراهيم شريف والدكتور فهد بن عبدالرحمن الرُّومي واكثر من كتب في علوم القران من السابقين كان يقرن مع المناهج لفظ اتجاهات.

على سبيل المثال: المفسر الذي يميل الى مسبقاته المذهبية ، ويجرّ معاني الآيات لما تهواه نفسه، ويحمِّل معاني القران مالا تحتمله ويقحمها بنحو داعم لأيديولوجيته؛ يُدْرَج تفسيره في جملة الاتجاهات المنحرفة ومن التفسير بالرأي المذموم[1] .

ولكن هل يعد التفسير بالراي أحد مصاديق الاتجاهات!؟

ولماذا لا يعدّ من المناهج؟ أ ليس (المنهج) هو المسؤول عن النتائج؟!

يبدو ان سبب توصيف انحراف العملية التفسيرية ونتائجها بـ (الاتجاه) وغلبة استعماله دون (المنهج) لما اتضح من ان الاتجاه هو تعبير عن تلك الميول والاعتقادات وغيرها للمفسر والتي تنعكس على نصّه التفسيري ويتلون بموضوع اهتمامه، بينما المنهج هو تعبير عن حقيقة موضوعية خارج الذات فما لم يقف على اساساته وقواعده لا تكون العملية التفسيرية مستقيمة ومنتجة[2] . فالمعيار في تقييم التفاسير يستند على ملاحظة عدم سيطرة تلكم القناعات والميول على تفكيره من خلال امعان النظر بتعبيره وبالتالي تحكمها في توجيه منتجات المادة التفسيرية[3] .

ويبدو ان تحديد (معيار ومقياس) الانحراف في التفاسير لم يقرّ له حدّ متسالم فيه او ضابط كلي متفق عليه؛ فالدارسون في التفاسير والباحثون فيها يُقيّمون (كتب التفسير) استنادا الى رؤيتهم الكونية عن العالم واصولهم العقدية ومبانيهم الفقهية، فيحكمون باعتباريتها متى ما ظهر لهم انها لا تخالف رؤيتهم والا فهي تعد غير معتبرة ومن الاتجاهات المنحرفة[4] ! فعلى سبيل المثال وضع أحد الباحثين معايير بنى عليها اقسام الاتجاهات المنحرفة: «

1- درجة الانحراف بمراعاة نوع البدعة كفرية ام دون ذلك.

2- موضوعات التفسير واصوله.

3- المدرسة المنحرفة التي ينمتي اليها المفسر.

4- الاسباب الدافعة الى الانحراف في التفسير.

([1]) ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي :199/1. ، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القران الكريم، الذهبي: 18-19. ، اصول التفسير وقواعده، خالد عبدالرحمن العك :227. ، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: 495.

([2]) ينظر: اساسيات المنهج والخطاب، محمد مصطفوي: 30.

([3]) ينظر: الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث ،عادل الشدي: 14-16.

([4]) ولإثبات صدق ذلك تكفي نظرة فاحصة لبعض المدونات كالتفسير والمفسرون للذهبي فانّه قيّم جملة من مناهج المفسرين وحكم على تفاسيرهم بالانحراف والضلال و.. استنادا الى ما يؤمن به من مذهب وعقيدة .

5- التقسيم الجغرافي لمواطن المفسرين الذين ظهر الانحراف على تفاسيرهم.
6- الزمن الذي ظهر فيه هذا الانحراف في التفسير»[1] .

وتبدو هذه المعايير (الاعتبارات) للوهلة الاولى معايير كاشفة وكليات مرجعيّة في التقييم غير ان جملة منها لا تخلو من مناقشة: فان المفاهيم المذكورة: البدعة؛ التكفير؛ مدرسة المفسر؛ معيار تشخيص اسباب الانحراف؛ الوطن؛ مقياس ظهور وبداية الانحراف بالنسبة للاعتبار الزمني.

قد اختلف فيها علماء التفسير والقران والفقهاء اختلافا كبيرا وكثيرا.

فمن الذي يحدد تلك المفاهيم ويشخِّص مصاديقها ؟ ، فمثلا مفهوم البدعة مختَلَف فيها وفي مصاديقها بين علماء الدين والقران فضلا عن اختلاف كل مذهب وفرقة فيما بينهم حولها[2] وهكذا في باقي المفاهيم الاخرى.

وهذه المفاهيم لم ولن يحصل عليها أي اتفاق ما دام الدارسون في التفاسير يبحثون فيها انطلاقا من الصورة النمطيّة الراكزة في اذهانهم عن حقّانيّة عقيدتهم واصول مذهبهم؛ فنتيجة الحكم على أي تفسير ستكون: كل تفسير لا يتطابق مع تلكم الصورة يعدّ منحرفا وغير معتبر!

ان الحكم على أي تفسير يلزم ان تكون هناك (منظومة مفاهيم) مدروسة بصورة دقيقة رُوعيَ في تحديدها وتعيين مصاديقها: (المرحلة القبليّة والبعديّة) في العملية التفسيرية، حتى تُعتَمد في التوصيف وتُتَخذ معيارا في التصنيف، ومالم يتم تحديد المرحلة التي تتناسب مع مفهوم الاتجاه بعد الوقوف على خصائصه في التوصيف والتصنيف فان اللفظ سيبقى رهين التوظيف المؤدّي الى الخلط والايهام.

([1]) الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث ،عادل الشدي: 16-17.

([2]) ينظر: حقيقة البدعة وأحكامها، سعيد بن ناصر الغامدي (الرياض: مكتبة الرشد ، ط 3: 1419هـ-1999م): 1/ 352- 366 ؛ البدعة "مفهومها حدها وآثارها"، جعفر السبحاني (قم: اعتماد، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق(ع) ، 1416هـ): 25-52.

المبحث الثالث: مفهوم الاسلوب التفسيري وتعريفاته

المطلب الاول: تنوع موارد استعمال اللفظ:

يعد لفظ (اسلوب) من الالفاظ الرائج استعمالها في العلوم المتنوعة والمختلفة، لما فيه من مرونة وتكيّف يخدم الغرض الذي يُوظّف له.

شاع استعماله في موارد كثيرة من الفنون والتخصصات العلميّة ، يقول الاستاذ احمد الشايب «أن كلمة الأسلوب صارت هذه الأيام حقًّا مشتركًا بين البيئات المختلفة، يستعملها العلماء ليدلوا بها على منهج من مناهج البحث العلمي، ويستعملها الأدباء في الفن الأدبي ... وكذلك الموسيقيون يتخذونها دليلًا على طرق التلحين وتأليف الأنغام ... ومثلهم الرسامون فهي عندهم دليل على طريق تأليف الألوان ومراعاة التناسب بينها...»[1] فهو لفظ مرنّ وخادم للمقاصد التي يوظف لأجلها مع مراعاة خصوصية المجال الذي يستعمل فيه .

إلا انّه في الدراسات التخصصية كعلوم القران ومناهج التفسير والأدب وغيرها يقتضي مراعاة الخصوصية والدقّة حينما يستعمل في الاصطلاح ويراد تداوله في اغراض علميّة ومجالات تخصصية، لكيلا يقع الأستاذ المُدرِّس والطالب المتعلم والباحث في اشكالية الخلط المؤدي الى الايهام واللبس.

ولا يخفى ان استعمال الالفاظ بنحو الاشتراك او المجاز او الترادف في التخصصات العلميّة يحتاج الى قرائن كاشفة عن المعنى المقصود[2] والا سيؤدي هذا الى تشّوش الفهم في المحاورات وهو امر مذموم في العلوم التخصصية ، ويؤكد العلماء على تجنّبُه خشية الوقوع في الخلط المفضي الى تناقض النتائج وفسادها. وعليه يظهر عدم صواب من قال بجواز الاستعمال المجازي او التسامح في حال عدّ لفظيّ (منهج واتجاه) مرادفين لـ(الاسلوب)، بالرغم من ذهاب هذا القائل الى ضرورة التفريق فيما بينها[3].

واستعمل هذا اللفظ بكثرة في درس مناهج التفسير دون مراعاة الفرق بينه وبين لفظي

([1]) الاسلوب، احمد الشايب(الناشر: مكتبة النهضة المصرية ، ط12، 2003م): ٤٠ .، ينظر : معجم المصطلحات العلمية والفنية: 322.

([2]) ينظر: المنطق ، محمد رضا المظفر: 39/1 .

([3]) ينظر: اللباب في تفسير الكتاب، كمال الحيدري: 51/1.

المنهج والاتجاه وحمل الكل على المؤدّى الوظيفي لمدلولات هذه الالفاظ وهو (التوصيف والتصنيف) اما تسامحا او مجازا او ينظر اليها على انها مترادفة.

ولا يخفى إنّ المعاجم والقواميس (العربية والانجليزية) المتأخرة والمعاصرة اسهمت في تنميط الاذهان على ان هذه الالفاظ (المنهج والاتجاه والاسلوب) يوجد بينها مشترك دلالي فجميعها تعني (الطريق والطريقة)[1] فأنِستْ الاذهان بمُقتضى عامل الاعتياد وتكرار الاستعمال بهذا المعنى دون الالتفات للخصوصية الاصطلاحية واهميّتها في تحييث المفاهيم والمصاديق بما يناسب موضوعاتها .

لهذا نجد كثيرا من المؤلّفات والبحوث في المناهج التفسيرية تداول مؤلِّفوها لفظ (اسلوب واساليب) دون ان يكون فيما بينهم توافق في خصوصيته الاصطلاحيّة[2].

وُصِفَ (الاسلوب) بالطريق والطريقة وتارة العكس ، وكأنّهما لفظين مترادفين يعود لما أصّلت له المعاجم العربية المتأخرة وخصوصا المعاصرة منها[3] ويبدو هذا ما جعل البعض يعرّف الطريقة التفسيرية على انها: أسلوبا[4].

ويزداد التشابك بين المدلولات حينما نجد من يعرف المنهج بـ (الطريقة) كما مرّ في المبحث الاول! وتظهر اشكاليّة الخلط والتداخل بوضوح عند توظيف المفاهيم بهذا النحو مما يوقع الدارسين والباحثين في الايهام واللبس!

([1]) ينظر: المعجم الوسيط: 957،441، 1015. ، معجم اللغة العربية المعاصرة :2/ 1089. ، 1398؛ 3/ 2291 ؛3/ 2407. ، معجم الصواب اللغوي :1/ 506.

([2]) ينظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد بن عبدالرحمن الرومي (الرياض : مكتبة التوبة، ط4 :1419هـ): 55 ؛ مناهج التفسير واتجاهاته، علي الرضائي: 26 .، المنهج الترابطي ونظرية التأويل دراسة في التفسير الكاشف، جواد علي كسّار(ايران: دار الصادقين ، ط1 : 1420هـ- 2000م): 29-30.، اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق ، محمد صالح محمد سليمان(المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ط1 :1430هـ): 60.، هاشم ابوخمسين- حمزة موسى امام، المنهج الترتيبي والمنهج الموضوعي في تفسير القران الكريم، مجلة المصباح، العدد 19 /2014م-1435هـ : 211 .

([3]) المعجم الوسيط : 441.، معجم اللغة العربية المعاصرة :2/ 1089 ، 1398.، معجم الصواب اللغوي :1/ 506 .، ومما تجدر الاشارة اليه إنّه لم يرد في المعاجم القديمة بان لفظ طريقة هو بمعنى اسلوب إلا في المعاجم الحديثة ويبدو انّهم أجازوا ذلك لما ورد في الطريقة والاسلوب من معاني مشتركة .

([4]) ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبدالفتاح الخالدي: 18.، بحوث في اصول التفسير ومناهجه، الرُّومي: 55 .

ويبدو ان معاجم اللغة العربية الحديثة والمعاصرة ضمنّت مفرداتها ما ورد في قواميس ومعاجم الترجمة (اللغوية والاصطلاحية) لغير اللغة العربية ؛ في ضوء ما يُصطلح عليه بالصّناعة المُعْجميّة[1] فامتزجتْ المفردات والمعاني الاصيلة بالمولّدة وبالمعربة، وأصّل لذلك التداول والتسامح في التعبير في مجالات الدراسة والبحث العلمي ، فصار لها رواجا وحضورا جعل الباحثين والدارسين يأخذون تلك المعاني ومن دون فحص لجذورها؛ وكأنّها عربيّة اصيلة وردتنا عن العرب الاقحاح.

ففي قاموس ترجمة اللغة الانجليزية:

«اسلوب (style)

طريقة، أسلوب، منهج، نظام (method)

أسلوب، نمط، سلوك، نسق، وضع، نوع (manner)

طريق، اتجاه، سبيل، أسلوب، شكل، نهج (Way)

طريقة، أسلوب، صيغة، موضة، شكل، نسق (mode)»[2]

وفي معجم المصطلحات العلمية والفنية : «الاسلوب = نهج = طريقة= خطة»[3].

ففي المدونات القديمة لم يذكر ابن فارس في مقاييسه ولا الفراهيدي في كتاب العين المنسوب له: بان (الاسلوب) معناه: الطريق، الطريقة، الفن[4].

بينما في المعاجم المتأخرة –ان جاز وصفها بالمتأخرة– كمفردات الراغب ، والفيروزابادي ، وفي اللسان لابن منظور؛ ذكروا بان (الاسلوب) بمعنى «الفن والطريق والطريقة . والوجهُ، والمَذْهَبُ، وكل طريق ممتد فهو اسلوب، ويُجْمَعُ عَلَى أَسَالِيب. وَقد سَلَكَ أُسْلُوبَه: طَرِيقَتَه. والأساليب الفنون المختلفة»[5] .

([1]) ينظر: علم اللغة وصناعة المعجم، علي القاسمي(الرياض : عمادة شؤون المكتبات – جامعة الملك سعود، ط2 : 1411هـ – 1991م) : 3.

([2]) قاموس المحدث (قاموس عربي إنكليزي، الإصدار 1.01): 1724.، قاموس الإنجليزيّة الأمريكيّة المتميّز، موقع الكتروني: / http://arabic.britannicaenglish.com

([3]) معجم المصطلحات العلمية والفنية : 322.

([4]) ينظر: كتاب العين، الفراهيدي: (باب السين واللام والباء) 7/ 261 ؛ معجم مقاييس اللغة لابن فارس: 3/ 92.

([5]) القاموس المحيط، الفيروز آبادي: 98.، لسان العرب، ابن منظور ينظر :(مادة سلب) ؛ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي: 1/ 284 ؛ تَاج العَرُوس من جَوَاهِر القَامُوس، الزبيدي (مادة سلب):71/3 ؛ المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: 419.، أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر

و لهذا نجد في المؤلّفات والبحوث استخدام الفاظا عُدّت من معاني (الاسلوب) كما في استعمال لفظ (مذهب) اذ وُصِف بانّه أسلوبا تفسيريا[1] وَ وُصِفَ (المنهج) بانّه اسلوبا في بعض التعريفات[2] .

إنّ غياب تحديد مفهومه وتعريفه أوقع المتلقي (الدارس والباحث وغيرهما) في تشويش عما يقصده المؤلفون من (الاسلوب التفسيري) تحديدا؟! ، وان عدم الاتفاق على مدلول ثابت يترك الباب مفتوحا في ان يرى كل باحث ومؤلف من حقه ان يوجه ويوظف اللفظ والمفهوم من زاوية نظره[3] وحينئذ لا يصار الى نتائج متفق على مقدّماتها .

فهل كان تعريف الاسلوب محل اهتمام المتخصصين في مناهج التفسير من ناحية تحديد معناه وتعريفه؟ هذا ما سيتضح في المطلب الاتي.

المطلب الثاني: تعريفات الاسلوب التفسيري (عرض ومناقشة):

تناولت دراسات تخصصية بمعزل عن علم مناهج التفسير والمفسرين تعريف المفهوم بما يخدم موضوعاتها واهدافها واغراضها. منها الدراسات الادبية والبلاغيّة وخصوصا (البلاغة القرآنية) فكانت لها الحصّة الاكبر فيه.

ورد في مدونات علوم القران للمتقدمين ذكر اساليب القران[4] اي ما يتعلق بالنّظم والمظاهر الاسلوبيّة التي انفرد بها الذكر الحكيم، مما يُحْتَسب من مسائل العلوم البلاغيّة والبيانيّة.

انطلق الادباء والبلاغيون في تعريف الاسلوب من المدلول اللغوي: الفن والطريق والطريقة، والوجهُ، والمَذْهَبُ؛ وكل طريق ممتد فهو اسلوب، ويُجْمَعُ عَلَى أَسَالِيب. وَقد سَلَكَ أُسْلُوبَه: طَرِيقَتَه[5] .

الزمخشري، تح: محمود محمد شاكر(القاهرة : مطبعة المدني، ط 1، 1991م): 831.، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين ، ط 4: 1407 هـ – 1987 م): 149/1.

([1]) ينظر: مناهج التفسير واتجاهاته، علي الرضائي :29.

([2]) ينظر: مناهج المفسرين، مصطفى مسلم : 15.، التفسير التحليلي دراسة في المناهج والاليات "سورة الطلاق (انموذجا)، مريم هادي رضا(مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة ، ط1 : 2018م): 32 .

([3]) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: 1/ 22 .

([4]) ينظر: البرهان في علوم القران ، الزركشي : النوع السادس والاربعون في اساليب القرآن وفنونه البليغة 3/4.

([5]) لسان العرب ، ابن منظور ينظر :(مادة سلب) ، تَاج العَرُوس من جَوَاهِر القَامُوس ، الزبيدي (مادة سلب)

والأسلوبُ عند الجرجاني: «الضربُ مِنَ النَّظمِ والطريقةُ فيه؛ فيعمدَ شاعرٌ آخرُ إلى ذلك الأسلوبِ فيجيءَ به في شعره فيشبَّهُ بِمَنْ يقطَعُ مِن أديمهِ نعلاً على مثال نعلٍ قد قَطعها صاحبُها فيقال : قد احْتذى على مثالِه»[1] .

وفصّل ابن خلدون مقصدهم من الأسلوب بقوله «وهذه الأساليب التي نحن نقررها ليست من القياس في شيء، إنما هي هيئة ترسخ في النفس من تتبع التراكيب في شعر العرب لجريانها على اللسان حتى تستحكم صورتها، فيستفيد بها العمل على مثالها والاحتذاء بها في كل تركيب من الشعر... [أي] حتى يتجرّد في الذهن من القوالب المعيّنة الشّخصيّة قالب كلي مطلق يحذو حذوه في التأليف، كما يحذو البنّاء على القالب، والنساج على المنوال»[2] .

ويبدو ان استعمال لفظ (الاسلوب) عند المتأخرين من ادباء العرب والبارعون في صناعة الكلام «اكثر شيوعا واقدم استعمالا من المنهج»[3] .

فوظّفوا لفظ (اسلوب) بما يقرب من لفظ (منهج) بمدلوله الاصطلاحي الوافد، وعلى وجه التحديد: المقاربة الوظيفية اي في الوصف والتصنيف.

لذا عرّفوا الاسلوب بما هو مستعمل في علم البلاغة والبيان وصناعة الكلام: «الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه او هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم كذلك ... وعلى هذا فأسلوب القرآن الكريم هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه...»[4] غير ان الاسلوب القرآني يتمثّل في نصوصه وما تفيضه من طرائق تجليّات الجمال والجلال الالهي، وان الوقوف على تلك المظاهر الفنيّة الجمالية انما يكون من خلال آليات ممنهجة عُرِفت في الدراسات اللسانية الحديثة بالأسلوبية وترتكز على منهج خاصّ في تحليل النص واستخراج معطياته[5]

([1]) دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر(الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط3 : 1413هـ – 1992م) : 469.

([2]) ينظر: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، تح: خليل شحادة (بيروت: دار الفكر، ط2: 1408 هـ – 1988 م): 787–790.

([3]) ينظر: اساسيات المنهج والخطاب، محمد مصطفوي: 26.

([4]) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني: 2 / 303.

([5]) ينظر: التفسير الاسلوبي للقران الكريم، عبدالحميد الهنداوي (موقع الكتروني: مركز تفسير للدراسات القرآنية): 6.

اذن الاسلوبيّة المقصودة في الدرس الادبي والبلاغي هي التركيز على النّص بما هو منتج فني يتوافر على صور جماليّة تعكس البعد الشخصي والعاطفي والشعوري لصاحب النص، واستهدافه من جهة نقديّة فاحصة تحليلية.

وفي الدراسات القرآنية أُدخلت الاسلوبيّة في التفسير بوصفها منهجا عندهم فاصطلح عليها بالتفسير الاسلوبي و «هو ذلك النوع من التفسير الذي يقوم بمحاولة الكشف عن معاني واسرار اللفظ القرآني المقدس بتحليله والكشف عن معطياته الدلالية التي ينتجها التحليل الاسلوبي على كافة المستويات اللغوية المعروفة وبيان مدى ترابطه ومناسبته لسياقاته ومقاصـده»[1] والاسلوب بالمفهوم المتقدم يعود الى المباني اللغوية والذائقة الادبيّة ومنطلقات العقل البياني في التفسير[2] .

ذهبت الدراسات في علم اللسانيات المعاصرة–الغربيّة والعربيّة– الى تطوير رؤيتها حول مفهومه؛ بناء على تنوّع مظاهر الذات في التعبير؛ حتى قيل الاسلوب هو الانسان نفسه وهو مثل اللّون في الرسم[3] .

ويبدو ان الباحث محمد مصطفوي صاغ من ذينك المعنيين رأيه عن الاسلوب بانّه: «ينشأ في داخل الانسان ويرتبط بالواقع الباطني له وشاكلته الداخليّة»[4] وهذا المعنى وان كان هو حصيلة مقارنة لإظهار الفرق بين الاسلوب والمنهج الذي هو بحسب وصفه : اداة تنشأ في الخارج وتحكم على نتاجات الداخل[5] إلا انّ المؤلف لم يبين خصوصية الاستعمال باعتباره مصطلحا يرتبط في العمليّة التفسيرية! ويبدو: كأنّه يتحدّث عن مفهوم خارج منظومة الاصطلاحات لدرس مناهج التفسير!

كان الهدف من ايراد معنى الاسلوب بما تقدم بيانه؛ بُغْية الاستنارة بجذوره الاستعماليّة وحتى يحصل تمييز بينه وما بين خصوصيته الاستعمالية في المناهج التفسيرية.

ومن داخل التخصص التفسيريّ عُرِّف (الاسلوب التفسيري) بتعريفات عديدة؛ منها:

([1]) التفسير الاسلوبي للقران الكريم، عبدالحميد الهنداوي: 6.

([2]) ينظر: اساسيات المنهج والخطاب ، محمد مصطفوي: 27.

([3]) ينظر: م ن : 28 .

([4]) م ن : 28.

([5]) ينظر: م ن: 28.

1- يرى الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرُّومي (الطريقة والاسلوب) شيئا واحد من ناحية المدلول. فعرّف (اساليب التفسير) او طريقة المفسر بانّها «الاسلوب الذي يطرقه المفسر عند سلوكه للمنهج المؤدي الى الهدف او الاتجاه»[1] .

ومرَّ علينا بان الاسلوب في اللغة هو الطريق والطريقة، ولكن ان توصف الطريقة بانها أسلوبا فما هو المبرر في جوازه وصحته؟

يبدو ان المبرر هو المقاربة في الوظيفة التي يؤديها كلا اللفظين؛ لانّهما يدلّان على الجانب الاجرائي في تطبيق الخطة التفسيرية المُعَبّر عنها بالمنهج[2] .

فالأسلوب بحسب القواميس والمعاجم الحديثة تذهب الى عدّه مرادفا الى الطريقة[3] ولم يرد في المعاجم العربية للمتقدمين عدّ الطريقة أسلوبا[4] .

وعدم تحديد المصطلح والالتزام بما وُضِعَ له؛ يوقع في اللبس والإيهام وخصوصا مع كثرة الاستعمال. لهذا رُصِد على المؤلف مخالفته لما وضعه من اصطلاح وحصل خلط في تعبيره بين المنهج والطريقة ؛ اذ وصف طريقة المفسر بالمنهج في بضعة موارد[5] .

2- وعرّف الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، الطريقة على انها «الأسلوب الذي سلكه المفسر اثناء تفسيره لكتاب الله والطريقة التي عرض تفسير كتاب الله من خلالها. وبعبارة اخرى: الطريقة هي تطبيق المفسر للقواعد والأسس المنهجية التي كانت منهجه في فهم القران. تطبيق تلك القواعد في مختلف الوان علوم التفسير: كتفسير آيات العقيدة والأحكام...»[6] .

ولم يتضح مراده من الطريقة: أ هي اسلوب أو طريقة عرض أو تطبيق؟!

ان من اهم ثمرات تحديد المفهوم بيان خصوصيته الاصطلاحيّة التي ينبغي على الدارسين والباحثين وغيرهم مراعاتها عند استعماله وتحري الدقة في توظيفه. واما ايراد أكثر من مفردة لتوصيف مفهوم يراد جعله مصطلحا فهذا لا يحقق الثمرة من تخصيصه في حال كان التعبير مبني على التجوّز والتسامح.

([1]) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: 22/1.

([2]) وسيتضح لاحقا ان هذا التعبير غير مناسب والاوفق هو كونه منهاج .

([3]) معجم المصطلحات العلمية والفنية : 322 .

([4]) ينظر: مختار الصحاح : 403 ؛ لسان العرب (مادة طرق) .، المحيط في اللغة ، :319/5.

([5]) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: 126/1، 306.

([6]) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: 18.

والتعريف كسابقه اعتمد المعاجم الحديثة في عدّ الطريقة : أسلوبا، وهو تعريف ناظر الى الجانب الاجرائي ، ومع هذا لم يكن تعريفه جامعا ومانعا فهو اعتبر ان من جملة المظاهر الكاشفة عن طريقة المفسر: هو تقسيم آيات السور الى وحدات ودروس ، والكيفية في تناوله للموضوعات القرآنية كآيات الاحكام والقصص[1] وهذا لم تتوافر عليه قيود التعريف سوى مفردة (عرض) فهل الطريقة : أسلوبا او مسلكا او طريقة عرض. والغريب اللافت ايراد نفس المُعَرّف: (الطريقة) في سياق التعريف فيقول (طريقة عرض)! وهذا معيب عند اهل النّظر فان تعريف الشيء بإيراد نفس لفظه يزيده غموضا!

3- عرف الدكتور محمد صالح محمد سليمان (الاساليب): «هي الطرق والمسالك التي يسلكها المفسر في تفسيره للجمل والالفاظ القرآنية»[2] .

وهذا التعريف يتناول الاسلوب بما يقرب من استعمال الادباء وعلماء البيان ومنهجهم في تحليل النص فهو يتناول المفاد اللغوي والتفسير بالمعنى ومستوياته ... وهذا يناسب استعماله في التوصيف القبلي لأنه تنظير لطرائق استجلاء النصوص في حدود علم اللغة العربية.

وتوصيف الأسلوب بالطرق والمسالك أيضا كسابقيّه اعتماد المعاجم المتأخرة والحديثة، بما يوقع المتلقي في اللبس والايهام مع مفهوم المنهج الذي عرفوه بالطريق والمسلك أيضا. وهذا يوهم بالاشتراك والترادف وكليهما يخرجان اللفظ من الخصوصية والدقّة في الاستعمال.

4- عرّف عبدالعزيز بن داخل المطيري (أساليب التفسير) بانها: «طرق تبليغِ معاني القرآن للمتلقّين وتقريبها لهم بما يناسب حال المخاطَبين ومقامَ الحديث»[3] .

والتعريف ناظر الى الوظيفة التبليغية للدُّعاة، وكيفية إيصال ثمار المفسرين الى المتلقين وتقريب ما افادوه في مدوناتهم من معاني القران الكريم. من الممكن ان يُفاد منها اثناء تدوين التفسير في بعض موارد الاقناع. والاحرى ان يصطلح عليها بأساليب تبليغ التفسير لا اساليب التفسير فانه يوهم بانها طرائق بحثّ علميّ.

([1]) ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين : 20-21 .

([2]) اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق ،محمد صالح محمد سليمان :60.

([3]) أساليب التفسير، عبدالعزيز بن داخل المطيري (معهد افاق التيسير للتعلم عن بعد ، ط1 :1438هـ) :7.

5- وتطرّق الدكتور محمد علي الرضائي الى بيان (الاسلوب) على انّه تعبير عن طرق كتابة التفسير من حيثية تناول تفسيره بنحو ترتيبي او موضوعي ، ومن حيث الحجم والكمية: مختصر او متوسط او مفصل ؛ او يكون جامعا لها وممزوجا منها[1] .

وهو ما يعبّر عنه بـ(النّاحيّة الشكليّة) التي انتخبها المفسّر في ترتيب المباحث ، غير أنّ البعض لم يسّمها بـ(الأسلوب) وانما اكتفى بالتعبير عنها بـ(الطريقة) تمييزا لها عن المنهج[2].

ويبدو من خلال التوصيفين السابقين ان المؤدّى واحد وهو مراعاة النّاحية الشكليّة في تناول كتابة التفسير إما على النّسق التسلسلي (التّتابع): تمشيّا مع ترتيب الآيات في السور وترتيب السور في المصحف ؛ او النسق التجميعي (الاقتطاعي) * فيختار المفسر موضوعا ويجمع كل ما يتعلق به في جميع الآيات والسور، ليخرج بنتيجة معينة، او يمزج بين الطريقتين .

وقد يكتب تفسيره مطولا او مختصرا مفصلا او مجملا او جامعا لعلوم القران واللغة والادب والاقوال والروايات ، وقد يكون مختصا بفن من الفنون مثل التفاسير الروائية او الادبية[3] .

ولكن هل بروز او غلبة فن من الفنون على تفسير المفسر يعدّ وصفا لاتجاه المفسر ام هو أسلوب؟! يبدو الخلط واضحا بين مدلوليّ الاتجاه والاسلوب.

6- عرف الدكتور أحمد الازرقي «الاسلوب في التفسير هو: كيفية تفسير القران ، بمعنى ان المفسّر اذا اختار منهجا من تلك المناهج وكان ذا اتجاه فكري فانه يدوّن تفسيره في اسلوب خاص»[4] .

يعدّ مفهوم (الكيفية) توصيفا عامّا قد يوصف به المنهج والاسلوب؟

كما ان المؤلف لم يُقيّد او يخصص تلك (الكيفية) بما يرفع عن مفهومها الابهام

([1]) ينظر: مناهج التفسير واتجاهاته، علي الرضائي :30-31.

([2]) ينظر: المفسرون حياتهم ومنهجهم، محمد علي ايازي :32.

(*) لم يرد في كتاب المؤلف لفظي (التسلسل والتتابع) ولا لفظي (التجميع والاقتطاع) والاول اصطلحوا عليه بالتفسير التجزيئي والثاني اصطلحوا عليه بالموضوعي وسيتضح لاحقا انهما ليسا اسلوبين في التفسير.

([3]) ينظر: مناهج التفسير واتجاهاته : 25 ،30-31.

([4]) ينظر: منهج فهم القران عند الشهيد الصدر، احمد الازرقي: 301. ، دراسات في المناهج والاتجاهات التفسيرية في كتب التفسير المختصرة ، نضال حنش شبار (جامعة بغداد ، كلية التربية /ابن رشد ،1437هـ-2017م) :10.

لأنه من الممكن ان يُعبّر بها عما ينبغي فعله من الإجراءات او عما تم في ضوئه العمل.

فلم يكشف التعريف عن حقيقة المُعرَّف بما لا يقع في الاشتراك مع غيره.

واشار التعريف الى التدوين وقيّده بخصوصية الاسلوب؛ ولا يبعد ان التعريف – ان جاز وصفه تعريفا– فيه ما يشبه الدور! فانه وصف الاسلوب بانه تدوين المفسر تفسيره في اسلوب خاص! اذ سيبقى تعقّل الاسلوب الخاص امرا غامضا! في حين يراد بيان مفهوم الاسلوب عبر تعريفه. ويُشترط ان يكون التعريف اوضح من المعرَّف ورافعا لغموض المُعَرَّف وابهامه وشارحا لألفاظه، لا يستعان بلفظه في بيان حدّه.

7– وعرف الشيخ محمد علي اسدي، الاسلوب «عبارة عن كيفية عرض التفسير ، فالمفسر اذا كان له اتجاه ومنهج ، فلابد ان يلقي أراءه التفسيرية بشكل خاص وذلك الشكل هو اسلوبه»[1] .

التعريف شابه التعريف السابق كثيرا، ولكنه قيّد او خصص مفهوم (الكيفية) بعرض التفسير وهو رافع لإبهامها ثم فصّل حقيقة العرض تكون بإلقاء الآراء بشكل خاص وهذا الشكل هو الاسلوب.

وذهب المؤلف الى ان تلك (الكيفية) لها حيثيتان: من حيث الآيات نفسها بان لها اسلوبا خاصّا، ومن حيث تفسير كل الآيات –اي القران الكريم– عبر اسلوب خاصّ. وهناك حيثية اخرى تقوم على الجمع بين الاسلوبين[2] ، وهو بهذا يعتمد نسق وترتيب نصوص المادة التفسيرية التي عبّر عنها بالآراء يطلق عليه بالأسلوب، ولكن التعريف لم يكن جامعا لأفراد الشكل فهو لم يتطرق للحجم ، كما ان الاسلوب في التفسير لا يقصر على طريقة العرض والشكل، وانما يتعلق بالمضمون وما يرشح من اداء المفسر، وهو امر تناله ذائقة المتلقي (الدارسون والباحثون وغيرهما) .

والمُلاحظ ان نسبة كثيرة من المؤلفات لم تراعِ أو تهتم بِتحديد مصطلح الاسلوب في التفسير وتخصيص وظيفته في الاستعمال بنحو لا يوقع في الخلط بينه وبين المفاهيم الاخرى.

([1]) المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة ، محمد علي اسدي: 22 .

([2]) ينظر: م ن : 22–23.

المطلب الثالث: الخلط ما بين الاسلوب والمفاهيم الاخرى:

ورد في مؤلّفات وبحوث المناهج التفسيرية توظيف لفظ (اسلوب) بكثرة وخصوصا حينما يكون الكلام عن (طرائق وطرق المفسرين)، اذ توجد صور عديدة لحالات الخلط؛ منها:-

1- الخلط مع المنهج:

يوجد بين لفظي منهج وأسلوب اشتراك دلالي؛ فمعناهما (طريق وطريقة)[1] لهذا وردت تعريفات عديدة اعتبرت (المنهج : طريقة) و(الاسلوب) ايضا كذلك ، وان حاول البعض ان يوجد فارقا بينهما عبر المعطى اللغوي ؛ فذكر بان الأسلوب هو طريق ، والمنهج هو الطريق الواضح، فيكون الاسلوب اعم من المنهج[2] إلا أنّ هذا التفريق لم يعالج صورة الخلط الحاصل في جملة من التعريفات الاصطلاحية السّابق ذكرها .

لقوّة التقارب بين اللفظين من حيثية وظيفتهما في التوصيف والتصنيف تكاد تلغي أي فرق وتؤذن بالاشتراك، وربما الترادف! فان دلالة الأسلوب على الطريق والطريقة تكاد تكون امرا مُسلّم به في الأعراف التخصصية، فضلا عن الأعراف العامّية.

غير ان حقيقة (المنهج) القبليّ بلفظه ومدلوله المنقّح * لا يتوافق مع حقيقة الاسلوب التفسيري بما هو توصيف لأداء المفسر. قد يكون بينهما اشتراك يلحظ من ناحية (الاداء والجانب الاجرائي) فالأسلوب يصف طريقة مستلَبة ومهارة منتزعة عن الروّاد في هذا المضمار. والتعبير المناسب لتوصيف المنهج –المنهاج كما تجب تسميته– بدلالته الاجرائية والتطبيقية ان يطلق عليه: بالطريقة لا الاسلوب!

فالأسلوب يصف ما هو كائن وتعبيرا عن الأداء الذي يترك المفسر بصمته فيه «لان الاسلوب يتعلق اكثر بشخصية المفسر من حيث الكيفية التي يتناول بها توظيف المناهج والادوات اثناء كشفه عن معاني القران ، ومن حيث كيفية ترتيبه للمسائل التي تنعكس في صورة إخراجه لعمله التفسيري»[3].

([1]) ينظر: التعريفات التي استعرضها الباحث في هذه الدراسة في الفصل الأول من مطلب تعريفات المنهج ومطلب تعريفات الأسلوب.

([2]) ينظر: منهج فهم القران عند الشهيد الصدر، احمد الازرقي: 301.

(*) والذي سنصطلح عليه ب«المنهاج» وهي الخطة التفسيرية التي تتوافر على المكونات النظرية والإجرائية التي يعتمدها المفسر في تفسير الآيات القرآنية الكريمة.

([3]) مصطلح الاتجاه في التفسير والفرق بينه وبين المنهج والأسلوب، مراد قمومية: 61.

2- الخلط مع الاتجاه:

يكاد لا يقع خلط ما بين (الاتجاه والاسلوب) من حيثية الدلالة، غير ان مورد الخلط ما بينهما وقع من حيثية ادراج الاساليب في جملة مظاهر الاتجاهات ومفاهيمها.

مرَّ الحديث عن ان كتاب التفسير –أي كتاب كان– اذا غلب عليه فن او علم يكشف عن اهتمام المفسر وبراعته فيه يعد ذلك كاشفا عن اتجاهه ، ولكن ادرج احد المؤلّفين هذا المورد من جملة الاساليب في الكتابة[1] مع انه قد اصطلح عليها بالألوان وادرجها من جملة الاتجاهات[2] بل عدّ (طريقة الترتيب) من جملة الاتجاهات التفسيرية[3] بينما ادرجها من جملة (اساليب) الكتابة عند المفسرين[4] ، ووقع بعضهم في الخلط بين (الطريقة) التي يطلق عليها (اسلوبا) وما بين مصاديق الاتجاه! ، فعدّ الموضوعات التي يتناولها المفسر في تفسيره كآيات العقيدة وآيات القصص ، والموضوعات التي تخص العقيدة والفُرق الدينية هي من مظاهر الكشف عن طريقة المفسر[5] ؟! .

3- الخلط مع اللون :

ذهب الكثير من المؤلفين الى عدّ (التفسير الموضوعي) من جملة الاساليب ، بينما ذهب بعضهم الى عدّه لونا من الوان التفسير[6]، وقُسِّم الى عدّة الوان[7] .

وكرر احد المؤلّفين وصف جملة من اقسام الاساليب بانّها الوان[8] .

ومعلوم ان اللون هو مصطلح يشير الى اتجاه المفسر، وعدّه من جملة الاساليب يعدّ خلطا واضحا مربكا، فما لم يتم الالتزام في استعماله لاحد الاصطلاحين سيقع الدارسون لتلك المؤلّفات في اللبس والايهام.

([1]) ينظر: مناهج التفسير واتجاهاته، الرضائي : 30-31.

([2]) م ن :29-30.

([3]) م ن : 29.

([4]) م ن : 30.

([5]) ينظر : تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ، صلاح الخالدي : 18 ؛ 20-21.

([6]) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي ، مصطفى مسلم(دمشق: دار القالم ، ط3 :1421هـ-2000م) :16

([7]) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي ، مصطفى مسلم : ٢٣ ؛ التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبدالفتاح الخالدي(الاردن: دار النفائس للنشر والتوزيع ، ط3 : 1433هـ-2012م) : 31.، التفسير اساسياته واتجاهاته، فضل حسن عباس: 646/1 -647.

([8]) ينظر: بحوث في اصول التفسير و مناهجه، الرومي :58-65.

4- الخلط مع الانواع:

ذهب بعض المؤلّفين الى ادراج أقسام عديدة تحت مسمى (انواع التفسير)[1] بينما عدّها بعضهم انها من (الاساليب التفسيرية)[2] .

فالدكتور صلاح الخالدي حينما عرّف انواع التفسير وصفها بالأساليب ، ثم أدرج اقسام الاساليب تحت مسمى انواع التفسير[3] وهو خلاف ما تعارف من عدّ تلك الاقسام (اساليب).

5- الخلط مع الطريق والطريقة:

في بعض المعاجم ورد ان لفظ الاسلوب: بمعنى الطريق والطريقة، ولكن عدّ لفظ (الطريقة) معناه: (اسلوبا) لم يرد الا في المعاجم المعاصرة والحديثة[4] .

فمن ذهب الى عدّ الطريقة اسلوبا تفسيريا استند الى الاداء الذي يقوم به المفسر مستمدا الفكرة من تمثيل حسي يقارب ما بين مفهوم منهج وما بين مفهوم الاتجاه وما بين الطريقة[5] وكذلك فيمن ذهب الى تمثيل الفرق بين المنهج والطريقة من خلال المماثلة: ما بين الخارطة التي يضعها المهندس وما بين تنفيذها[6] .

والامثال والتشبيهات العرفيّة تقرّب من جهة ولكنّها قد تبعِّد من جهات .

([1]) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبدالفتاح الخالدي : 31. ، التفسير اساسياته واتجاهاته، فضل حسن :206 ، وزاد عليه" بالإذاعي" ! .

([2]) ينظر: بحوث في اصول التفسير ومناهجه: فهد بن عبدالرحمن الرومي :57.

([3]) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، الخالدي: 31 .

([4]) المعجم الوسيط : 441.، معجم اللغة العربية المعاصرة :2/ 1089 ، 1398.، معجم الصواب اللغوي :1/ 506 .، معجم المصطلحات العلمية والفنية :322.

([5]) وهذا التخيّل والتشبيه هو ما حاول الدكتور الرومي تقريب فكرة الاختلاف بين المنهج والاتجاه والاسلوب في كتابيه: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ص23 ، وكذلك في بحوث في اصول التفسير واتجاهاته : 56-57 . شبّه الفرق بين الاصطلاحات بالمسافرين تجاه مدينة معينة وعبر طرق وسبل محددة.

([6]) ذكر الدكتور الخالدي في كتابه "تعريف الدارسين بمناهج المفسرين": ص19 : تشبيها للفرق بين المنهج والطريقة والتي يعتبرها مرادفا للأسلوب على ما جاء في تعريفه لها ص18، بمن يذهب الى مهندس ويطلب منه ان يرسم خريطة لبناء منزل ثم يقوم المهندس التنفيذي بتطبيق ما في الخريطة ملتزما بما مرسوم فيها ، فكذلك المفسر يقوم برسم منهجه ثم يقوم بالالتزام بما خطط له ورسمه .، ومع هذا لم يحدد المؤلف مصداق الطريقة والاسلوب في المجال التفسيري فهل هي تطبيق القواعد التفسيرية ؟! ام تطبيق للخطة التفسيرية التي من جملتها القواعد؟!! ويبدو ثمة خلط بين مظاهر الاتجاه التفسيري والاسلوب خصوصا فيما ذكره من امثلة لإيضاح الفرق بين المنهج والاسلوب (ينظر: ص18-21)، ويقرب كلامه عن الفرق كما لو يريد ان يقول ان المنهج هو النظرية والاسلوب او الطريقة هو التطبيق!

فمحاولة بناء الاصطلاح عبر انتزاع الفكرة من امثلة محسوسة لا يحقق الغرض العلمي في التقعيد دائما، لان الاستعمال داخل المنظومة التخصصية غير استعماله في خارجها. ولا يرغب الباحث مناقشة الصورة التخيُّليّة المنتزعة من التمثيل، فالمناقشة في المثال ليست من دأب المحصِّلين كما يقال. وبعبارة مختصرة الأسلوب لا يوصف بالطريقة مطلقا بل بقيد اداء المفسر لخطته على نحو طريقة مستلبة من مفسر آخر. والطريقة لا توصف بانها اسلوبا الا بلحاظ عدّها قالبا مجردا واضحا في شكله وصورته ليُنسج على منوله وهو بهذا يقرب من الكيفيات[1] .

المطلب الرابع: فرق الاسلوب عن المنهج والاتجاه:

اولا: فرق الاسلوب عن المنهج:

انطلق البعض من المعنى اللغوي في معرفة الفرق بين المنهج والاسلوب، فالأسلوب هو بمعنى (الطريق) بينما (المنهج او المنهاج) هو الطريق الواضح، وعليه: فالأسلوب اعم من المنهج[2] وقد اثبت البحث اشكاليّة اعتماد معنى (منهج) بوصفه طريق واضح، وانما هذا في خصوص لفظ (منهاج)[3] اي ان مفهومه يتوافر على خصائص متعددة كالتسلسل والتتالي والبروز والسعة والظهور، فيكون أقرب مصداق يوصف به: (الطريق الواضح) وليس معنى (النهج) هو الطريق ، بل هو الامر الواضح مهما كان ذلك: طريق او غيره ، واما توصيف (الاسلوب) بانّه (طريق) فيُعدّ معنى حادث وتطور في دلالته الاستعمالية على ما ورد في المعاجم المتأخرة والمعاصرة بما تقدم بيانه ، بينما (المنهج) في الاصطلاح يعد طريقا حينما يكون هناك شيء ممرحل يتضمن قواعد روعي فيها الترتيب والاولوية بصورة متوالية تبدأ من نقطة وتنتهي الى نقطة، فاستعمله الفلاسفة وعلماء البحث العلمي في البحث والنّظر –التأمّل والاستدلال– فيوصف بالطريق لكونه يسلك في النظر والاستدلال ، ولا يوصف بالوضوح الا بقرينة الاضافة حتى يعرف واضح لمن ؟

([1]) وسياتي في الفصل الثالث بيان مفهومه المناسب ومعالجة علاقاته مع المفاهيم الاخرى .

([2]) ينظر: منهج فهم القران عند الشهيد الصدر، احمد الازرقي: 301. ، دراسات في المناهج والاتجاهات التفسيرية في كتب التفسير المختصرة ، نضال حنش شبار:9.

([3]) ينظر: المبحث الاول من هذا الفصل من هذه الرسالة .

فقلنا سابقا ان المنهج إذا اضيف (لـعلم التفسير) فيكون المصطلح يقصد به طريق البحث في التفسير او هو أحد الاساسات التي ينطلق منها المفسر والداخلة في الخطة التفسيرية(المنهاج) كعلم اللغة العربية وعلم الاصول وغيرهما، وإذا اضيف (للمفسر) يكون الطرق المعنوية الواضحة للمفسرين سلكوها في العمليّة التفسيرية (المنهاج).

فهل يقابل الأسلوب (المنهج التفسيري) – المنهاج– فيُحسب من جملة مفاهيم ما قبل الشروع؟ او يقابل (منهج المفسر) فيحسب من جملة مفاهيم التوصيف لما بعد الشروع؟

ذهب البعض الى عدّ (المنهج) أعم و(الاساليب) اخصّ فـ«ان المنهج التفسيري أي كانت هويته لابد ان يكون له اسلوب معين في الوصول الى مرادات النّص القرآني وبذلك يصار الى احد الاسلوبين : الموضوعي والتجزيئي»[1] .

ثانيا: فرق الاسلوب عن الاتجاه:

ادرج بعضهم الاساليب تحت الاتجاهات[2] وهو بهذا يعدّ الاسلوب لا ينفك عن ميول وقناعات المفسر فيكون الفرق بينهما جزئيا أي بينهما عموم وخصوص مطلق، ومن ذهب الى عدّ الطريقة والاسلوب مترادفين فانه يلحظ الفرق بينهما – بين الاسلوب والاتجاه– هو ان الاسلوب يعدّ طريقة لتحقيق الهدف التفسيري– الاتجاه– فالاتجاه حينئذ يكون وليد الاسلوب لان الاسلوب هو كيفية عرض الآراء –استنادا لمنهج واتجاه معين– بشكل خاص[3] ، ومن ذهب الى عدّ الاتجاه تعبير عن المسبقات العقدية والمذهبية المؤثرة في توجهات وقناعات المفسر الفكرية والتي تتمظهر في تفسيره، يرى ان الاسلوب هو كيفية تتعلق بشكل تفسير الآيات وترتيبها اذ لا علاقة بين مفهوم الاتجاه ومفهوم الاسلوب فكل مفهوم له خصوصيته وموارده[4] .

([1]) اللباب في تفسير الكتاب، الحيدري: 49.

([2]) ينظر: مناهج التفسير واتجاهاته، الرضائي :30.

([3]) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الرومي : 22/1.، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: 18.، فصول في اصول التفسير، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار: 20؛ المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة ،محمد علي اسدي: 22 .

([4]) ينظر: اللباب في تفسير الكتاب، كمال الحيدري : 12؛45–51 .، المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة، محمد علي اسدي: 22 .

الفصل الثاني: اشكاليّة تقسيم المفاهيم وتوظيفها

المبحث الاول: نماذج تقسيم المنهج التفسيري وتوظيفه:

المطلب الاول: عرض نماذج تقسيم المنهج ومناقشتها.

المطلب الثاني: اشكالية تعليل التنوع والاختلاف في تقسيم المناهج.

المبحث الثاني: نماذج تقسيم الاتجاه التفسيري وتوظيفه:

المطلب الاول: نماذج من تقسيمات الاتجاهات التفسيرية وتصنيفها (عرض ومناقشة)

المطلب الثاني: اسباب اختلاف المؤلفين والباحثين في التقسيم.

المطلب الثالث: الخلط والتداخل بين اقسام الاتجاه وبعض اقسام المنهج والاساليب.

المبحث الثالث: نماذج تقسيم الاسلوب التفسيري وتوظيفه:

المطلب الاول: عرض نماذج تقسيم الاسلوب ومناقشتها.

المطلب الثاني: اسباب الاختلاف في تقسيم الاسلوب.

تمهيد

بعد بيان الاشكالية في المفاهيم من ناحية تعريفاتها يقودنا البحث الى محور اساسي وهو اشكاليّة تقسيم المفاهيم وتوظيفها.

قد مرّ بإنّ نطاق الدراسة من جملة مجالاته: المؤلّفات وما تناوله المؤلفون في المناهج التفسيرية بعرضها العريض ومدلولها الشامل لا بنحو المدلول المطابقي؛ لان مصطلح المناهج التفسيرية صار عنوانا لموضوعاتٍ ومسائلٍ متنوعةٍ ومترابطة، والمؤلّفات اما صدّرت واجهة مدوّناتها والكُتب به او بما يشير اليه ويكشف عن توافره في مطاوي الكتاب فضلا عن موطنه الام وهو علوم القران.

وفي هذا الفصل يُسلّط الضوء على غرض اساسي في البحث وهو ابراز الاشكالية بكل مواردها الواقعية وجملة من محتملاتها؛ فالاختلاف بين المؤلّفين في التقسيم والتصنيف والتنويع للتفسير ومناهجه واتجاهاته واساليبه وما يرتبط بذلك، يعد الظاهرة الملحوظة في هذا المجال من الدرس التفسيري.

وللوقوف على هذه الاشكاليّة لابد من تتبع ما ورد في المصادر والمؤلّفات ذات العلاقة حول كيف تناول العلماء والباحثون قضية تقسيم المناهج والاتجاهات والاساليب والمفاهيم المرتبطة بها؟ وما هي اساسات القسمة؟ وما هي المنطلقات في التنويع والتصنيف؟ وهل رُوعي الفرق بين المفاهيم الاصطلاحية (المناهج، الاتجاهات، الاساليب) بما لا يوقع في الخلط والتداخل بين المقسم والاقسام المفضي الى الايهام واللبس لدى المتلقي؟ وغير ذلك من المسائل الداخلة في صلب الاشكاليّة.

المبحث الاول: نماذج تقسيم المنهج وتوظيفه

ويقع هذا المبحث في مطلبين:

المطلب الاول: عرض نماذج تقسيم المنهج ومناقشتها:

تناول المؤلفون الكلام عن التقسيمات في مناهج التفسير بكيفيتين: (الكيفية التقليدية)، و (الكيفية المنهجية):

في (الكيفية التقليدية) لم يظهر على التقسيمات مراعاة الاصطلاحات المنهجية ومفاهيم التوصيف والتصنيف، وان وظّف بعضهم جملة منها في آرائه حول تقسيم المناهج وتصنيف التفاسير إلا أن الطابع العام لتلكم التقسيمات يبدو عليه تقليديا أي لا يخرج عن الاجترار لما أسّس له السلف ويلتزم نموذجا متشابها.

في المؤلّفات القديمة تناولوا تقسيم المناهج دون ذكر هذا المصطلح وانما كان (التفسير) هو اساس القسمة.

ذكر الشيخ الطوسي (ت 460هـ) في مقدمة تفسيره فصل في «جمل لابد من معرفتها قبل الشروع في تفسير القرآن...[وجاء فيها]... واعلم ان الرواية ظاهرة في اخبار اصحابنا بأن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي (صلى الله عليه وآله)، وعن الائمة (عليهم السلام) الذين قولهم حجة كقول النبي (صلى الله عليه وآله) وان القول فيه بالرأي لا يجوز»[1] . ويبدي الشيخ الطوسي موقفه من عدم جواز الراي الوارد في الاخبار على انّه منع مطلق، ويذهب الى أنها –اي الاخبار– متروكة الظاهر، ويتجه نحو ضرورة الاعتماد على الادلة الصحيحة : العقلية والشرعية ...في العملية التفسيرية[2] .

وتناول الراغب الاصفهاني (ت 502هـ) الكلام حول امكانيّة وجواز التفسير، وذلك في مقدمته التفسيرية: «فصل: في بيان الآلات التي يحتاج إليها المفسر» وذكر مجموعة من العلوم التي من دون الاعتماد عليها توقع المفسر بالتفسير بالرأي ، وذكر الاصفهاني كلام احد المحققين كما يصفه قائلا : «أن المذهبين هما الغلو والتقصير، فمن اقتصر على المنقول إليه فقد ترك كثيرا مما يحتاج إليه، ومن أجاز لكل أحد الخوض فيه فقد

([1]) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: 1/ 3.، وينظر: تفسير مجمع البيان، الطبرسي:1/ 38–40.

([2]) ينظر : التبيان ، الطوسي ،1/ 3.، مجمع البيان، الطبرسي: 1/ 38–40.

عرضه للتخليط، ولم يعتبر حقيقة قوله تعالى: {ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب}»[1].
وواضح عباراته ان الطريق لفهم القران انما هو عبر: المنقول والآلات المشروعة في الفهم والإبانة.

وذكر ابن تيمية (ت 728هـ) في المقدمة «إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، ... فإن أعياك ذلك، فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ... إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة .... إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين؛ (وفي الاختلاف) يرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك...فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام»[2].

وذكر الزركشي (ت 794هـ) تحت عنوان «مآخذ التفسير»[3] : «النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم .. الأخذ بقول الصحابي فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي.. الأخذ بمطلق اللغة.. التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع.. ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل... أما الرأي الذي يسنده برهان فالحكم به في النوازل جائز..»[4] .

واستند الزركشي على أقسام التفسير بما رواه عن ابن عباس:

«قسم التفسير إلى أربعة أقسام قسم تعرفه العرب في كلامها وقسم لا يعذر أحد بجهالته يقول من الحلال والحرام وقسم يعلمه العلماء خاصة وقسم لا يعلمه إلا الله ومن ادعى علمه فهو كاذب وهذا تقسيم صحيح»[5] .

ثم يذهب الى خلاصة للمآخذ والاقسام تحت عنوان «تنخيل: واعلم ان القرآن قسمان:

احدهما ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره : والاول ثلاثة انواع اما ان يرد التفسير عن النبي صلى الله عيه وسلم او عن الصحابة او عن رؤوس التابعين فالأول يبحث في عن صحة السند والثاني ينظر في تفسير الصحابي فإن فسره من حيث اللغة فهم اهل اللسان فلا شك في اعتمادهم وإن فسره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه وحينئذ ان

([1]) مقدمة جامع التفاسير، الراغب الأصفهاني: 94 .

([2]) شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، مُساعِدُ بن سُلَيْمَان بن نَاصِر الطَّيَّار: 260.

([3]) المأخذ : على ما في المعجم الوسيط: المنهج ، ينظر مادة (أخذ).

([4]) البرهان في علوم القرآن، الزركشي :2/ 162.

([5]) م ن: 2/ 164.

تعارضت اقوال جماعة من الصحابة فإن امكن الجمع فذاك وإن تعذر قدم ابن عباس... وأما الثالث وهم رءوس التابعين اذا لم يرفعوه الى النبي صلى الله عليه و سلم ولا الى احد من الصحابة رضي الله عنهم فحيث جاز التقليد فيما سبق فكذا هنا وإلا وجب الاجتهاد، الثاني: ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين وهو قليل وطريق التوصل الى فهمه النظر الى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق وهذا يعتني به الراغب كثيرا في كتاب المفردات فيذكر قيدا زائدا على اهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ لأنه اقتصه من السياق»[1] .

ويلاحظ: انه أدرج تحت عنوان (مآخذ): النقل عن النبي والصحابة؛ والاخذ باللغة؛ والنظر بالمقتضى عبر الفهم بتعبيره «فأخذ كل واجد برأيه على مقتضى نظره في المقتضى»[2] .

ثم ادرج الاقسام تحت المآخذ لينتهي للمنخول من العرض والتحليل الى: التفسير اما ب(النقل) او ب(النظر) في المدلولات اللغوية وبتعبير السيوطي «ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل»[3] . وادرج السيوطي (ت 911هـ) كلام الزركشي تحت عنوان (شروط المفسر) واضاف اليها العلوم التي من كان جامعاً لها جاز له ان يفسّر[4].

اذن نحن امام مفاهيم متنوعة: (أحسن الطرق واصحها)، (مآخذ التفسير)، (اقسام التفسير) (النّقل)، (الاجتهاد).

ولا ذكر لمفاهيم واصطلاحات علم المنهجية كالمنهج والاتجاه وغيرهما، سوى: النقل؛ والنظر والاستدلال؛ الاجتهاد والرأي.

وقسّم المستشرق جولدتسهير (ت 1340هـ) التفسير الى: تفسير بعلم وتفسير بغير علم (الرأي) وان التفسير بعلم هو المشهود بصوابه أي المؤسس على العلم هو الذي يمكن اثبات ان النبي نفسه او صحابته الذين ينتمون الى دائرة تعليمه قد صرحوا به في بيان معنى القران ودلالته (التفسير بالمأثور) أي بوصفه علما حقيقيا؛ لأنه يعتمد فيه على الاسناد الشفوي المتصل بالرجال الثقات القدامى...[5] .

([1]) البرهان في علوم القرآن :2/ 172.

([2]) م ن :2/ ١٦١ .

([3]) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (تحقيق مركز الدراسات في المملكة العربية السعودية): 6/ 2282.

([4]) ينظر: م ن : 6/ 2274 -2316 .

([5]) ينظر: مذاهب التفسير الاسلامي، جولدتسهير – تر: حليم النجار: 82 . ، المذاهب الاسلامية في تفسير القران ، جولدتسهير – تر: علي حسن : 62.

ثم تناول بيان ظهور التفسير العقلي كما يصفه ، والقول بالراي الحسن بصورة سبقت المدرسة الاعتزالية ، فهو يميز بين التفسير العقلي والتفسير في ضوء المذاهب كالتفسير العقائدي والتفسير في ضوء التصوف ، والتفسير في ضوء التمدن بما هو حركات اصلاح اجتماعي ودفاع عن تقدمية الاسلام[1] ولم يتطرق لتوصيف التفاسير بالمنهج او الاتجاه الا في معرض حديثه لمرات متفاوتة لا على نحو الاستعمال الاصطلاحي[2] .

ويعدّ الدكتور امين الخولي من الاوائل الذين روّجوا إلى المفاهيم التوصيفية والتصنيفية كـ(المنهج والطريقة والاتجاهات والاسلوب واللون) ولكن لا تكاد تقف له على توظيف محدد لتلك المفاهيم! فيحشدها دون تحديد لخصوصيتها ومصاديقها وانما يوظفها ليصف مرة ويصنف اخرى بنحو تعليمي يظهر عليه التجوز والتسامح في البيان[3] لان امتزاج مفاهيم الفكر المنهجي مع الفكر التفسيري في جدّته وحداثته.

واما الدكتور محمد حسين الذهبي (ت 1397هـ) فلم يتناول تقسيم المناهج بنحو الفرز المنهجي وانما تناولها بصورتها التقليدية المرتبطة بالبعد التاريخي «السير بالتفسير مع الزمن»[4] اذ جعل من مصادر كل عصر اساسا للتقسيم ففي عهد النبي واصحابه كان القران نفسه هو طريقهم في الفهم والنبي نفسه هو مرجعهم، والثالث هو الاجتهاد وقوة الاستنباط والاخير هو اهل الكتاب من اليهود والنصارى[5].

ثم تناول التفسير في عصر التابعين وقسّم المصادر التفسيرية بلحاظ المدارس واعتمدوا في التفسير على ذات المصادر السّابقة في عصر الصحابة ، غير انّه اضاف تفسير الصحابة أي اجتهادهم لتصبح المصادر خمسة عندهم[6] .

ثم يتناول التفسير في عصر التدوين ويشرح خطواته الخمسة – بحسب نظره– لتصل في الخامسة الى مرحلة تدوين تفسير اختلط فيه الفهم العقلي بالتفسير النقلي ، ثم ظلت

([1]) ينظر: مذاهب التفسير الاسلامي ، جولدتسهير– تر: حليم النجار: 122،201، 337.، المذاهب الاسلامية في تفسير القران ، جولدتسهير– تر: علي حسن :99–112.

([2]) ينظر: مذاهب التفسير الاسلامي ، جولدتسهير– تر: حليم النجار: 337 وما بعدها، 348 وما بعدها ايضا 359.، ينظر ايضا ما ذكره عنه الخولي في مناهج تجديد: 286 .

([3]) ينظر: مناهج تجديد، امين الخولي: 285 –286.

([4])التفسير والمفسرون، الذهبي :1/ 111.

([5]) ينظر: التفسير والمفسرون ، الذهبي: 31–47.

([6]) ينظر: م ن :76.

محاولات الفهم الشخصي تزداد وتتضخم متأثرة بالمعارف المختلفة والعلوم والآراء المتشعبة والعقائد المتباينة...[1] .

وبعد ان ينهي كلامه عن التقسيمات بحسب السير الزمني للتفسير ينتقل ليتحدث عن اتجاهات التفسير[2] اذ انه لم يكن يصطلح عليها بالمناهج *. ويبدو ان مصطلح (منهج) كان الدكتور الذهبي يوظفه في التوصيف البَعديّ ويجعله مرادفا لطريقة المفسر ومسلكه كما هو ظاهر عباراته في طول شرحه المفصّل عن مؤلفات المفسرين[3] .

وانْ كان قد تناول مفهوم (المنهج التفسيري) بما هو توصيف قبْليّ مستعينا بالشروط التي ذكرها السيوطي و ابن تيمية في أحسن طرق التفسير واضاف اليها ما عبّر عنه بالقواعد[4] .

واستعمل الدكتور الذهبي لفظ (الاتجاهات) في التوصيف البَعديّ، وصنّف من خلاله انواع التفسير[5] الى : المأثور والرأي ، ويقول عن المأثور: «أن التفسير المأثور يشمل ما كان تفسيراً للقرآن بالقرآن، وما كان تفسيراً للقرآن بالسُّنَّة، وما كان تفسيراً للقرآن بالموقوف على الصحابة أو المروى عن التابعين»[6] .

ويقسم (الرأي) الى قسمين: «قسم مذموم غير جائز، وقسم ممدوح جائز»[7] .

ونُقد نموذجه في تقسيم الرأي من حيثية المفهوم ؛ لان الرأي هو في خصوص التفسير المذموم فكيف ساغ ان يقسمه الى محمود ومذموم[8] ؟ .

([1]) ينظر: م ن :104-109.

([2]) ينظر: م ن : 111.

(*) ولعل هذا يكشف على ما يبدو – ما تقدم الكلام فيه حول رواج مصطلح الاتجاهات على مصطلح المناهج فكان الدكتور مواكبا عصره في الاصطلاح .

([3]) ينظر: التفسير والمفسرون ، الذهبي، على سبيل النموذج : 1/ 149، 151 ، 163 ، 181،231.

([4]) ينظر: م ن :197/1.

([5]) ينظر : م ن :1/ 147 ، وصف المأثور بالنّوع.

([6]) التفسير والمفسرون: 5/2-6.

([7]) م ن: 44/2.

([8]) ينظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر المبيدي : 358-359 .، نقد اراء الذهبي في كتاب التفسير والمفسرون، لمجموعة باحثين، تعر: قاسم البيضاني (قم: المركز العالمي للدارسات الاسلامية ، ط1: 1429هـ): 78 .، مناهج التفسير واتجاهاته، الرضائي :36؛ 331-332 ، ومما تجدر الاشارة اليه ان الدكتور الرضائي برر لإدراجه التفسير بالراي من جملة مناهج التفسير وعدّ تعبيره هو من باب المسامحة في التعبير: ص302 ، كما انه يذهب الى عدّ الاجتهاد صحيح وغير صحيح: ص316، وهو مقارب لما ذهب اليه الذهبي .

ويبدو ان بعض المنتقدين لم يفحصوا نصوص كتاب المؤلف جيدا فالذهبي يرى بان(الرأي) «يُطلق على الاعتقاد، وعلى الاجتهاد، وعلى القياس، ومنه: أصحاب الرأي: أي أصحاب القياس. والمراد بالرأي هنا الاجتهاد وعليه فالتفسير بالرأي، عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر»[1] .

والمعلوم المشهور ان الاجتهاد اذا كان مستندا على الشروط والضوابط الصحيحة كان سليما ومحمودا وان كان بخلاف ذلك عدّ مذموما مرفوضا[2] وبهذا يُردّ على المنتقدين .

ويدرج الدكتور الذهبي طرائق (مناهج ومسالك) المفسرين تحت تلك الاتجاهات، وسنؤجل الحديث عن تقسيمات الاتجاه الى مباحث لاحقة.

ذهب الشيخ محمد هادي معرفة(ت 1427هـ) الى بيان اختلاف المناهج التفسيرية بحسب اختلاف اتجاهات المفسرين واذواقهم ومعطياتهم ومواهبهم في العلوم والمعارف وانحاء الثقافات فمنهم من لا يعدو النقل معتقدا ان لا سبيل للعقل في تفسير القران

ومنهم من اجاز للعقل التدخل فيه ويرى للراي والاجتهاد والنظر مجالا واسعا فيه[3] .

فتكون الأقسام: نقلي واجتهادي، ويعتمد النقلي على المأثور من الاقوال والآراء اما مع شيء من التوضيح والبيان او مجرد نقل من غير بيان.

اما النظري الاجتهادي فمعتمده اما الراي الخاص حسب عقيدة المفسر ومذهبه او يعتمد على المنقول والمعقول معا[4] .

ويبدو ان كثيرا من المؤلفات اعتمدت الكيفية التقليدية في تقسيمها للتفسير وتصنيفها للتفاسير، ولم تخرج عن ما تقدّم ذكره بين تفصيل وتوسع او اختصار واجترار[5] .

([1]) التفسير والمفسرون: 183/1.

([2]) ينظر: مناهج التفسير واتجاهاته، الرضائي: 317؛344 .

([3]) ينظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القسيب، محمد هادي معرفة: 538/2.

([4]) ينظر: م ن :538/2.

([5]) ينظر: مناهج المفسرين، منيع عبد الحليم محمود :5-8.، مناهج المفسرين، مساعد مسلم ال جعفر : 29-32،107 .، مناهج المفسرين من العصر الاول الى العصر الحديث، محمود النقراشي: 79-90.، منهج الفرقان في علوم القران، محمد علي سلامة: 6/2-63 .، مناهج المفسرين –ق1: التفسير في عصر الصحابة ، مصطفى مسلم

ويظهر من تقسيمات البعض للتفسير بما هو (علم) الى انواع، وبما هو (طريق) لفهم وبيان كتاب الله تعالى الى (انواع) ايضا! فلم يظهر على عباراتهم وجود فرق بين انواع التفسير بوصفها علما او طريقا!

كما ان الاقسام والاصناف مختلطة بعضها ببعض فلم يتضح توصيفهم للأصناف والاقسام أهي لطرق التفسير ام هي لمناهج المفسرين؟!!

وربما يرد اشكال على ايراد ما ذكرتَه تلك المدونات: فعباراتهم تخلو من التصريح بانها مناهج فكيف صحّ ادراجها في هذا المبحث؟!

وجوابه: ان التقسيمات على ضوء الكيفية المنهجية اعتمدت اراء القدماء او المتقدمين من المفسرين وعلماء علوم القران وغيرهم، ولكنّ حيثيات التقسيم والتصنيف والتوصيف والتوظيف اختلفت وتشاكلت.

اما التقسيمات على ضوء الكيفية المنهجية: ويقصد بها اعتماد المؤلف على المفاهيم التوصيفية والتصنيفية الاصطلاحات: (منهج؛ اتجاه؛ اسلوب؛ طريقة؛ وغيرها) ومراعاة اصول القسمة وطرائقها وشروطها المقررة في علم المنطق بما يجعل التقسيم منهجيا ومنظما، وهذا لا يعني ان كل ما سيتم ايراده من التقسيمات المنقولة عن المؤلفين والباحثين هي تامّة ومنهجية بل فيها مشكلات قد يكون التقسيم مرفوضا ومنها تقسيمات ممنهجة مقارنة بما سبقها من تقسيمات العلماء والمفسرين التقليدية.

ومن نماذج هذه التقسيمات: –

1– قسّم الدكتور عبدالرحمن خليفة، التفسير الى (اعتبارات) متعددة مراعيا شرائط القسمة المنطقية من حيثية الاقسام وتباينها وذكر خمسة اعتبارات (اساس التقسيم):

1– باعتبار امكان تحصيله واتساع دائرة هذا الامكان وعدم ذلك ... وينقسم بهذا الاعتبار الى اربعة اقسام ... ثم يذكر الاقسام التي جاءت في الخبر المروي عن ابن

.، اصول التفسير وقواعده، خالد عبدالرحمن العك :46، 77–83 .، المدخل الى التفسير الموضوعي، عبدالستار فتح الله سعيد(دار التوزيع والنشر الاسلامية ، ط2: 1411هـ–1991م) :16.، المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، محمد علي الحسن(بيروت : مؤسسة الرسالة، ط1 :1421هـ–2000م) : 260 .، موسوعة علوم القرآن، عبد القادر محمد منصور(حلب: دار القلم العربي ، ط1: 1422هـ– 2002م): 186.، فصول في أصول التفسير، مساعد بن سليمان الطيار:36 .، دراسات في التفسير ومناهجه، عيادة بن ايوب الكبيسي :283 .، منهج فهم القران عند الشهيد الصدر، احمد الازرقي : 304–305.

عباس: وجه تعرفه العرب...، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه الا الله ...

2- باعتبار استمداد التفسير من الطريق المعتاد نقلا كان ذلك الطريق من القران او السنة او كلام الصحابة او التابعين او رايا واجتهادا، واستمداده من غير هذا الطريق بان يكون من طريق الفيض والالهام:

أ- تفسير بالرواية ويسمى التفسير بالمأثور.

ب- وتفسير بالدراية ويسمى التفسير بالراي.

ت- وتفسير بالفيض والاشارة ويسمى التفسير الاشاري

3- باعتبار ان التفسير شرحا لمجرد معنى اللفظ فينقسم الى:

أ- اجمالي. ب- تحليلي.

4- باعتبار ان ينظر الى التفسير من جهة خصوص تناوله لموضوع ما بعينه من موضوعات القران الكريم عاما كالعقيدة او خاصا كالصلاة وينقسم الى:

أ- تفسير عام. ب تفسير موضوعي.

5- باعتبار اقتصار المفسر في تفسيره على ما قاله مفسر واحد ، او يورد في تفسيره للنص ما قاله اكثر من مفسر فينقسم هذا الاعتبار الى : المطلق والثاني تفسيرا مقارنا [1]

ويعدّ هذا التقسيم شاملا بحسب الاعتبارات المطروقة في التفاسير وما يرتبط بالمنهج التفسيري لم يعتمد هذا المصطلح في أحد اعتبارات التقسيم ولكنه ذكر ما يقرب منه وهو اعتبار الاستمداد أي المصادر وطرق الحصول على المعلومة التفسيرية فيقسمها الى: (المأثور والراي والاشاري).

وكذلك التفسير شرح لنصوص الآيات وبيان المعنى الى: التحليلي والاجمالي.

والّلافت ان المؤلف قعّد ونظّر لمصطلح مناهج المفسرين وبيّن حدّه المنطقي كما فصّلت الكلام عنه في الفصل السّابق ولكنه لم يبين هل المصطلح يعتمد في التصنيف والتقسيم؟ او يتناوله كمعيار تصنيفي للتفاسير؟! ولم يدرج ذلك ضمن تقسيماته. بل تناول اقسام التفسير بالمأثور ومصادره فحسب!

([1]) ينظر: دراسات في مناهج المفسرين :44-46.

2- قسم الدكتور محمود النقراشي التفسير الى نوعين: «مأثور ويسمى تفسير الرواية والتفسير النقلي، وتفسير الرأي ويسمى الدراية والتفسير العقلي»[1] وهو يتبع الكيفية التقليدية بذلك ولكنه صار الى تقسيم التفسير بالأثر ومبينا منهجه :

1- التفسير بالأثر المجرد ويمثل ذلك السيوطي ومنهجه في تفسيره.

2- التفسير بالمأثور مختلطا بالراي كتفسير الطبري وابن الجوزي ...[2]

والمؤلف تناول نوعين من التقسيم: تقسيم التفسير الى انواع: المأثور والراي، وتقسيم المنهج الاثري الى المجرد والمختلط بالراي.

والمؤلف وظّف مصطلح منهج التفسير في توصيف (الاثري) للقسمين كليهما، ووصف بهما طرق المفسرين (منهج المفسرين) ايضا، فتفسير المأثور المختلط بالراي: هو منهج تفسير ومنهج مفسر ايضا. فالمصطلح يطلق على منهج التفسير ومنهج المفسر لا فرق لديه كما يظهر من عباراته[3] .

3- تناول الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرّومي تقسيم (المناهج التفسيرية) استنادا الى (الاتجاهات التفسيرية) ، اذ يرى ان (المناهج) تتولد من (الاتجاهات) فأساس التقسيم الذي اعتمده هو الكشف عن الاتجاهات التفسيرية المُستقصاة في القرن الرابع عشر الهجري من ثم تبرز المناهج في ضوئها، ولم يتضح مراده على وجه التحديد هل يصطلح عليها بمناهج المفسرين او مناهج التفسير او انّه يعدّهما بمعنى واحد[4] ؟ ، وبناء على ما يعتمده من مفهوم عن الاتجاه والمنهج ، حدد الاتجاهات وادرج تحت كل اتجاه مناهج عديدة :

ادرج تحت (الاتجاه العقائدي) المناهج الاتية:

- منهج اهل السنة.
- ومنهج الشيعة.
- ومنهج الاباضية.
- ومنهج الصوفية.

([1]) مناهج المفسرين من العصر الاول الى العصر الحديث ، محمود النقراشي: 69.

([2]) ينظر: م ن: 75؛ 81؛ 207.

([3]) ينظر: م ن : 81 ؛ 91.

([4]) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: الرّومي : 1/34-35.

ثم أدرج تحت (الاتجاهات العلمية) في التفسير المناهج الاتية:

- المنهج الفقهي.
- والمنهج الاثري.
- والمنهج العلمي التجريبي.

ثم افرد منهج المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة في التفسير دون ان يدرجه تحت اتجاه معين.

وأدرج تحت (الاتجاه الادبي) المناهج الاتية:

- المنهج البياني.
- والمنهج التذوق الادبي.

ثم تحدث عن المنهج الالحادي ؛ ومنهج القاصرين ؛ واللون اللامنهجي تحت عنوان الاتجاهات المنحرفة في التفسير[1]

وللدكتور الرّومي تقسيم آخر للمناهج: «

1-منهج التفسير بالمأثور

2-منهج التفسير الفقهي

3-منهج التفسير العلمي

4-منهج التفسير العقلي

5-منهج التفسير الاجتماعي

6-منهج التفسير البياني

7-منهج التذوق الادبي»[2]

وفي هذا التقسيم لم يتضح الاساس الذي استناد عليه في التقسيم؟

كما انه وظّف مفهوم لون في وصف بعض المناهج[3] ومعلوم ان مفهوم اللون هو احد الالفاظ المستعملة للتدليل على الاتجاه !. وخلط بين المنهج والطريقة[4] مع انه ذهب الى التفريق بينهما ، ويظهر من بعض عباراته انه يخلط بين الاتجاه والمنهج[5] !!

([1]) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: الرّومي: 14/1-19.

([2]) ينظر: بحوث في اصول التفسير ومناهجه : 55-113 .

([3]) ينظر: بحوث في اصول التفسير ومناهجه :99، 100،103 ،105 ،107.

([4]) ينظر : اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: الرّومي: 745/2.

([5]) ينظر : اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: الرّومي : 34/1

لم يفرق المؤلف بين المنهج التفسيري بمرحلته القبليّة والبعديّة فتناول الكلام عنه وكأنّه شيء واحد! وعدّ مباني واصول المذهب والفرقة (لطائفة معينة او مدرسة عقدية معينة) منهجا تفسيريا؟! وعدّ التخصصات العلميةِ في علومِ اللغةِ والدينِ مناهجاً!، بينما الذي يذهب اليه المشهور انها (اتجاهات)، ووقع في اشكالية تحديد مصاديق (الاتجاه) التي عبر عنها بانّها (هدف) يقصده المفسر، فاذا كان اتجاهه فقهيا مثلا؛ فماذا سيُسمي (المنهج التفسيري)؟.

4- ذهب الدكتور محمد حسين الصغير، الى تحديد ثلاثة أقسام بمنزلة الضابطة الكلية:

1. القسم الشائع وهو المرضي عند العلماء.
2. القسم الحادث مما لا مانع فيه وان عورض بتوقف.
3. القسم المنهي عنه او المناقش فيه.

ويقول: القسم الاول يمثل جزءا كبيرا من المناهج: التفسير بالقران والاثر، التفسير البياني، والتشريعي، واللغوي المعجمي، والتفسير الادبي والموضوعي.

واما القسم الثاني: الاحتجاجي او الكلامي والفلسفي او العرفاني والعلمي على تفصيل مما هو معتبر او مما يعتبر اقحاما لا مسوغ له على القران.

واما القسم الثالث: كالتفسير الصوفي من وجه ، والباطني من وجوه ، وكالتفسير بالراي القائم على اساس الهوى والبدع والقناعة الشخصية ... [1] .

و يتناول بعد ذلك جملة من المناهج بالبحث والتفصيل ليقول في نهاية الحديث عنها « وهذه الاقسام هي خلاصة احصائية في اغلب مناهج التفسير عند المسلمين قدامى ومحدثين)[2].

والّلافت للنظر انه اقرن (الادبي) ب(الموضوعي) بالعطف بينما في شرحه التفصيلي عن المناهج ذكره وحده دون عطفه على الادبي[3] ولا يُعلم ما هو التبرير لهذا غير انه -على ما يبدو- تأصيل للمدرسة البيانية والادبية التي قاد حركتها الدكتور امين الخولي في دعوته لتفسير القران موضوعا موضوعا- على ما هو المشهور ، والا فما علاقة الادبي بالموضوعي!؟ الا انّه احد الموضوعات التي بحثت به .

([1]) ينظر: المبادئ العامة لتفسير القران الكريم، محمد حسين الصغير :89-90 .

([2]) ينظر : م ن : 92-129.

([3]) م ن :124.

وذات الملاحظة في (الاحتجاجي او الكلامي) و (الفلسفي او العرفاني) فلو تلمسنا وجها في عطف (الكلامي) على (الحجاجي) فما وجه الالتقاء بين (الفلسفي) و(العرفاني)؟ فالتفسير الفلسفي غير العرفاني! ، وتجدر الاشارة انه تعرض للمنهج الصوفي وادرج الفلسفي او العرفاني عند الكلام عنه ثم تناول الفلسفي في معرض كلامه الى ان ينتهي ليقول بان هذا الادراج والتسمية هي «من باب التجوز في الالفاظ والتوسع في المعاني»[1] وهذا احد صور الاشكالية اذ تتداخل المفاهيم وتتشابك العناوين و تُماثّ خصوصية الاصطلاح في زحمة المقاربة والتوسع والتجوز.

ومما ينبغي تسجيله ايضا هو توصيفه للمناهج بـ(مناهج التفسير) مما يوهم على انها تخص مرحلة قبل الشروع بينما هو يقصد توصيف ما بعد الشروع بقرينة قوله «وفيهم من جمع بين منهج واخر ولكن الطابع العام لمنهجه في التفسير كان ظاهرا في جانب ما؛ فغلبنا ذلك الجانب على تسميته»[2] ، والاقرب توصيفها بمناهج المفسرين .

ولكن هل تشخيص هذا التغليب يستند الى معيار ثابت يكشفه كل من يطالع التفاسير؟ وهل كشف ما يظهر للدارسين في كتب التفسير مما يمثل الطابع العام والغالب عليها يسوغ توصيف المنهج باسم العِلم او التخصص فيعد منهجا تفسيرياً؟! والمشهور ان غلبة لون تفسيري على آخر وبروزه دون غيره المشهور تسميته بانه (اتجاه) وليس بما ذهب اليه المؤلف من اعتباره منهج غالب إلا اللهم يعرف الاتجاه بانه المنهج الغالب وهذا لم اعثر عليه في كتابه لغياب تعرف مفهوم الاتجاه.

ان ظهور أحد الجوانب في التفسير وغلبته على جوانب أخرى لا يسوغ توظيف المصطلح الموصوف به واعتباره منهجا تفسيريا! اذ ان المنهج بمفهومه الوافد –طريق بحث واستدلال– ينبغي ان يستفاد منه بلحاظ البحث في موضوعات النّص المراد الاستفادة من معطياته وبالاستدلال على مسائله ، وبما ان النص القرآني سقفه المعرفي مطلق غير محدود لأنه المعجزة الخالدة ، وان فهمه وتفسيره يتناسب مع الارضية المعرفية للبشر في كل حقبة زمنية لذا يكون فهمنا نسبيا إزاء أي نص من نصوصه[3] .

([1]) م ن : 118.

([2]) المبادئ العامة لتفسير القران الكريم: 129.

([3]) ينظر: الكتاب والقران، محمد شحرور (بيروت : دار الساقي ، ط1: 2011م): 97.

وعليه: فيلزم تحشيد وتوظيف كل الوسائل والادوات المشروعة والممكنة في فهمه دون تبعيض واجتزاء* ، وإلا ستكون الخطة التفسيرية فقيرة في قابليتها الكشفية؛ وبالتالي تنحرف النتائج التي يراد منها ان تكون تعبيرا عن مراد الله تعالى .

ان هذا الاجتزاء في توصيف (منهج تفسيري لمفسر ما) يوهم بانّه وسيلة واداة مستقلّة عن باقي المناهج وخصوصا اذ تم توصيفه بمصطلح (منهج تفسير) كما فعل المؤلف دون ان يضيفه لـ (المفسر) لأنه في خصوص الحديث عن منتج تفسيري ماثل امامه يتألف من مكونات المادة التفسيرية (الادوات العقلية والنقلية والاصول والقواعد وغيرها) فمن غير الصلاح عدم مراعاة الدقة والخصوصية في الاصطلاح **.

ان التقسيمات المذكورة[1] تعد ضوابط عامة وكلية إلا ان توظيف الأقســـام

وتحديد الأصناف لم يكن منسجما مع مداليل المفاهيم الاصطلاحية والتوصيف مبني على التسامح والتوسع وهذا يوقع المتلقي في اللبس والايهام .

5- قسّم الشيخ جعفر السبحاني المناهج التفسيرية الى منهجين استنادا الى ما يعتمده المفسر في رفع الستر عن وجه الآية عبر الدليل العقلي او الدليل النقلي[2] ، وهما :

المنهج الاول: التفسير بالعقل؛ وقسّمه الى: ستة مناهج: «

1- تفسير القران في ظل العقل الصريح.

2- التفسير في ظل المدارس الكلامية.

3- التفسير على ضوء السنن الاجتماعية.

4- التفسير على ضوء العلم الحديث.

5- التفسير حسب تأويلات الباطنية.

6- التفسير حسب تأويلات الصوفية»[3] .

(*) وحينها سيكون تسمية الاصطلاح ب(منهاج التفسير – منهاج المفسر) الخطة والبرنامج ، وليس منهج .

(**) ولمزيد من البيان: ان توصيف منهج المفسر غلب عليه لون علم البيان والبلاغة بأنّ منهجه بياني هو توصيف باسم مكوّن واحد من مكونات المادة التفسيرية التي تتضمن خليطا منوعا من المناهج العلمية والمعرفية فليس من الدّقة وليس من سلامة الوصف ان يلتصق وصف العلم بمنهج المفسر وبالتالي تفسيره بتمامه، فهذا توصيف يجانب الواقع ويوهم في امكانية التبعيض في بناء المنهجية التفسيرية لمن يقصد تفسير القران الكريم .

([1]) ينظر: المبادئ العامة لتفسير القران الكريم، محمد حسين الصغير : 89 .

([2]) ينظر: المناهج التفسيرية في علوم القران، السبحاني : 76.

([3]) ينظر: م ن : 77- 128.

المنهج الثاني: التفسير بالنقل؛ وقسّمه الى: اربعة مناهج: «

1- تفسير القران بالقران.

2- التفسير البياني للقران.

3- تفسير القران باللغة والقواعد النحوية.

4- تفسير القران بالمأثور عن النبي والائمة »[1] .

ويذهب الى القول ب(المنهج الكامل) الذي يتألف من المناهج الصحيحة ، تفسير القران بالعقل القطعي ... ومن الاثر الصحيح ...الى غير ذلك من المناهج التي مر بيانها[2] .

واستعمل المؤلف مفاهيم عديدة وظفها في التوصيف، فوصف اقسام التفسير العقلي بالمناهج[3] ووصفها بالصور[4] . وايضا وصف اقسام المنهج النقلي بالصور[5]

وتكرر منه توظيف لفظ (نمط) لوصف اكثر الاقسام[6] ، ووصف البياني بانه لون من التفسير الموضوعي مع انه قد أُدرج تحت اقسام المنهج النقلي[7] .

وهذا التوظيف للمفاهيم والاقسام يوقع في اللبس والايهام كما انه يوقع المؤلف في اشكالية التسامح والتجوز في التوظيف والاستعمال، فهل الأقسام صور او انماط، حريٌّ ان يلتزم بالاصطلاح.

اما نموذَجيّ التقسيم: العقلي والنقلي؛ يبدو أنهما بلحاظ ما بعد الشروع أي بلحاظ طرق المفسرين، ولكن هل تكون العمليّة التفسيرية صحيحة ونتائجها مقبولة في معايير الشرع إذا كان المفسر يعتمد على العقل الصريح دون الرجوع للمأثور؟!

وهل من الممكن تصوّر (منهاج تفسير) دون إعمال العقل فيه؟ وهل المنهج الصوفي كما يصفه والكلامي يخلوان من المصدر النّقلي حتى يعتبرهما من المناهج العقلية؟ ثم ان غلبة الاهتمام والتخصص يعتبر من الاتجاهات او المناهج؟

([1]) ينظر: المناهج التفسيرية في علوم القران : 141-158.

([2]) ينظر: م ن :162.

([3]) ينظر: 77 .

([4]) ينظر: م ن : 91.

([5]) ينظر: م ن : 141 .

([6]) ينظر: المناهج التفسيرية في علوم القران : 92، 116 ،144، 151، 158... الخ.

([7]) م ن: 151.

يبدو ان هذا النموذج من التقسيم غير دقيق في التوصيف وتحديد المَقْسم وتوظيف الأقسام له، ويظهر على أحد النماذج الخلط ما بين اقسام المنهج والاتجاه – بناء على الرائج عن مفهوم الاتجاه وتقسيماته كما سياتي.

6- لم يتناول الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، تقسيم المناهج بنحو فارد وواضح، وبعد التتبع والفحص فيما كتب عن المناهج انكشف انه يذهب الى ثلاثة مناهج:
المنهج الاثري (النقلي) ، ومنهج التفسير بالراي (الاجتهادي، النظر) و(المنهج الاثري النظري) وهو مركب من المأثور والراي ، وعبّر عنه ايضا بـ«المنهج الجامع»[1] .
ويبدو ان مفهوم (المنهج الاثري النظري) يقارب مفهوم (الاثري المختلط بالراي) الذي ذكره الدكتور النقراشي سيد علي، في تقسيماته[2] .
تكلّم المؤلف عما تعارف بـ(أحسن طرق التفسير) وذهب الى القول بان تلك الطرق ممرحلة ومتعاقبة فلا يصح المباشرة بالتالية دون ان يمر بالسابقة عليها، وهي (ستة مراحل) متتابعة، وعبّر عنها بـ(الطرق المنهجية الموضوعية): وهي توليفة مما ذكره (ابن تيمية والزركشي والسيوطي) وغيرهم اذ تبدأ من: تفسير القران بالقران كمرحلة اولى ، وفي المرحلة الثانية تفسيره بالسنة الصحيحة ، وفي الثالثة، تفسيره بأقوال الصحابة وفي الرابعة بأقوال التابعين ، وفي الخامسة تفسيره باللغة ، ثم مرحلة الاستنباط وعبر عنها بالتأويل وهي الاخيرة ، ويجعل المراحل السابقة كمقدمة للوقوف على المعنى الصحيح، ثم ليصار الى (الاستنباط) بما هو نتيجة وثمرة [3] .
وقد عدّ المرحلتين الاولى والثانية من اهم المراحل التي اذا لم يلتزم بهما في منهاجه في التفسير يكون مطعون فيه[4] .
وعليه فهل ثمة فرق بين الطرائق والمناهج؟ لم يتطرق الدكتور لهذا الفرق في الاصطلاحات على الرغم من انه فرق بين (المنهج والطريقة) في بداية كتابه وهذا ما ذكره الباحث في فصل سابق.

([1]) ينظر : تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: 301-302؛ 306 ،358.
([2]) مناهج المفسرين من العصر الاول الى العصر الحديث ، محمود النقراشي :75.
([3]) ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: 67- 78 ، 80 ،421.
([4]) م ن: 147 .

ثم انه يقسِّم المنهج الاثري (النقلي) الى: ما روي عن الرسول او الصحابة او التابعين ؛ ويستند الدكتور الخالدي في تقسيمه هذا للمأثور على أساس (مفهومه) لأنه يختلف مع من اعتبر القران من جملة المأثور؛ تحرّجا من مساواته مع المنقولات التي تخضع لعلم الحديث وقواعد فن الجرح والتعديل ، والقران كلام الله وليس كلام البشر فهو نصّ منزّه عن النقد في متنه وأسناده فكيف يعدّ من المنقول ويدرج تحت اصطلاح المأثور[1] !؟ .

والمؤلف لم يلتزم بذلك ففي معرض كلامه عن قواعد المأثور ادرج تفسير القران بالقران احد انواع المأثور[2] وادرجه من ضمن خطوات ومراحل «المنهج الاثري النظري»[3] !

ويبدو ان مرجع الخلط سببه عدم التمييز بين المنقول بلحاظ النّص، والمنقول بلحاظ المحْكيّ، فان من أدرج تفسير القران بالقران أحد اقسام ومصاديق المأثور والمنقول انما عنى المحكيّ من تفسير النبي والصحابة والتابعين عبر مسلكهم في (تفسير القران بالقران)، وليس كما ذهب اليه من ان المنقول والمأثور هو خصوص (القران) المستمد منه في تفسير القران نفسه! فهذا متفق على سلامة وقطعية مصدريّته؛ إلا ان الذي يُصطلح عليه بالنقل هو خصوص المروي في هذه الطريقة وهذا مما ينبغي ان يخضع لصناعة علم الحديث وقواعده وفن الجرح والتعديل لتمييز الصحيح من غيره.

ثم انه لم يبين (تفسير القران بالقران) ان لم يكن من مصاديق او اقسام المنقول والمأثور فهو ينضوي تحت أي مَقسم؟ ، لذا لم يخرج عن ان يوظّفه في منهجيّ: الاثري والاثري النظري[4] .

واما ما أُصطلح عليه بـ(الاثري النظري) لم اعثر على فرق بينه وبين منهج (الرأي المحمود)!

اذ يعرِّف (الاثري النظري): «هو المنهج الذي يجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالراي وينسّق بينهما ويرفض غلو كل فريق بمنهجه واهمال المنهج الاخر فترى في تفاسير اصحاب هذا المنهج اقوالا مأثورة وترى فيها نظرا واجتهادا وتحليلا وتأويلا»[5].

([1]) ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين : 147- 148، 200.

([2]) ينظر: م ن: 209.

([3]) ينظر: م ن : 315 ، 365 .

([4]) ينظر: م ن: 209.

([5]) م ن: 201-302.

ومن صور التشابه، ولا فرق بينهما: وضع شروط التفسير وآدابه التي ذكرها للتفسير الاثري الممرحل الى ستة مراحل للتفسير بالراي المحمود مع زيادة في ذكر ضوابط احترازية ، عندما تحدث عن التفسير بالراي المحمود قال: «واجب لمن ملك الادوات التي تعينه على صواب الراي وحصّل العلوم التي لابد منها لحسْن تفسير القران وتأويله ... حيث ان التأويل هو مرحلة تالية للتفسير ومبينة عليه وثمرة له... فالتفسير بالمأثور ما هو الا تمهيد للتفسير بالراي ومقدمة له وطريق توصل اليه... وعلى هذا قام منهج التفسير الاثري النظري»[1] . وفي معرض كلامه عن التفسير بالراي وصفه: هو الذي اكتفى اصحابه بالنظر والتحليل ... ولا تكاد ترى فيه شيئا من المأثور... الا قليلا لا يذكر!! وذكر من جملة التفاسير كمصاديق له البيضاوي والرازي[2] .

ولكن عندما تناول الكلام عن تفسير الرازي ادرجه تحت مصاديق التفسير بالراي المحمود ويعدّه ممثل لهذه المدرسة ويشير الى ان اعتماده على الاحاديث والروايات كان قليلا ، وانه لم يتحرَّ الصحيح فكان في تفسيره الموضوع ، كذلك كان مقلا بالنقل عن الصحابة والتابعين[3] .

وعليه: كيف صحّ ان يعتبر تفسير الرازي من التفسير العقلي مع ان فيه من المأثور عن النبي وأصحابه والتابعين؟ وهل العبرة في الكمّ؟ او في النوع؟ حتى يقال كان مقلاً أ ليس ان النبي الاكرم لم يفسر القران كاملا كما يذهب اليه المؤلف[4] ؟

أ ليس ان من جملة الاخطاء هو التساهل في الاخذ بأقوال الصحابة والتابعين وغيرهم كما ذكره المؤلف نفسه[5] !

ثم اين المساحة التجديدية التي تكلّم عنها في تجديد التفسير التي تجعل من القران على طبيعته الحيّة بما فيه من سمة الواقعيّة الحركية [6] !؟ .

([1]) ينظر : تعريف الدارسين بمناهج المفسرين : 417- 424.

([2]) م ن: 302 .

([3]) م ن : 487.

([4]) م ن: 194.

([5]) م ن : 135.

([6]) م ن : 45 ، 64 – 66 .، ويبدو ان التفسير عند المؤلف ليس سوى ايضاح معاني اللغة ونقل كل ما ورد من التراث استنادا للمذهب والفرقة التي ينتمي اليها المفسر دون أي استنباط ونظر وتوسع يناسب حاجات المفسر العصرية والاجتماعية والحضارية كما يشير المؤلف هو نفسه اليها !! وهذا التفكير اما ناتج عن تناقض او اضطراب في الفهم، والا ماذا فعل الرازي والبيضاوي غير انهم فسروا القران بما يناسب سقفهم المعرفي وينسجم مع ارضيتهم الفكرية؟ فلماذا

فماهي الثمرة من هذا الذي اصطلح عليه بالأثري النظري؟ وما هو الفرق بينهما والمائز الحقيقي ليكون قسماً فارداً عن الباقي؟!

ولم اعثر على ما يميز بينهما غير استبدال الالفاظ لا أكثر! .

وقد يقول قائل: ان المائز بين (الاثري النظري)، و(الراي المحمود) هو انعدام الاثر او ندرة الاعتماد عليه!

و جوابه: ما ذكره المؤلف من (قواعد وشروط وآداب) في جواز وصحة العمل بمنهج الراي المحمود هو اعتماد الاخبار والاثار الصحيحة فيه لتصير المنهجية التفسيرية صحيحة خالية من الاخطاء[1] .

وذكر مصاديقا لجملة من التفاسير التي اعتمد اصحابها النقل والمأثور بكل انواعه غير انه جعل الضابط الاقلال والندرة وهل هذا يُخرج التفسير من اعتماد الاثر!؟ .

مما تقدّم؛ ان هكذا استنتاجات تربك الدارس وتوقعه في الايهام واللبس حينما يتم ابتكار المصطلحات والمفاهيم وتوظف بنحو يزاحم بعضها بعضا فتفقد المصطلحات اهليتها التطبيقية والاستعمالية.

مقصد: بيان حقيقة التفسير الجامع بين المأثور والنظري الاجتهادي :

يبدو ان ثمة اضطراب في فهم الجمع بين المأثور والعقل، فمن يذهب الى اعتمادهما في المنهجية التفسيرية على نحو الخطان المتوازيان -كما اشار الدكتور الخالدي- فهذا لا يعني ان الامر بالاختيار والذوق حتى يكون المعيار هو الكم-الكثرة او الاقلال- مقارنة بالنظر والاستنباط؟!

ان اعتماد (المأثور) له مبادئه ومنطلقاته المختلفة عن (الاجتهادي) فان من يعتمد الاثر فهو ينظر الى الاولوية ومراعاة الرتبة في المصدر والدليلية لأجل تفسير النص القرآني ؛ وهذا ليس ناتجا عن الذوق و المزاج الذاتي بل انطلاقا من مرتكز متشرعي وهو حرمة ابداء أي رأي مطلقا في التعبير عن فهم النص القرآني الا من خلال (التفسير بالمأثور) عن النبي واهل بيته والصحابة؛ أي بوصفه توقيفيا[2] فيقدَّم القران اولا بما هو مصدر له

هذا التوجيه لتفسيره بانه عقلي بينما هو مزج بين النقل والعقل ولكن في حدود اجتهاده وهذا ما فعله الطبري والطوسي ولكن بما ينسجم مع ثقافتهم العصرية فحسب.

([1]) ينظر : تعريف الدارسين بمناهج المفسرين :62؛ 134-135؛ 421-423 .

([2]) ينظر: مناهج تجديد: 273. ، اساسيات المنهج والخطاب: 46.

الاولوية الرّتبية ، ومن ثم تقدم السنة والعترة واراء الصحابة والتابعين –على خلاف– ومن ثم التوقّف «فيُمسكوا عن تفسير القرآن ، سوى ما ورد فيه اثر صحيح و نقل صريح»[1] .

فمعتمدو الاثر متصلّبون في موقفهم[2] ! وهنا محل الافتراق بين اصحاب المأثور عن المجوزين باعتماد الراي والذين يُعْمِلون نظرهم حتى وان جاء في ذلك أثر!

فالأولوية للنّظر (العقل وادواته العلمية والاستكشافيّة) فإما ان يثبت له اعتماد الخبر بنحو المطابقة مع النصوص او يبحث عن الملازمة او يسترشد بهداه مفهوما ومصداقا. وبعبارة اخرى: ان اصحاب المنهج الاجتهادي لا يخرجون عن محورية الرجوع للقران والسنة في تفسير مقتضى النص اما برواية صريحة صحيحة او بروايات الارشاد والتعليم النبوي والقياس عليها والاهتداء بها ، يقول السيد الطباطبائي «أن المتعين في التفسير الاستمداد بالقرآن على فهمه و تفسير الآية بالآية و ذلك بالتدرب بالآثار المنقولة عن النبي و أهل بيته صلى الله عليه وعليهم و تهيئة ذوق مكتسب منها ثم الورود»[3] فموقفهم يتسم بالمرونة بعكس المتصلبين للمأثور وحرصهم على عدم الاخذ بأدوات ووسائل العقل مطلقا وانما اجتهادهم مقيّد بقيود[4] .

وهذا ما ذهب اليه الشيخان الطوسي والطبرسي وغيرهما في تفسيرهم؛ فالجميع اجتهد دون الخروج عن دائرة الادلة الشرعية ولم يدّعِ مفسّر من داخل دائرة اهل الملّة والايمان بانّه يرفض الاثار الصحيحة او لايركن اليها في الفهم والبيان.

ومعلوم ان المفسّر بشر قد يصيب وقد يُخطِئ[5] فتقييم مُنتَجَه من قبل الاخرين لا يقدح بواقع المنهجية المعمول بها. والتفاسير الرائجة خير شاهد.

7 – يذهب السيد كمال الحيدري الى ان تقسيم المناهج المتداولة في جملة من المصنفات انما هي قسمة استقرائية وليست عقلية حصرية. ويستند على جملة من المقدمات:

([1]) التفسير والمفسرون، هادي معرفة : 44/1 .

([2]) ينظر: اساسيات المنهج والخطاب :61–65.

([3]) الميزان في تفسير القران، الطباطبائي: 77/3 .، ينظر: اصول التفسير وقواعده :181 .، ابن جزي ومنهجه في التفسير، علي الزبيري:1/ 354 .، مسير التفسير، ابراهيم عوض: 116–119.

([4]) ينظر: اساسيات المنهج والخطاب: 67. ، لمحات في علوم القران واتجاهات التفسير، الصّباغ: 284.

([5]) ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: 124.

• الاختلاف في صور ونتائج المنهج التفسيري (الهيئة والكيفية الكشفية) والذي هو اختلاف بحثي ، وفي النتائج يعبر عنه ب(اختلاف مناهج التفسير) و يعبر عن الهيئات والكيفيات بـالمناهج او المدراس والمذاهب التفسيرية .

• قدّمَ اصحاب الفن في علوم القران دراسات جيدة في مناهج التفسير وبالرغم من جديتها وجدواها توهمت في قضية مهمة: حصر المناهج والاتجاهات التفسيرية بعدد معين، وهذا اول خطا منهجي وقع فيه من صنف في المناهج والاتجاهات التفسيرية.

• المناهج التفسيرية لا يمكن حصرها بعدد معين الا من باب الاستقراء الناقص اذ لا يمكن عدها وحصرها بما وقع منها والا فان جملة منها قد جاءت متأخرة بل اكثرها لم يكن ملتفتا اليها.

• ان هذه المناهج التفسيرية قُنِنَتْ في مراحل متأخرة؛ لأنها من حيث التأسيس والتأصيل قد انطلقت متزامنة مع المراحل الاولية للعملية التفسيرية، وقام مصنفو كتب المناهج التفسيرية برصد تلك المناهج المبعثرة في المتون التفسيرية ثم تصنيف الكتب التفسيرية في ضوء ما رصدوه من مناهج من قبيل تسمية تفسير العياشي والصافي والبرهان بالتفاسير الروائيّة ، لان التفسير اعتمِد فيه منهج عقلي او تجريبي أو ... الى آخره، اي ان تحديد هذه المناهج هو تحديد بعد الوقوع[1] .

ومما تقدّم:

يذهب السيد الحيدري الى «ان تأسيس الضابطة العامة للتفسير ومنهجه التفسير في العملية التفسيرية لا يختص بمنهج دون اخر ولا بمناهج دون اخرى ولا بما هو موجود اناً دون ما يمكن تأسيسه او اكتشافه من مناهج اخرى»[2] .

والمناهج التي رصدها هي: «

1- منهج تفسير القران بالقران

2- منهج التفسير الروائي الاثري

3- منهج التفسير العقلي الاجتهادي

4- منهج التفسير العلمي التجريبي

5- منهج التفسير الاشاري

([1]) ينظر: اللباب في تفسير الكتاب، كمال الحيدري: 1/21-23.، مناهج التفسير، طلال الحسن :30-35.

([2]) اللباب في تفسير الكتاب : 1/ 23 – 35.

6- منهج التفسير بالراي

7- المنهج التفسيري الجامع»[1] .

ثم اشار الى السبب في ادراجه (للراي) وان كان يعد عملية تفسيرية غير ممنهجة الا ان فيه ما يصحّ ان يكون منهجا.

وتجدر الاشارة الى انه وظف مفهوم (انماط) لتوصيف وتصنيف ما يتم ابرازه من مقاصد النص القرآني من قبيل: التفسير الادبي والاخلاقي والفقهي و...[2] وهو بهذا يختط مفهوما موازيا ومقاربا لمفهوم اللون كما سياتي في مبحث الاتجاهات .

وفي كتاب اللباب في تفسير الكتاب للمؤلف: تناول التقسيم بنحو اخر: «

1-الروائي

2-العقلي

3-العلمي التجريبي

4-القران بالقران

5-التفسير الجامع»[3] .

وأَفردَ (للراي) كلاما خاصا بيّن فيه مفهومه المنهي عنه في الروايات ، وما يمكن ان يقع من جملة الاتجاهات الباطلة، فتطرّق لذكر: من اعتمد اساس كلامي او اساس فلسفي معين وما وجد في التفاسير القائمة على منهج المتصوفة[4] .

وبحق توافرت هذه النتائج على فوائد جمّة في الالتفات الى ضرورة التمييز بين تناول المناهج بمرحلتها التأسيسية (المنهجة) ، ومرحلتها البعديّة (بعد الوقوع).

وايضا ابرزت اهمية الالتفات الى عدم ثبات هذه المناهج بعدد معين سواء في مرحلة التأسيس او الاكتشاف لأنه لا يخضع لضابطة ملزمة .

ومما يجدر الاشارة اليه: هو توصيف (المنهج التفسيري) في مرحلة بعد الوقوع بهذا التسمية بينما الاقرب توصيفه (بمنهج المفسر) لا المنهج التفسيري؛ تخصيصا له بمرحلته

([1]) مناهج تفسير القران: 35.

([2]) ينظر: م ن: 36.

([3]) لب اللباب في تفسير الكتاب :1/ 23.

([4]) ينظر: م ن : 1/ 14-17.

البعديّة وتمييزا له عن المنهج القبلي الذي يناسب ان يسمى بالمنهج التفسيري كي لايقع المتلقي في الايهام واللبس.

ويلاحظ على النموذجين: اعتبر مناهج العلوم والفنون – التجريبي والاشاري – مناهجا للتفسير! ، ومعلوم ان الخطة التفسيرية لا يمكن ان يحصل فيها اختزال بمنهج بحثي واحد على حساب باقي المناهج والادوات والوسائل وغيرها ليوصف به تفسير المفسر!

فهذا تقييم مبتسر وتبعيض مبني على مراعاة الغلبة في التفسير – اللون– والتوصيف في خصوص الاتجاهات لا المناهج؛ فخلط ما بين المنهج والمنهاج – الخطة التفسيرية – وما بين الاتجاه والمنهج .

وقد عدّ – الاثري والراي – منهجين بينما اعتبرهما بعض المؤلفين والباحثين نوعين من التفسير بما مر بيانه سابقا.

وفرّق بين الراي والاجتهادي العقلي وعدّهما منهجين وان بيّن حقيقة ادراج الراي من جملة المناهج هو على نحو المقابلة لا القبول لان الراي مرفوض ولا يمكن عدّه منهجا صالحا وهو بهذا يخالف ما ذهب اليه البعض من تقسيم الراي الى محمود ومذموم واعتبر المحمود هو اجتهاد عقلي.

8– وضع الشيخ علي أكبر السيفي المازندراني، كل ما اورده من اقسام تحت عنوان (المناهج التفسيرية) وهي:

التفسير التجزيئي والموضوعي ؛ التفسير العقلي ؛ التفسير بالراي ؛ الهرمينوطيقا فن تفسير المتون ؛ التفسير العلمي ؛ التفسير النقلي الاثري ؛ المنهج الاشاري والاشراقي ؛ التفسير الاصولي الاجتهادي [1] .

ولم أقف على اساس التقسيم الذي اعتمده المؤلف فضلا عن وضوح في تخصيص هذه الاقسام من غيرها ، وهل كان انتخابها باعتبارها مصاديق او اقسام او انواع او فروع للمناهج التفسيرية فهذا غير واضح في كلامه، كما انه لم يلتزم في الاصطلاح المخصص. والخلط واضح جدا في عدّ اقسام الاتجاهات من جملة المناهج؛ لان الاشراقي والعلمي هما من الالوان وهو توصيف للاتجاه كما مر بيانه.

([1]) ينظر: دروس تمهيديّة في القواعد التفسيرية، علي اكبر السيفي المازندراني (قم : مؤسسة النشر الاسلامي ، ط2: 1435هـ):ح1: 83/1 – 125.

وادرج الترتيبي والموضوعي من جملة المناهج ومعلوم انهما مختلف في توصيفهما بين كونهما اسلوبا او اتجاها، فلم يتطرق المؤلف الى ذلك.

وادرج الهرمينوطيقا من جملة المناهج ويصفه بالفن وتارة بالأسلوب[1] وهو مصطلح وافد ينبغي انّ يفحص ويمحص من ثم اعتماده في فهم النص القرآني.

9- في كتاب (التدبر الموضوعي في القران الكريم) قُسِّمت مناهج التفسير من خلال ملاحظة ما يظهر على التفاسير وما يغلب عليها:

اولا: التفسير بالمأثور (النقلي) ويقسم الى:

أ- تفسير القران بالقران.

ب- تفسير القران بالسنة.

ت- تفسير القران بقول الصحابة.

ث- تفسير القران بقول التابعين.

ثانيا: التفسير العقدي (الكلامي).

ثالثا: التفسير الفلسفي.

رابعا: التفسير العرفاني (الصوفي)

خامسا: التفسير الفقهي

سادسا: التفسير اللغوي (البلاغي).

سابعا: التفسير العلمي.

ثامنا: التفسير التاريخي.

تاسعا: التفسير الاجتماعي (الحركي ، التربوي)[2] .

ويواجه هذا التقسيم اشكالات عديدة منها:

الوجه الاول: ان لحاظ التقسيم تناوله أكثر العلماء على إنه (لون تفسيري) وبالتالي يندرج تحت (الاتجاهات) لان غلبة لون ومستوى علمي وفكري على تفسير المفسر وظهوره فيه وبرزوه عليه اعتبروه (اتجاها للمفسر) فكيف ساغ ادراج هذه الاقسام تحت عنوان مناهج التفسير؟!! وهذا من الوجوه التي توقع المتلقي باللبس والتشويش.

([1]) ينظر: دروس تمهيديّة في القواعد التفسيرية : 1/ 94.

([2]) ينظر: التدبر الموضوعي في القران الكريم – قراءة في المنهجين: التجميعي والكشفي «دروس القاها الشيخ علي ال موسى »، مجموعة من الكاتبين (بيروت: دار كميل للطباعة والنشر ، ط1 ، 1430هـ- 2009م): 79- 107.

الوجه الثاني: ان المفاهيم المذكورة (عنوانات الاقسام) يرد عليها اشكال من جهة المدلول؛ فان علم اللغة تشمل البلاغة وغيرها فكيف أدرج في العنوان وما بين هلالين (البلاغة) بما تعادل اللغة وتوازيها في الدلالة؟!

الوجه الثالث: مصاديق (التفاسير) التي ذُكرت لهذه الاقسام فيها اشكال من حيثية التقييم لمضمون تلك التفاسير، فلا يخلو تصنيفها وادراجها تحت تلك الأقسام من تعسف واقحام، فان جملة من تلك التفاسير لا يغلب عليها –بصورة دقيقة– الطابع المذكور، وانما هو أحد ادوات المفسر واهتماماته فلا يعدّ منهجا تفسيريا!؟

10– ينطلق الباحث محمد مصطفوي، من طرح تساؤل مهم: «هل ثمة اعتبارات واضحة لعملية التصنيف المنهجي في التفسير أم يعتمد على مزاج المفسر واتجاهه التفسيري، وماهي الوظائف الاجرائية للمنهج؟»[1] .

فيتناول مسألة ما هوية المعيار في توصيف النماذج (تمثُلات المنهج) بما هي واقع وكائن بعد تنفيذ العملية التفسيرية بوصفها (المنهج)، فان ذلك أدّى ويؤدّي الى ظهور مناهج في التفسير ما انزل الله بها من سلطان[2] .

يذهب المؤلف الى ضرورة اعتماد (اعتبارات) واضحة في اختيار المنهج واعتماده حتى يتحقق الابتعاد عن الوقوع في الخلط بين المنهج من طرف وما بين الاتجاه والمصدر من طرف اخر، ثم التأكد من امكانية التطبيق الفعلي للمنهج وتطويعه في المجال التفسيري[3]

طرح المؤلف اعتبارين في عملية التصنيف المنهجي يعوّل عليهما في الحذف والابقاء:–

1– التساوق المنهجي: هو التأكد من فعّاليّة المنهج وامكانياته الفعلية لدعم عملية البحث وتطوير ابعاده المعرفية.

2– التكافؤ القياسي: هو الاتفاق على التعاريف الاجرائية التي يمكن من خلالها تطبيق قياسات موحدة للمقارنة والحكم تجنبا للقياسات المختلفة والمعايير الملتبسة في المعرفة.

ويمكن التحكم بهذين الاعتبارين ومجمل مسار المنهج من خلال العوامل الاتية :

أ–اللغة المعتمدة: وهو طريقة التعامل مع تفسير القران عموما بلغة الظاهر او التأويل.

([1]) اساسيات المنهج والخطاب، محمد مصطفوي : 33.

([2]) ينظر: م ن : 33 .

([3]) ينظر: م ن : 34.

ب–المنطق المعتمد: ويعبر عنه بالنموذج الارشادي فان اعتمد منطقا نحويا فستدار العملية التفسيرية من خلاله وعليه فلا يجوز التنحي عن نتائجه المترتبة عليه

جـ–ابنية منهجية: 1– الفروض والنظريات المسبقة التي هي مسلمات توجه قناعات الباحث والمفسر. 2– المفاهيم وهي شبكة من التصورات العقلية التي تنظم المعلومات والحقائق في نسق معين كما وأنها تشكل الركائز الاساسيّة للنظريات. 3–الحقائق: وهي الاشياء الثابتة بالوجود الخارجي او بالدليل القاطع، والوقائع: هي الاحداث التاريخية عموما، والمعلومات: هي المعطيات النظرية عن اثبات شيء او نفيه.

ثم يتناول الوظائف المنهجية التي يضطلع بها الباحث بناء على الابنية السابقة وغيرها في توليفة تجسد دور المنهج في المعرفة وذلك عبر اجراءات : الفهم... ،والوصف ...، والتبرير..، والتفسير..، والتركيب...[1] .

وبعد هذه المقدّمات التي اعتمدها في بناء المنهج في جانبيه: المعرفي والاجرائي، ويعدهما معيارا في تصنيف المناهج من حيثية قبولها او رفضها في المجال التفسيري.

فيرى ان المناهج التي يمكن تناولها في مجال التفسير هي: «المنهج النقلي، والمنهج العقلي، والمنهج الاجتماعي، ومنهج الاشراق او الباطني.

واما باقي المناهج فيدور امرها بين مصداق من المناهج المذكورة او فاقد لشرط من شروط المنهج»[2]

وقسم المنهج النقلي (استنادا الى الاعتبارات المنهجية التي وضعها) على:

(تفسير القران بالقران) و(التفسير اللغوي) و(التفسير التاريخي) ثم يتناول تقسيم التفسير بالمأثور الى اتجاهين يصطلح عليهما بالصلب والمرن[3] .

وقسّم تفسير القران بالقران على نوعين: التفسير الموضعي ، والتفسير الموضوعي[4].

وقسم منهج التفسير اللغوي الى اتجاهات عدّة[5] .

وقسم المنهج التاريخي الى صور واشكال هي: التفسير الذي يعتمد مراحل نزول القران

([1]) ينظر: اساسيات المنهج والخطاب: 34–41.

([2]) م ن :42.

([3]) ينظر: اساسيات المنهج والخطاب :47–49 وسياتي الكلام عن اقسام الاتجاهات لاحقا.

([4]) ينظر: م ن: 76

([5]) ينظر: م ن :86 ، وسياتي تفصيلها في المباحث اللاحقة.

...، التفسير التاريخي بالمفهوم الفلسفي والاجتماعي...، التفسير الذي يعتمد المنهج التاريخي في تفسير النص...[1] .

ويقسم المنهج العقلي الى (الفلسفي، الكلامي الجدلي، الاستنباطي، وغيرها) مستندا الى دعوة الكتاب والسنة في الاحتكام الى العقل ومعطياته في مجال الحياة ، واسلوب القران مبني في الاساس على معطيات عقلية تأملية آفاقيّة وأنفسيّة [2] .

يبدو ان ما جاء به المؤلف يحتسب انفراد في الطرح خارج المنظومة الاصطلاحية –وانْ استعمل بعض المفاهيم الاصطلاحية الرائجة ولكن بصورة قليلة– فما ذكره من مفاهيم هي غير متداولة في الوسط الدراسي للمناهج التفسيرية –مع جدّة الطرح وظرافته– إلا ان هذا يجعلنا امام تقعيد وتنظير خارج الركب الاصطلاحي مما يعني اننا امام اشكالية اخرى وهو (اختراع المصطلحات وابداع المفاهيم) ، ان ايراد مصطلحات من مثل: (لغة المنهج ومنطقه وابنيته و...) التي صرّح المؤلف بالتزامه بالتعبير بها[3] من دون ان تكون رائجة في استعمال العرف التخصصي، هكذا اجراء لا ينتج تطورا في الموضوع بقدر ما يحقق استقطاب لمدلولات المفاهيم المتداولة فيجعلها خارج التداول المألوف والمعروف .

و يتناول المصطفوي تقسيم التفسير في موضع أخر من خلال السير التاريخي حيث شهدت العملية التفسيرية نمطين :

النمط الاول التفسير التجزيئي ، والنمط الثاني التفسير الموضوعي[4] .

ثم يتناول تقسيم التفسير التجزيئي الى قسمين استنادا الى نمط التفسير المتبع في فهم الآيات؛ الاول : التفسير التجزيئي السردي : ويقصد به ان ينقل المفسر المعلومات حول الآية من دون خطة مسبقة لمتابعة تلك المعلومات تحليلا ونقدا ... وينقسم الى صور استنادا للمحتوى الذي ينقله: فالمنقول قد يكون طابع لغوي بحت او روائي بحت او قصصي او مركب ...الى اخره، واطلاق كلمة التفسير والمفسر على (المنقول) مسامحة كبيرة لدى الكتاب والباحثين لانعدام العمل التقييمي فلا تلمس لهم مساهمة غير الامانة

([1]) ينظر: اساسيات المنهج والخطاب، محمد مصطفوي :109–113.

([2]) م ن: 115.

([3]) ينظر: م ن: 48.

([4]) ينظر: المبادئ العامة لدرس القران وتفسيره، محمد مصطفوي(بيروت :مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1: 2012م): 35.

في النّقل[1].

اما القسم الثاني: التفسير التجزيئي التحليلي حيث يعتمد المنهج التجزيئي بأسلوب تحليلي فلا يكتفي المفسر بنقل المعلومة وانما يقوم ايضا بمحاكمة المنقول بالتبرير والقبول وبالجرح والتعديل والمناقشة ... وله صور ايضا: لغوي، روائي، تاريخي، ... من حيث مستوى التحليل ، ويعد التفسير التجزيئي التحليلي متقدم على التجزيئي السردي لتضمنه على الجهد المعرفي للمفسر فهو خطوة للأمام في الفهم والتعاطي مع المعطيات ...[2] .

ثم يتناول التفسير الموضوعي ويصطلح عليه بالمنهج ويقسمه الى:

الموضوعي الحشدي؛ بان يحشد ويجمع المفسر الآيات حول موضوع معين من دون خطة تعالج موقف معرفيا، ويذهب المؤلف الى ان هذا النوع من التفسير للمنهج الموضوعي هو الغالب.!

والتفسير الموضوعي التحليلي، يقوم المفسر بتحليل الآيات بحسب طريقته المعتمدة؛ لان المفسرين مختلفين في طرائقهم؛ فمنهم من يتبع اسلوب التحليل اللغوي ...

والتفسير الموضوعي الحواري، وهو ان يأخذ الحوار بين المفسر (الذات الباحثة) بعدا موضوعيا في الدخول بالحوار مع القران الكريم – المفسر يحاور القران الكريم– وهو اسلوبا مبتكرا في التعاطي مع النص الذي عبّر عنه السيد الشهيد باقر الصّدر بالاستنطاق[3] .

ونماذج التقسيم التي طرحها المؤلف يظهر عليها ابتعاد عن دائرة العرف التخصصي لدرس المناهج وهو كما اسلفت لا يخلو من جدّة وظرافة ولكن عدم الالتزام في المصطلح المتداول او محاولة معالجته يجعلنا ندخل في بناء موازي لسير حركة علم وفن مناهج التفسير والمفسرين وهذا خُلْف المنهجية البحثية.

10– ولم يخرج الدكتور فضل حسن عباس، عن التقسيم المشهور والرائج: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي غير انه سجّل ملاحظات عديدة حول مفهوم المأثور والرأي[4] ثم ينتقل الى ما اسماه بالتقسيم المختار: التفسير بالنقل وتفسير بالراي (المنقول والمعقول)

([1]) ينظر: م ن :37–38. ، والباحث يرجح ما ذهب اليه المؤلّف ويعتمده في هذا الخصوص .

([2]) ينظر: م ن : 39–40.

([3]) ينظر: المبادئ العامة لدرس القران وتفسيره : 44–47.

([4]) ينظر: التفسير والمفسرون "اساسياته واتجاهاته ومناهجه" في العصر الحديث، فضل حسن عباس: 1/185–188.

ويذهب الى القول بان «التفسير المنقول يشمل : 1- ما صحّ عن سيدنا رسول الله (ص) ... 2- ما كان ناتجا عن اختلاف القراءات القرآنية الصحيحة ... 3- ماكن تفسيرا لغويا للفظ ... [ويصف هذا التقسيم] دقيق علميّا»[1] !.

ويذهب الى ادراج اقسام يصفها على انها انواعا من التفسير اقتضتها ظروف العصر:

التفسير الموضوعي ويقابله التفسير التحليلي – ويقصد به: التفسير الترتيبي –؛ والتفسير الاجمالي، والتفسير المقارن، والتفسير الاذاعي الذي يبث من الاذاعات...[2] .

وما زاد الدكتور شيئا جديدا على التقسيم المشهور سوى انتقاء ما ناسبه من الالفاظ ، واما الانواع التي اقتضتها الظروف العصرية فيذهب البعض الى تصنيفها من (الاساليب) وليست انواعا ، ثم انه يعدّ التفسير التحليلي مقابلا للموضوعي، ويصفه بانه تفسير الآيات حسب ترتيبها في سورها ...[3] وهذا خلط واضح بين ما اشتهر بانه اسلوب ترتيبي مقابل الموضوعي ، واما التحليلي فعده البعض اسلوبا يمكن تطبيقه في اي نوع من انواع التفسير .

11- قسم الدكتور محمد علي الرضائي، مناهج تفسير القران على قسمين رئيسين واقسام فرعية اخرى على أساس (كيفية استخراج معاني القران ومقاصده) و (المصدر المستخدم) الى : «

أ- المناهج التفسيرية الناقصة :-

1- منهج تفسير القران بالقران .

2- منهج التفسير الاثري (التفسير على اساس السنة).

3- منهج التفسير العلمي (باستخدام العلوم التجريبية في فهم القران).

4- منهج التفسير الاشاري (العرفاني، الصوفي، الباطني، الرمزي، الشهودي).

5- منهج التفسير العقلي والاجتهادي.

6- منهج التفسير بالراي (المنهج الممنوع في تفسير القران).

([1]) ينظر: التفسير والمفسرون "اساسياته واتجاهاته ومناهجه: 1/ 188.

([2]) ينظر: م ن: 206/1.

([3]) ينظر: م ن : 206/1.

ب- المنهج الكامل في التفسير وهو المنهج الذي يستفيد من جميع هذه الطرق -المناهج المذكورة سابقا»[1] .

ثم بيّن بان التفسير الصحيح والمعتبر هو ما يفيده المفسر من جميع هذه المناهج (الخمسة) في مكانها المناسب غير ان الاستفادة تقدّر بقدرها فربما لا توجد رواية في تفسير بعض الآيات او لا توجد اشارة علمية تناسب المنهج التجريبي، فالمنهج الكامل هو المستخدم في مورد تلك المجموعة من الآيات وحينئذ من الطبيعي سيكون عدد المناهج المستخدمة يرتبط بالآية وامكانية الاستفادة من المناهج الصحيحة في هذا المجال.

ثم يبيّن سبب ادراج الراي من جملة المناهج بالرغم من انه لا يعتبر التفسير به صحيحا ومعتبرا ؛ هو من اجل ردّه والتنبيه على خطورته[2] .

ثم يعطي تقسيما اخرا (عبر المخطط)على أساس «اعتبار وعدم اعتبار هذه المناهج»[3]

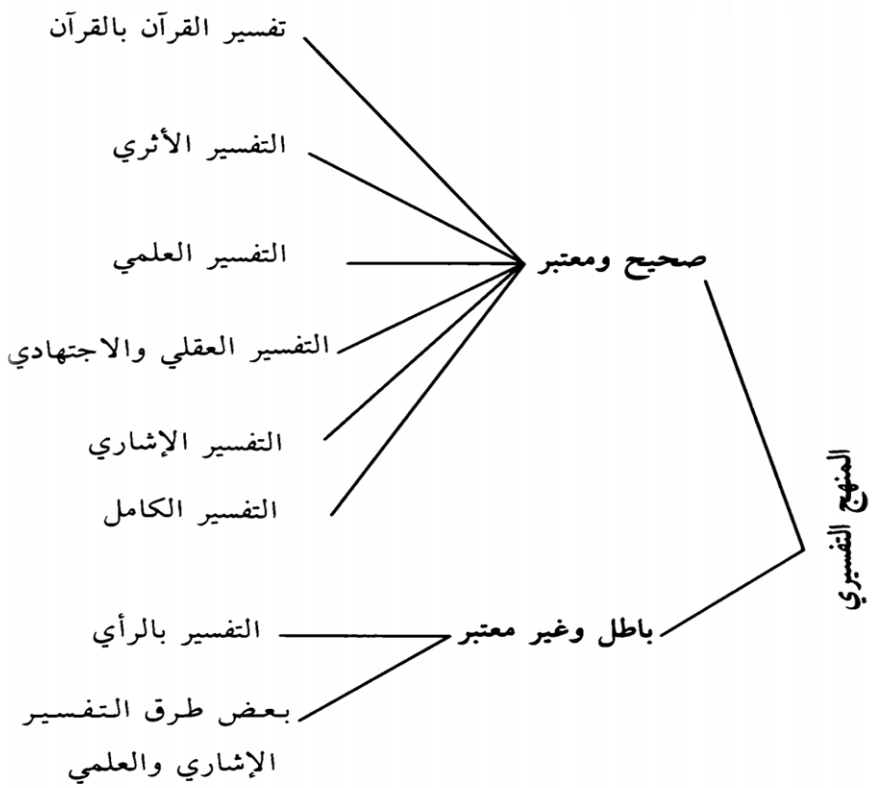

(صورة لمخطط التقسيم عن كتاب المؤلف)

([1]) مناهج التفسير واتجاهاته، الرضائي: 26-27.

([2]) ينظر: م ن :27.

([3]) ينظر: م ن :28. صورة مخطط التقسيم عن كتاب المؤلف .

وتقسيمه للمناهج بلحاظ التقييم: معتبر وغير معتبر؛ انما هو بلحاظ ما اصطلح عليه بالمنهج الكامل وهو الاستفادة من جميع هذه الطرق ! غير انّه في المخطط ادرج المناهج الناقصة في قسم الصحيح المعتبر! ثم أدرج في قسم الغير معتبر بعضا من طرق التفسير الاشاري والعلمي! ولكن ماهي الضابطة المعتمدة؟

وهل ما اصطلح عليه بالمنهج الكامل يكون في طول الاقسام الناقصة او جعله قسما مستقلّا؟، والتساؤل الاخر: اذا كان لتفسير القران بالقران والمأثور وجها في عدّهما منهجي تفسير فهل الاشاري والعلمي والعقلي مناهج تفسيرية؟ او هي مناهج وُظفت في التفسير ؟! فكيف جاز سحب عنوان العلم على المنهج التفسيري؟ مع ان هناك من يعدّ (الاشاري والعلمي) من جملة الاتجاهات التفسيرية؟!

ثم هل يصحّ منهجيا ان يُصطلح على المنهج الكامل الذي يضم عدّة مناهج بانه منهجا؛ هل ينسجم هذا مع دلالة المنهج الاصطلاحي بمفهومه الوافد؟ او ينبغي ان يصار الى اصطلاح يعبر عن حقيقة البرنامج والخطة التفسيرية التي تضم مناهج عديدة وهو ما سأعتمده في المعالجة من ان المصطلح المناسب هو (المنهاج) وليس (منهج) على ما سياتي في الفصل الثالث ان شاء الله تعالى.

وهناك كثير من المؤلفات والبحوث التي تناولت تقسيم مناهج التفسير والمفسرين غير انها لم تخرج عن حدود الكيفية التقليدية والكيفية المنهجية، والتباين وقع في النّماذج من حيثية عددها واساسات التقسيم واعتباراته[1] .

المطلب الثاني: اشكالية تعليل التنوع والاختلاف في تقسيم المناهج:

لوحظت نقاط عديدة ممكن ان تعد اسبابا كامنة وراء هذا التباين والاختلاف في نماذج التقسيم والتصنيف فيما بين مؤلفي المناهج التفسيرية من حيثية كيفية التقسيم وعدد الاقسام والخلط والتداخل الواقع فيما بينها.

ذهب البعض الى تلمس (وجوه) في تبرير التنوع والاختلاف؛ وقبل طرحها ومناقشتها يطرح البحث أسبابا عديدة لتعليل ظاهرة التباين والتنوع والاختلاف بين المؤلفين والباحثين في تقسيماتهم عبر هذه النقاط:

([1]) ينظر: المدرسة القرآنية مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن، محمد باقر الصدر:9.، فصول في أصول التفسير، مساعد بن سليمان الطيار:32 ؛ المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة، محمد علي أسدي :24-28.

اولا: اختلافهم فيما يرتبط بفلسفة العلم، فلعلم المناهج فلسفته التي يرتكز عليها ، و انظار الباحثين مختلفة في الحيثيات التي يتناولون بها حقيقة المنهج ، فمن ارتكزت رؤيته النظرية وقناعاته النفسية عن مفهوم (المنهج) على ان لا واقع له غير تمثّله في اصول وقواعد العلم والكيفية التطبيقية في الكشف والإبانة، فانه اثناء عملية الفحص ودراسة المادة التفسيرية يوجّه نظره نحو المواد الاوليّة التي تكوّن النتاج التفسيري ببركتها*.

والمواد الاوليّة هي العلوم الخادمة وآليات الكشف ووسائل التعبير والإبانة؛ وبنظرة من زاوية أُخرى: هي موضوعات العلوم كعلم اللغة وفروعه وعلم الحديث واصوله ومباحث علوم القران كأسباب النزول والقراءات وعلم المنطق والفلسفة وطرائق وآليات التفكير والبحث: التحليل والمقارنة والاستقراء... وغيرها، التي استمدّ منها المفسر لتأسيس خطته التفسيرية، فيبادر الباحثون والدارسون نحو استعارة اسم العلم او صفة الالية وتوظيفهما في وصف وتسمية (المنهج التفسيري ومنهج المفسر) بتلك التسمية ، مبررين هذا بغلبة مسائل موضوعات علم معين على منهجه التفسيري؟! فمما يُوهم بان المصدر (منهجا)! فيخلط ما بين منهج العلم –مصدر المفسر– والذي هو أحد مواد الخطة التفسيرية، وما بين المنهج التفسيري ** ، وهذا السبب شائع في واقع مدونات مناهج واتجاهات التفسير.

وببيان آخر:

يحاول الدارسون والباحثون في مناهج التفسير والمفسرين من خلال دراسة كتب التفسير الكشف عن المباني والقواعد والأليات والأدوات (مكونات الخطة التفسيرية)، فمثلا يظهر على منتج أحد التفاسير مسائل لعلم اللسانيات (اللغة والصرف والنحو والبلاغة والمستويات الدلالية وغيرها) فيبادر بعضهم –اي الدارسون– الى الحكم على (منهج المفسر) بانه لغويا بيانيا!

ولكن هذا الحكم يُعدّ غير دقيق وغير تام وتقييم غير صحيح، لأنه ليس منهج المفسر وانما هو منهج البحث اللغوي البياني وهو أحد العناصر المشتركة في العملية التفسيرية التي أسهمت في تكوين المادة التفسيرية وبناء المعنى التفسيري! .

(*) المادة التفسيرية هي المضامين والموضوعات التي حصرتها الدكتورة فريدة زمرد بثلاث مكونات: المكون اللغوي، والمكون الاثري، والمكون النظري الاجتهادي، وهذه المكونات تكون حاضرة في مدونات التفسير بصورة متداخلة ومترابطة وانما ميز بينهما لأغراض دراسيّة، وهي مكونات المنهج التفسيري.، ينظر: نحو دراسة علمية لتاريخ التفسير وتطوّره ، فريدة زمرد :18–20.

(**) وسيتضح في الفصل اللاحق ان المصطلح المناسب هو المنهاج وليس المنهج .

ويلجأ معظمهم الى تبرير ذلك الحكم والتوصيف بالغلبة والطغيان و بروز الاهتمام ... الذي ينكشف بالملاحظة، نعم يذهبون الى عدم الاستقلالية إلا انّ التوصيف من باب التسامح كما اشار بعضهم والغلبة – بما مر بيانه! .

وهذا أحد اهم الاسباب في الاشكالية هو الخلط بين (منهج العلم) المعتمد بما هو مصدر يستمد المفسر منه بناء خطته التفسيرية وما بين المنهج التفسيري الذي هو وليد المعرفة النظرية والاجرائية وتجليات فعل المفسر والمتمثل في تعبيره عن المُستَكشف! .

لذا نجد كثيرا من التقسيمات تجعل ما هو من المصادر اقساما للمنهج!؛ فان اشكالية صعوبة التمييز بين ما هو مصدر او ما هو منهج تعتبر من القضايا والمسائل الشائعة في تقسيمات المؤلّفين والباحثين[1] .

ومن ارتكزت الصورة في ذهنه عن (المنهج) بانه طريق وسبيل – له حقيقة موضوعية – يضمُّ في داخل هيئته وكيانه الوسائل والادوات والقواعد والاصول ... فان نظر الدارسون سيكون بحثا عن النماذج والقوالب التي هي اما مبتكرة او تقليدية متوارثة وحينئذ سيقع الخلط مع الاتجاهات بما هي طرق لمسير التفسير شاع استعمالها في ظروف زمانية ومكانية معينة، ويقع الخلط مع الأساليب بما هي طريقة مستلبة من رواد التفسير الاوائل وينسج على منوالهم! .

فان الدارسين في التفاسير سيكون حكمهم وتوصيفهم على (منهج المفسر) بانه يشبه ويحاكي طرق السلف باعتمادها نموذجا في التفسير، او ان المفسر ابتكر طريقا على منوالهم واجتهد ولكن في ضمن الاطر التي رسموها.

ولهذا وقع الخلط فيما بين المناهج والاتجاهات والاساليب من حيثية التقسيم والاقسام.

كمن ذهب الى تقسيم المناهج الى المأثور والراي لم يتردد دون ان يعتبرها اتجاهات!، ومن اعتبر الموضوعي منهجا (طريقا) سار عليه المفسرون لم يتردد بتوصيفه اسلوبا لأنه نسج على منوالهم ولكن دون الخروج عن الإطار العام في ضوابط وشرائط التفسير.

ثانيا: عدم اعتماد ضوابط وشروط القسمة المقررة في علم المنطق، والتساهل في عدم اخضاع عملية التقسيم للأصول الطرائقية في التقسيم المنطقي اما عبر التحليل والتجزئة او الاجتهاد في الاستقراء والتقصي والتتبع وهذا ما جعل بعض التقسيمات تستند الى

([1]) ينظر: اساسيات المنهج والخطاب : 115.

الانتخاب من دون ذكر او تحديد لأساس التقسيم والاعتبار الذي ارتكز نظره عليه[1] ، وكذلك عدم مراعاة الفارق بين التقسيم والتصنيف من ناحية التوصيف لأي عملية تَجَزُّأ بنحو مترادف وهذا غير صحيح[2] .

والاشكالية الاخرى هو اقحام المقسم مع الاقسام او خلط اقسام منهج مع اخر[3] .

ثالثا: عدم مراعاة استعمال كل مفهوم بما يناسب مرحلته، فيستعمل مصطلح (منهج التفسير) لوصف طرق المفسرين –توصيف بعد الوقوع– بينما استعمال لفظ منهج ليحكم به على كيفية ما بعد الشروع هو توصيف لطريق المفسر ومسلكه فلا تنفك عنه بصمة المفسر ولمسته الذاتية – إذا جاز التعبير – فمن غير المنطقي ان يوصف بدون (اشعار واشهار بالنسبة لمفسر معين) وحينئذ يتمكن المتلقي من تمييز المصطلحات وخصوصياتها.

رابعا: قد يعود السبب لطبيعة البحث في المنهج اذ انه «يعتبر موضوعا اشكاليّا في جميع المعارف النظرية وذلك لصعوبة تحديده بدقة وبموضوعية من جهة ولعدم امكانية حسم تعدده او وحدته في تلك المعارف من جهة اخرى»[4] .

وبوصفه اشكاليا اي بالمفهوم الفلسفي الذي تناولتُ دلالته فما سبق اي ان مشكلاته مفتوحة لا يمكن ضبطها بمعالجة قطعيّة وايقاف توالدها.

وهذا السبب وان كان هو اقرب للتبرير من الحقيقة؛ لان التعاطي والتوظيف للمفاهيم التوصيفية والتصنيفية والمعيارية لايزال في جدّته وطوره التصاعدي المتنامي[5] وظهور المشاكل امرا طبيعيا إلا ان الحلول والمعالجات لم تكن تتناسب مع حجم الاشكالية وتأثيرها *.

([1]) ينظر: على سبيل المثال: دروس تمهيديّة في القواعد التفسيرية، علي اكبر السيفي المازندراني،(الحلقة الاولى) 83/1: – 125.

([2]) التفسير والمفسرون، الذهبي: 1/ 147؛ وصف المأثور بالنّوع ؛ ينظر: مناهج تجديد، امين الخولي : 285 – 286.

([3]) ينظر: اساسيات المنهج والخطاب: 109–113 .، وان كان المدلول يختلف الا ان العنوان يوهم بالتشابه

([4]) اساسيات المنهج والخطاب : 11– 12.

([5]) ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: 6.، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: 22/1 .، مناهج التفسير واتجاهاته :33.

(*) ويأمل الباحث ان تكون هذه الدراسة المتواضعة من جملة المبادرات للمعالجة بإذن الله تعالى وتوفيقه.

بعد بيان تلك العلل **نعود الى علل ومبررات الاختلاف**؛ رجّح البعض ان سبب اختلاف المناهج التي يسلكها المفسرون انما اختلفت بسبب اختلاف اتجاهات المفسرين واذواقهم ومواهبهم في العلوم والمعارف ..[1] وبهذا تنوعت التفاسير واختلفت ايضا .

بينما رجّح البعض ان من احد اسباب تنوع التفاسير هو على اساس تنوع واختلاف المنهج[2] .

ويلاحظ الاختلاف بين الرأيين: الراي القائل بان المنهج تابع للاتجاه، والراي الاخر يرى ان المنهج هو اساس التنوع والاختلاف.

ومن ارجع سبب تنوع المناهج والاتجاهات: لعوامل متعددة اعتبرت مؤثرة في نشوء هذا التنوع لكل من المناهج والاتجاهات؛ دون ان يميز بينهما ودون تخصيص للمنهج في مرحلتيه القبلية والبعديّة!

فذُكر «ان لعامل طبيعة القران من حيثية التدرج بنزوله وما تبلور على ذلك من ناسخ ومنسوخ وخاص وعام و... ، والامر القرآني بلزوم الاخذ بسنة النبي باعتباره مفسرا و...، وظهور الفرق والمذاهب والمدارس بعد النبي مما جعل المفسر يعتنق عقيدة ويخالف اخرى و...، والركون للنفس واعتماد الراي و...، ورواج ترجمة الكتب الغير عربية وتأثر المسلمين العرب بفكر اليونان والفرس و...، اختلاف المصادر والادوات التي اعتمدها المفسر و...، والاتجاهات العصرية كتأثر المفسر بحركة اجتماعية اصلاحية و....، وتخصص المفسر وميله الى علم وفن معين...، واسلوب الكتابة عند المفسرين»[3] كلّها عوامل تبرر للاختلاف في تنوع التفاسير واختلاف المناهج وبالتالي نماذج التقسيم .

ان بعض العوامل المذكورة تعد سببا في تنوع وتباين المناهج بمرحلتها القبليّة وهو عامل طبيعة النص القرآني لان المنهجية تُأسس وتنظم في ضوء النص القرآني.

بينما بعد تفسير النص القرآني لا يمكن ان نجعل عامل طبيعة النص هو للمنهج البعدي لان الدارس في التفاسير هو في مرحلة البحث عن النموذج والقالب الذي يعبّر عن طريق المفسر الذي اعتمده في العملية التفسيرية، وهي مرحلة تحليل وفرز وفحص للمواد وتقليب للجزئيات بما هي منفعلة بمسبقات المفسر وادائه الشخصي.

([1]) ينظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، معرفة: 538/2.

([2]) ينظر: منهج فهم القران عند الشهيد الصدر: 303.

([3]) مناهج التفسير واتجاهاته : 22–26 . بتصرف يسير

ومعلوم ان رؤيتنا مختلفة في استكشاف المنهج، وكيفية البحث عنه في بطون المدوّنات، قد لا يتوافق الباحثون والدراسون في التفسير مع المفسر من ناحية أيديولوجية، وربما لم يقفوا على مقصود المفسر ولم ينفذوا الى العمق المعرفي والعلمي في تعبيره فيوّجهون منهجه استنادا على معاييرهم ومتبنياتهم المذهبية والمدرسية وغيرها.

وعامل الاخذ بالسّنة يتعلق بقواعد ومباني واصول المنهج القبلي ايضا فهي من التنوع في الخطة التفسيرية قبل الشروع، وتعتمد السنة كمعيار في تقييم منهج المفسر لما بعد الشروع.

وعامل الفرق والمذاهب والمدارس يتعلق بالتوصيف البعدي فهو عامل في تنوع الاتجاهات لا المناهج؛ لان المنهج في مرحلته البعدية قد اصطبغ بلون الاتجاه العقدي او المدرسي او الكلامي فهو يؤثر على توجيه المنهجيّة بجانبها التطبيقي والاجرائي في المرحلة القبلية ولكنه لا يتجلّى الا بعد اتمام التفسير* .

اما عامل الرأي واثره في تنوع واختلاف المناهج فهو مما يتعلق بالتوصيف البعدي لمناهج المفسرين ويدخل في جملة المعايير التقييمية ويختلف في ضوابطه من باحث لأخر فمثلا ذهب البعض الى ان تفسير الطبري هو من التفسير بالمأثور[1] ، بينما خلط احدهم ما بين عدّه من المأثور أو من الأثري المخلوط بالرأي[2] ، ويذهب بعضهم الى عدّ تفسير الزمخشري من التفاسير المحمودة لولا مذهبه في الاعتزال ولأنه يغلّب آراءهم ويعتمدها فعدّ بعضهم تفسيره من الرأي المذموم، بينما يرى بعضهم تفسيره من الراي المحمود[3].

ان غياب الضابطة الكليّة والاتفاق على معياريتها في تحديد أصناف التفاسير بالراي يكاد يعسر احكام القبضة عليه فيما بين الدارسين وخصوصا إذا كانت المنطلقات مذهبية فرقيّة فان النّقاد سيكون مجالهم رحبا بما لا تكاد تقف فيه على معيار محدد وثابت.

واما عامل رواج ترجمة العلوم غير العربية فهو قد اثّر على كل العمليّة التفسيرية بمرحلتيها البناء المنهجي والتحليل بغية الاستكشاف، فالمفاهيم الوافدة اثّرت في المداليل وطرق البحث والاستدلال بما مرّ بيانه سابقا.

(*) الكلام عن المنهج بناء على ما هو مستعمل عندهم والباحث لا يعتمد مصطلح منهج وانما يذهب الى اعتماد مصطلح منهاج وسياتي بيانه في الفصل الثالث.

([1]) ينظر: التفسير والمفسرون ، الذهبي: 147/1 .، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، هادي معرفة: 738/2 .

([2]) ينظر: مناهج المفسرين من العصر الاول الى العصر الحديث، محمود النقراشي: 70/1؛ 117 .

([3]) ينظر: التفسير والمفسرون ، الذهبي: 306-342.، المبادئ العامة لتفسير القران، الصغير :11-112.

واما عامل اختلاف المصادر والادوات ... اي كل ما يدخل في مكونات بناء المنهج – المنهاج المصطلح المُختار– القبلي فهو لا يتعلق في تنوع واختلاف المناهج البعديّة الا بما اوهم عبر الصورة النمطية حول المناهج كما بينته في السبب الاول؛ لان المنهج البعديّ يخضع لتوصيف دراسة ناتجة عن استقراء الباحثين والدارسين في كتاب التفسير فهم لا يساهمون في إضافة أي معنى او اداة وانما يكشفون عنها، واما تأثير هذا العامل على الاتجاه حسب التوصيف البعديّ قد يكون هناك تأثير بحكم تباين الادوات المذهبيّة والكلاميّة اذا كان المفسر ذا تفكيرٍ مؤدلج.

اما تأثير الاتجاهات العصرية لا يظهر على الا بعد تنفيذ العملية التفسيرية واتمام المفسر كتابه فالدارسون والباحثون يكشفون ذلك بعد اجراء موائمة ومقارنة بين الاتجاهات السائدة والتيارات البارزة في الحقبة العصرية للمفسر فيكشفون عن مدى تأثره بها او لم يكن لها تأثير عليه فهذا العامل يتعلق بالاتجاهات لا بالمنهج القبلي.

اما عامل تخصص المفسر وميله لفن او علم معين فهو كما قلنا من الخلط بين المنهج والمصدر فتوصيف منهج بانه علمي واخر بياني هو توصيف للمصدر كما بينت في السبب الاول ، واما على مبنى القائلين بان التخصص يلون التفسير فهو يعد من الاتجاهات ولا علاقة له بالمنهج[1] .

ومعلوم ان اسلوب الكتابة هو عامل يرتبط بأداء المفسر ويعكس ذوقه في التعبير والعرض ويتجلّى ذلك لقراء التفاسير فيكون اسلوب المفسر بابا الى المحتوى التفسيري فلا يرتبط بالمنهج او الاتجاه.

([1]) وذهب الى هذا الرأي الدكتور محمد حسن الصغير حيث يظهر من عباراته حصول خلط بين تأثير الاتجاهات في تعددها وتنوعها وبين تنوع وتعدد المناهج ، ينظر : المبادئ العامة :90.

المبحث الثاني: نماذج تقسيم الاتجاه وتوظيف اقسامه

تقدم الكلام في الفصل السابق عن مفهوم الاتجاه (الاتجاهات) واتضح ان ثمة معنيان اعتمدا في فهمه: أحدهما المعنى اللغوي والاخر المعنى الاصطلاحي المستعمل في دراسات علم النفس الاجتماعي، وهذا يؤثر على كيفية التقسيم بطبيعة الحال ويوجّه عملية الفرز والتقسيم والتصنيف بما يجعلها مختلفة في نماذجها وغير متكافئة في العدد واسماء الاقسام.

وبالرغم من اختلاف المعنيين الا ان حصول الخلط والتداخل فيما بين اقسام النماذج المختلفة للاتجاهات وما بين اقسام (المنهج والاسلوب) أدّى الى وقوع المتلقي (الدارس والباحث) في اللبس والايهام.

وحتى تتضح الاشكالية في التقسيم وتوظيف الاقسام ستُعرض نماذج في كيفية تقسيم الاتجاهات واصنافها، ويتم فحص كيفية التقسيم من ناحية منهجيتها وسبب اختلاف المؤلفين في النماذج والاقسام ...

ويتوافر هذا المبحث على مطالب:

المطلب الاول: نماذج من تقسيمات الاتجاهات التفسيرية وتصنيفها (عرض ومناقشة):

1- لم يتطرق الشيخ أمين الخولي في كلامه عن التفسير لعدد محدد للاتجاهات بل «هي طرائق من التفسير لعلها مما لا يسهل حصره وتبويبه إذ كانت متأثرة باعتبارات كثيرة ومتعددة»[1] إذ يرى ان هذه الالوان من التفسير -كما يسميها- قد هان فيها امر النقل فوجهت التفسير صناعة علوم اللسان وعلوم نقلية وعقلية توجيهات مختلفة اضافة الى مقاصد واغراض في الحياة العملية والسياسية اشتركت في توجيهه أيضا فتركت كتبا ومناهجا كثيرة اثّرت في مجرى الحياة والثقافة الاسلامية تأثيرا فعالا[2] .

ويرى: عدم صحة دراسة الاتجاهات واحدا واحدا لبيان اثرها في توجيه فهم القران، او أثر اتصالها بالقران في حيال تلك العلوم والفنون نفسها الا بعد ان يكتمل احصاء كل ما امكن

([1]) ينظر: مناهج تجديد، امين الخولي: 286 .

([2]) ينظر: م ن: 286.

من كتب ودراسات في انواع التفسير المختلفة ثم تنسيقها ودراستها في روية واتقان فيهيئ لمثل هذا القول الشامل فيها[1] .

بناء على ذلك يسجل الاستاذ الخولي ملاحظته على ما قام به المستشرق جولدتسهير فيقول: «ولئن كان جولدتسهير في كتابه اتجاهات التفسير تحدث عن تفسير الرواية والاعتقادي والصوفي والتشيعي وتفسير التجديد الحديث فالم بأصول كبرى ينطوي تحتها كثير من طرائق التفسير واتجاهاته فان الى جانب ذلك تفسيرات لغوية ونحوية وادبية وفقهية وتاريخية لعله لا يسهل ادماجها في هذه الاصول»[2] ؛ وهذه الملاحظة مهمة جدا وجديرة بالاهتمام ولم اعثر –فيما اظنّه– من اخذها بعين الاعتبار.

ان الدكتور الخولي لم يرتضِ آلية الادماج تحت تلك الأصول لما يترتب عليها من اختزال لمنهج على حساب آخر فيرى الخولي ان ادماج الجميع في هذه الأصول امرا ليس سهلا اذ يترتب عليه توصيف مبتسر لا يعبر عن تمام الأصل وحقيقته في عدّ تلك الاصول– كما يصفها– اتجاهات ، وما لم يصار الى دراسة شاملة لكل الاثار في هذا الشأن فلن يصح التوصيف الشمولي، بالإضافة الى ان التوصيف غير دقيق في تخصيص الاتجاه بلون من العلوم او الاهتمامات ، لان طغيان لون في نص المفسر لا يعني انفصاله عن باقي المواد الأخرى لنصّ المفسّر كاللغة والنحو والفقه والمنطق و...الى اخره، فتوصيف كتاب مفسر بانه تفسير عقلي واغفال مكون النّقل يعد توصيفا ليس دقيقا بل لا يخلو من تعسّف! بينما نجد في مؤلفات المعاصرين من اعتمد أساس تقسم الاتجاهات بناء على أصناف التفاسير من حيثية غلبة منهج او لون عليها[3] .

فالخولي لا يمانع من ادراج تلك الالوان (كما يصفها) من التفاسير تحت اصول تتمثل بالاتجاهات التفسيرية غير انه يُشكِل على صحة حصرها بعدد معين وادماج في هذه الاصول دون القيام بدراسة جادّة وشاملة تستوعب ما أمكن من التفاسير.

([1]) ينظر: مناهج تجديد: 286، ولابد من تصحيف على ما جاء في الأصل من «حياة» الى «حيال»: (... في [حياة] تلك العلوم والفنون ...) ما بين المعقوفتين الأصوب حيال وليس حياة.

([2]) م ن: 268.

([3]) ينظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، هادي معرفة: 803/2 .، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، الخالدي: 38.، المبادئ العامة في تفسير القران، الصغير: 129.

2- يتناول الدكتور **محمد حسين الذهبي**، الكلام عن الاتجاهات من المرحلة الثالثة (عصور التدوين) في خطوتها الخامسة والتي دُوّنت تفاسيرا فيها قد اختلط الفهم العقلي بالتفسير النقلي وكان ذلك على تدرج ملحوظ [خلاصته]:

- فهم شخصي وترجيح لبعض الاقوال على بعض.
- الفهم كان في حدود اللغة ودلالة الكلمات القرآنية فهو يعد امرا مقبولا.
- استمر هذا الفهم الشخصي في الوسط التفسيري، وتضخّمت المحاولات متأثرة بالمعارف والعلوم والعقائد المختلفة والمتباينة ...
- نتج عن ذلك كتب تفاسير لا تكاد تتصل بالتفسير الا عن بعد.
- ظهور صناعة النحو والصرف من خلال تدوين العلوم اللغوية والنحوية وغيرها.
- تشعب مذاهب الخلاف الفقهي وظهور التعصب للفرق المختلفة.
- انتشار علوم الفلسفة بفعل الترجمة وامتزاجها بالتفسير.
- غلبة الجانب العقلي على الجانب النقلي في التفسير.
- نحى المتقدمين وتبعهم جملة من المتأخرين مناحي مختلفة كأن يقصر تفسيره على المأثور او الاشاري او يوظف أصول مذهبه ... فان كتب التفسير على اختلاف ازمانها تتجه الى ناحية واحدة من نواحي التفسير المختلفة[1] .

نعم لم يصطلح عليها بعد ذلك بالاتجاهات لأنه -على ما يبدو- غير ناظر الى هذا التعبير بِوصفه مصطلحا له خصوصية الوضع. لذا كان تصنيفه للتفاسير بناء على ما اتجه المفسرون المتقدمون اليه وجملة ممن تأثر بهم من المتأخرين؛ وعليه: فان المأثور والراي بكلا قسميه الجائز وغير الجائز وما اندرج تحتهما من تفاسير الفرق المختلفة والتفسير في العصر الحاضر هي اتجاهات في نظر الدكتور الذهبي، فالضابطة على ما يبدو هو التوجه بمعناه اللغوي فمتى ما كان هناك توّجه نحو ناحية في التفسير مهما كان موضوعها او أصلها: لغوي فقهي علمي عقائدي ...، فهي من الاتجاهات والمناحي.

تتقارب رؤية الدكتور الذهبي حول ظهور الاتجاهات مع الشيخ الخولي مع فارق ان الشيخ الخولي يراها متكثّرة ويرى ان حصرها تحت أصل واحد ليحكم عليها بانّها اتجاه يعد امرا ليس سهلا؛ مالم يكن ذلك عن دراسة شاملة ومتأنيّة. بينما الدكتور الذهبي لم يشر

([1]) ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي : 1/108-111.

الى ذلك بل بادر الى تقديم كشفا نقديّا عن كثير من التفاسير التي حاكمها استنادا الى معاييره المذهبية والكلامية فحكم على جملة منها بانها تفاسير ذات اتجاه منحرف! *

وتناول دراسة التفاسير في العصر الحديث تحت عنوان (ألوان التفسير في العصر الحديث) اذ أدرج جملة من التفاسير التي تقارب محتواها التفسيري تحت أصل او موضوع او تخصص علمي معين فاجملها في أربعة ألوان مهمّة وهي: « أولاً: اللّون العلمي. ثانياً: اللّون المذهبي. ثالثاً: اللّون الإلحادي. رابعاً: اللّون الأدبي الاجتماعي»[1] ويبدو انّ المؤلف وظّف مصطلح اللون في وصف تنوع التفاسير والمناحي المتعددة للمفسرين –كما يصفها– فأساس القسمة يكون ما تلونت به التفاسير من المنقول او المعقول وما استجدّ من موضوعات تأثر المفسرون في تأليفها بتطورات العصر والحداثة.

3– قسم الدكتور **عبد المجيد عبد السلام المحتسب**، الاتجاهات بلحاظ العصر الحديث لغرض تمييز الاصيل من ذاك الذي طرأ على بعضها الانحراف، وهي:

الاتجاه السلفي في التفسير؛ واتجاه عقلي توفيقي يوفق بين الاسلام وبين الحضارة الغربية؛ والاتجاه العلمي في التفسير[2] والتقسيم يصنف التفاسير بناء على الاصالة والحداثة واثر تداخل الثقافات على المنتج التفسيري وتقييم محتواه من حيثية الانحراف من عدمه ، ويبدو ان المؤلف تناول موضوع الاتجاهات في التفسير من نّاحية اجتماعية وسياسية لعدد من التفاسير والمفكّرين المعينين دون ايغال في علم التفسير ودون إحصائية شاملة وتوسع في تناول الفرق والمذاهب بما يتناسب مع عنوان الكتاب .

4– قسّم الدكتور **عفت محمد الشرقاوي**، اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث الى: الاتجاه الاجتماعي في التفسير الحديث، والاتجاه الأدبي في التفسير الحديث

(*) لا يرغب الباحث ان يدخل في الجانب النّقدي ويوجّه عتبه الى الدكتور الذهبي وغيره ممن جاء ذكرهم في هذا البحث من الاساتذة والباحثين – رحم الله الماضين منهم – حيث نالوا من بعض الفرق الاسلامية كالشيعة والمعتزلة ... ووسموا تفاسيرهم بالكفر والانحراف بناءً على قناعاتهم المذهبية . وهكذا احكام تعد تعسفيّة وبعيدة عن الانصاف والحياد العلمي، وتدخل في دائرة التسقيط والاستفزاز التي تجعل المؤلف في زاوية المتعصبين والمتحاملين.

([1]) التفسير والمفسرون :2/ 364.

([2]) اتجاهات التفسير في العصر الراهن: 4.

، والاتجاه العلمي في التفسير الحديث[1]. ويبدو ان المؤلّف اعتمد على التقصّي والاحصاء في البحث عن الاتجاهات ضمن حدود بلد مصر وضمن نطاق زمني محدد وهو العصر الحديث، فمنطلق تحديد (الاتجاهات) ارتكز على دراسة مسير التفاسير ومصيرها على بساط زمان محدد ومكان معين هما العصر الحديث في بلد مصر، صنّف التفاسير في ضوء الأقسام التي انتخبها وربما لو بحث غيره من المنطلقات نفسها لظهر لهم اتجاهات اخرى.

5- وقسم الدكتور **محمد ابراهيم شريف،** (الاتجاهات) استنادا لحركة التجديد للتفسير في مصر في القرن العشرين الى: الاتجاه الهدائي ، الاتجاه الادبي ، الاتجاه العلمي[2] .

ويبدو ان التقسيم المعتمد يقرب من تقسيم الدكتور الشرقاوي السابق فكليهما تناولا الاتجاهات في العصر الحديث من القرن العشرين في (مصر) غير ان الدكتور شريف تناول التفاسير في إطار المعاصرة والتجديد وأثر القضايا الحادثة على المفسرين.

6- قسم الدكتور **فهد بن عبد الرحمن الرُّومي،** الاتجاهات بعدّها مناهج التفسير في القرن الرابع عشر الى:

- الاتجاه العقائدي وأدرج تحته: منهج اهل السنة، ومنهج الشيعة، ومنهج الاباضية، ومنهج الصوفية.
- الاتجاهات العلمية في التفسير وأدرج تحتها: المنهج الفقهي، والمنهج الاثري، والمنهج العلمي التجريبي، وافرد لمنهج المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة في التفسير.
- الاتجاه الادبي وفيه: المنهج البياني، ومنهج التذوق الادبي.
- الاتجاهات المنحرفة في التفسير وهي: المنهج الالحادي، ومنهج القاصرين، واللون اللامنهجي[3] .

([1]) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: فهد بن عبدالرحمن الرومي : 12/1، اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث، عفت محمد الشرقاوي ، واقدم المؤلف بعد ذلك الى تغيير عنوان كتابه الى "الفكر الديني في مواجهة العصر".

([2]) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: فهد بن عبدالرحمن الرومي : 1/ 12، اتجاهات التجديد في تفسير القران الكريم في مصر في القرن العشرين ، محمد ابراهيم شريف .

([3]) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: فهد بن عبدالرحمن الرومي: 49/1 ؛ 414/2 ؛ 861/3؛ 1063/3.

يعرف الدكتور الرومي الاتجاه بانه الهدف الذي يقصده المفسر. ، ولكن ما اصطلح عليه بـ(الاتجاهات المنحرفة) هل يعدّ هدفا يقصده المفسر؟!

يبدو ان الاصطلاح الذي اعتمده في تحديد المفهوم لم يكن جامعا لأفراده او منطبقا على ما ذكره من مصاديق! فلا يُعقل ان أحدا يضع (الانحراف) او (الالحاد) هدفا تفسيريا او منهجا له! .

ومن ناحية أخرى: توظيف اسم المذهب والفرقة لتوصيف المنهج التفسيري يعد مسامحة لانّ ادماج كل طوائف ومذاهب الفرقة الواحدة ودمج طرائقهم تحت العنوان العام دون مراعاة الاختلاف والدقّة في التوظيف ومن دون مراعاة الخصوصية لكل طائفة واصحاب مبنى في التوصيف.

فالشيعة مثلا: فيهم طوائف عديدة ويختلفون في المباني العقدية والفروع الفقهية فكيف ساغ توصيف المنهج التفسيري باسم الشيعة مطلقا!؟ ولهذا حاول المؤلف ان يتلافى هذه الاشكالية ففصّل الكلام عن طوائف الشيعة كالأمامية والاسماعيلية والزيدية و... ولكن الاشكال بقي على ما هو عليه لبقاء العنوان والاضافة «منهج الشيعة في تفسير القران الكريم»[1] فيترك انطباعا لدى المتلقي بانّ الشيعة قاطبة على اتفاق في تفسيرهم لكتاب الله العزيز، وكذلك الحال فيما تطرق اليه من منهج السنة وغيرهم .

ويلاحظ على النموذج التصنيفي لقسم الاتجاه العلمي: ادراج المأثور من جملة العلمي! ولم يُبيّن المؤلف قصده من عدّ المنهج الاثري – كما يصنفه– اتجاها علميا بل لم يبين قصده من الاتجاه العلمي ويتناوله بالتعريف والتوصيف!

والأشكال الاخر: تسمية أحد أصناف قسم الاتجاه العلمي بالمنهج العلمي التجريبي مما يؤدي الى اللبس والايهام من حيثية ادراج لفظ المَقسم من جملة الاقسام.

7- ذكر مؤلّفا (مناهج المفسرين : مساعد مسلم و محي هلال) طبيعة التفكير الديني ما بين التشدد في النقل ومرونة اعتماد العقل في ظهور مدرستي الاثر والراي ، اذ صارا اتجاهين يعبران عن نمط تفكير المفسرين في اعتماد المنقول والمعقول، فتكون الاتجاهات

([1]) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: 183/1 ، ومما ينبغي تسجيله على المؤلف هو حكمه على مناهج تفسير فرق الشيعة بناء على مذهبه وفرقته فوصف منهج الامامية الاثنا عشرية بالانحراف والسقوط: 250/1–252؛ وهو حكم نابع عن تعصب وعدم التزام الموضوعية والحياد.

محصورة فيما بين الاثر والرأي[1] مع فارق الاختلاف في الدرجات بين متشدد في الالتزام بالنصّ المأثور والتعبّد بدلالته دون اي إعمال بأدوات العقل والعلم في دلالته، وما بين مَرن يجيز لنفسه تفسر النص القرآني بناء على نوع الوسائل والادوات العصرية – فلكل عصر وزمان ظروفه ووسائله التي يفهم من خلالها معارف الدين– والجمود على التراث يقيد ويحجم من دور العقل في فهم الحياة والدين في ظل المتغيرات الكثيرة ومنها وسائل النظر والمعرفة . فالاتجاهات التفسيرية هي: الاثر والرأي وبين هذين الاتجاهين درجات كثيرة فيها التعصب والتمسك المعقول وفيها التساهل المقبول والتأويل المستساغ[2].

اذن تصنّف التفاسير بناء على المباني الفكرية التي يؤسس عليها المفسر منهاجه في التعامل مع النص القرآني ولكن لم يتطرق المؤلفان الى الضابطة العلمية التي تعتمد في الكشف عن الاتجاه فان التشدد والمرونة معنيان فيهما اطلاق وتعميم وما لم تحدد ضابطة في القياس سيكون من الصعب الحكم على اتجاه المفسر بالتشدد او المرونة إلا اللهم يقال ان التمسك بالمأثور دون اي ابداء اي رأي هو المقياس فكل تفسير اعتمد المأثور هو نابع عن التشدد فيكون اتجاهه المأثور وهذا في مدونات المتقدمين دون المتأخرين لاعتمادهم المنقول والمأثور في الاعم الاغلب.

8– لم يستعمل الدكتور **محمود النقراشي السيد علي**، مصطلح الاتجاهات لوصف ما أدرجه من اقسام في التفسير. ويذهب الى انها نشأت نتيجة اختلاط الفهم العقلي بالتفسير النقلي ، وتأثر المفسرون بالمعارف المختلفة والعلوم المتنوعة والآراء المتشعبة والعقائد المتباينة فان كل من برع في فن يكاد يقصر تفسيره على ما لديه من معارف وفيما اجاد من فن[3] ، ثم يشرع بذكر التخصصات : النحوي ، العقدي ، الفقيه ، المؤرخ، الصوفي ،البدعي ، الاجتماعي ، الكوني (التفسير العلمي)[4] ، ووصف بعضها بـ(اللون) ومعلوم : ان هذا المفهوم يُعدّ احد اسرة مفاهيم (الاتجاه) الذي يشير اليه ويدل عليه، فاللافت للنظر انه لم يصف ذلك التنوع بالاتجاهات ؟!

([1]) ينظر: مناهج المفسرين، مسلم مساعد ال جعفر ومحي هلال: 30–32.

([2]) ينظر : م ن : 30 .

([3]) ينظر: مناهج المفسرين من العصر الاول الى العصر الحديث، محمود النقراشي: 38. ويبدو انه تبع الذهبي بهذا.

([4]) م ن: 38–42.

9- لم يكن الشيخ **محمد هادي معرفة** واضحا في تشخيص الاتجاهات وانما اعتبرها (انواعا) للتفسير الاجتهادي ، فيذهب الى تنوعه حسب مواهب المفسرين وقدراتهم العلمية والادبية ومعطياتهم في العلوم والمعارف اذ كل صاحب فن وعلم انما يجعل صناعته العلمية وسيلة لفهم القرآن ، فصاحب الادب الرفيع انما يفوق غيره في براعته الأدبية في التفسير وهكذا صاحب الفلسفة والكلام والفقه واللغة والعلوم الطبيعية والرياضيات والافلاك ... اذا خاض التفسير من جهة صناعته ومن زاوية اختصاصه[1] .

لذا يذهب بعد ذلك الى ما ملخصّه: نستطيع ان ننوع (ألوان التفسير) الى: أدبي ولغوي، كلامي وفلسفي وعرفاني، اجتماعي وعلمي، وجامع بين أمرين او أمور من ذلك، ليكون من (النوع الجامع)، الذي يغلب أكثر التفاسير. وليس معنى ذلك أن الأديب يتمحض تفسيره في الأدب واللغة محضاً او الفقيه في الفقه محضاً ، وكذا المتكلم والفيلسوف والعارف وغيرهم ، بل إنما يغلب على تفسير الأديب صياغته الادبية ، وعلى تفسير الفقيه صياغته الفقهية ، وهكذا وان كان لا يخلو سائر (انواع التفسير) مما كان في بعضها من اختصاص ... وعليه فينقسم (التفسير الاجتهادي) الى: ادبي ، وفقهي ، وكلامي، وفلسفي، وعرفاني رمزي، وصوفي اشاري، واجتماعي، وعلمي ، وجامع[2] .

اصطلح على ألوان التفسير (الادبي والفقهي وغيرهما) بانّها (أنواع التفسير) وليس بـ(الاتجاهات) وهو خلاف الاصطلاح الشائع والرائج؛ لما اتضح من ان لفظ اللون يدل على الاتجاه ويشير اليه.

ولم يتضح مراده؛ هل التفسير الاجتهادي ينقسم الى ألوان او ان الأنواع التفسيرية تنقسم الى الألوان؟ او يعتبرهما مترادفين؟!

10- قسم الدكتور **محمد لطفي الصباغ**، الاتجاهات الى:

«الاتجاه اللغوي، والتفسير بالأثر، والتفسير بالرأي، والتفسير العلمي، والتفسير الاصلاحي الموضوعي والاشاري والفقهي»[3] ... .

ولم يشير المؤلف الى اساس القسمة الذي اعتمده، غير انّه حينما تناول اتجاه التفسير بالمأثور و بالراي كان منطلق التقسيم وجود مدرستين عرفتا منذ وقت مبكر احدهما تعتمد

([1]) ينظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة : 803/2.

([2]) م ن :803/2 .

([3]) لمحات في علوم القران واتجاهات التفسير، محمد بن لطفي الصباغ: 217.

المأثور والأخرى الرأي[1] فيُستظهر من كلامه ان أساس تقسيم الاتجاهات الى تلك الأقسام هو مدرسي ، فبلحاظ مدرسة المأثور ومدرسة الراي اختلف محتوى التفاسير الى ذلك .

11- تناول الدكتور **صلاح عبد الفتاح الخالدي**، قسمة (الاتجاهات) بلحاظ مراحل سير التفسير من التأسيس الى التجديد[2] .

ففي مرحلة التأسيس يقول الدكتور الخالدي: برز في مرحلة التأسيس اتجاهان واضحان بارزان في التفسير: الاول: اتجاه التفسير بالمأثور ، الثاني : الاتجاه اللغوي البياني[3] .

وفي مرحلة التفريع التي تعقب مرحلة التأصيل؛ قال:

استمرت هذه المرحلة قرونا عديدة من القرن الرابع حتى نهاية القرن الثالث عشر؛ فظهرت فيها العديد من اتجاهات التفسير المُفَرّع على اساس (المنهج الغالب) فمن أشهرها: -

1- التفسير بالمأثور.

2- التفسير البياني.

3- التفسير العقلي.

4- التفسير الفقهي.

5- التفسير القريب من المنهج الجامع [4] .

ويقسم (الاتجاهات) على أساس:

1- العصر الحديث الذي «يبدأ منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي او بداية القرن العشرين»[5]

2- المدارس الفكرية الاسلامية الحديثة التي انطلقت من تفسير القران في اصلاح المجتمع، وأشهرها مدرستان:

الاولى: مدرسة الشيخ محمد عبده ، **الثانية** : مدرسة الاخوان المسلمين[6] .

([1]) ينظر: لمحات في علوم القران واتجاهات التفسير: 260.

([2]) ينظر: تعريف الدارسين بمناج المفسرين: 35.

([3]) ينظر: م ن: 38.

([4]) ينظر: م ن : 43-44 ، و يقصد بالمنهج الجامع هو ما ذهب المؤلف اليه من اعتبار وجود منهج يجمع بين اللغة والاثر والاستنباط ويتمثّل ذلك في تفسير الطبري الذي يعدّه رائدا فيه ، ينظر : ص 40 .

([5]) م ن: 561.

([6]) م ن: 563-564.

ويمكن التعبير عن هذين الاساسين بتعبيرٍ اخر يذهب اليه الدكتور الخالدي وهو ان (الاتجاهات المعاصرة) ظهرت على اساس «حرص المفسرين على اصلاح احوال المجتمع على اساس القران والوقوف امام الافكار والمذاهب الجاهلية الغازية على اساس القران»[1] والاتجاهات هي :

1- الاتجاه الاثري.

2- الاتجاه العقلي.

3- الاتجاه العلمي.

4- الاتجاه الاجتماعي.

5- الاتجاه البياني.

6- الاتجاه الدعوي الحركي[2] .

يبدو ان أساس القسمة هو استقراء التفاسير ومحتواها في ضوء المسار التاريخي لحركة التفسير والتطورات التي صحبته، ودور المفسرين ودوافعهم من وراء تدوين تفاسيرهم ... لذا يعتبر المؤلف بان الاتجاهات تفرعت عن أصلين ظهرا في مرحلة التأسيس هما (الأثري والبياني)، وعليه فان الاتجاهات من ناحية موضوعاتها وعددها تخضع لمتغيرات المرحلة الزمنية وما فيها من تطورات ثقافية وفكرية تُلقي بتأثيراتها على فهم المفسر وادائه وبيانه لآيات القران الكريم.

نماذج التقسيم التي عرضها المؤلف توافرت على توظيف منهج العلم والفن في أقسام اتجاهات التفسير، بناء على ما يذهب اليه المؤلف من غلبة منهج على آخر، ويعتمد فكرة التفريع أيضا. وهو توصيف غير دقيق للمنتجات التفسيرية وكان الأولى ان يصفها بالبحوث التفسيرية لا بالتفسير.

12- قَسّم **الدكتور ابراهيم عوض،** (الاتجاهات) من دون ان يذكر اساس التقسيم او الاعتبار الذي ينطلق منه: 1- التفسير بالمأثور؛ 2- التفسير الشيعي ؛3- التفسير الصوفي ؛ 4- التفسير الاعتزالي؛ 5- التفسير الخوارجي؛ 6- التفسير العلمي؛ 7- التفسير النفسي؛ 8- التفسير التربوي؛ 9- التفسير غير الاسلامي[3] .

([1]) تعريف الدارسين بمناج المفسرين: 565.

([2]) ينظر: م ن: 564-568.

([3]) مسير التفسير – الضوابط والمناهج والاتجاهات، ابراهيم عوض: 300-644.

ويبدو انها قسمة استقرائية [1] بحسب ما يظهر من عنوان المؤلف بانه مسير التفسير منذ ظهوره الى حين عصر المؤلّف، و لم يلحظ لهذه الاقسام اساس يجمعها ، كما انّ حصرها في هذا العدد يوحي الى الشموليّة في التقصي وهو امر لم يفصح عنه المؤلّف فيبقى باعث الانتخاب مبهما!

13- تناول الباحث **محمد مصطفوي**، (الاتجاهات) من زوايا متنوعة؛ فمرة يقسم التفسير بالمأثور (المنهج النقلي) الى : الاتجاه الروائي الصلب ، والاتجاه الروائي المرن[2] .

ومرة اخرى يقسم (المنهج اللغوي) الى الاتجاهات الاتية:

- الاتجاه اللغوي البَحْت الاتجاه البياني (البلاغة القرآنية).
- الاتجاه التعبيري (اساليب البيان في القران).
- الاتجاه البنائي الفني (عمارة السورة القرآنية)[3] .

ثم يُدرج اتجاهات عديدة تحت (المنهج العقلي) بعد ان يقسّمه الى:

الفلسفي، الكلامي الجدلي، الاستنباطي، ... الى آخره.

ثم يدرج تحت تلك الاقسام اتجاهات المفسرين:

الاتجاه الكلامي، الاتجاه الفلسفي، الاتجاه الاجتماعي، الاتجاه الحركي، الاتجاه المقاصدي[4] .

وبالعودة الى تعريف المؤلف عن الاتجاهات وفرقها عن المناهج يذهب الى ان الاتجاه التفسيري «هو الموقف الذي يكوّنه المفسر في ظل واقع معين سواء كان ذلك واقعا اجتماعيا او سياسيا او ثقافيا او مذهبيا او غيرها ، وفي الحقيقة فان الاتجاه لا يعبر عن موقف معرفي بقدر ما يعكس موقفا ايديولوجيا ذلك الموقف الذي تمليه على المفسر العوامل الاجتماعية والثقافية والمذهبية ونزعة مدرسية او حب او كره...»[5] يبدو ان المؤلف لم يلتزم في حدود المفهوم الذي يذهب اليه . ولو قمنا بفرز الاقسام استنادا الى ما ذهب اليه من تعريف فأنها تكون:

([1]) الاستقرائية: وهي التي لا يمنع العقل من فرض قسم آخر لها، وإنما تذكر الأقسام الواقعة التي علمت بالاستقراء والتتبع. : المنطق، المظفر: 120/1.

([2]) ينظر: اساسيات المنهج والخطاب، محمد مصطفوي: 48.

([3]) م ن: 86.

([4]) م ن : 137-213.

([5]) ينظر المبحث الثاني ، المطلب الاول ؛ من الفصل الاول، من هذه الرسالة.

الاتجاه الروائي الصلب؛ والاتجاه الروائي المرن؛ الاتجاه الكلامي؛ الاتجاه الاجتماعي؛ الاتجاه الحركي.

اما الاقسام الاخرى (اللغوي والتعبيري والبنائي والفلسفي وغيرها) فهي ادوات تدخل في منهاج المفسر في الكشف والإبانة –التفسير– ولم يعدّها من (عناصر الواقع –على ما اورده في قيود التعريف) إلا اللهم يعتبرها مصداقا لما ذكره من قيود (الثقافة والمذهب والنزعة...) وحينئذ لا يمكن عدّه (موقفا) وانما غلبة الاهتمام والميل للتخصص، ولا يخفى ان ما وصفه بـ(الاتجاه التعبيري) هو يقرب من (الأسلوب) وما وصفه بـ(الاتجاه البنائي) يخالف من عدّه منهجا.

ويلاحظ عليه ايضا: انّه لم يراعِ استعمال المصطلحات في العرف التخصصي في تداول الاصطلاحات في المناهج التفسيرية وانما انفرد في الاصطلاح وانفرد في التعبير كما في الاتجاه الصلب والمرن.

14– قسّم الدكتور **فضل عباس حسن**، (الاتجاهات) استنادا الى تتبع حركة التفسير في العصر الحديث؛ مُحددا بدايته من نهاية القرن التاسع عشر الميلادي اذ ظهر تفسير الشيخ محمد عبده[1] ، والاتجاهات هي:

الاتجاه البياني، الاتجاه الفقهي، الاتجاه العقدي، الاتجاه العلمي، الاتجاه الموضوعي، التفسيرات المنحرفة[2] .

والتقسيم نتيجة تتبع وتقصي المؤلف للتفاسير في الفترة المذكورة، ونموذجه في التقسيم قارب وشابه نماذج أولئك الذين وظّفوا مناهج العلوم والفنون واليات التفكير والبحث في جعلها اتجاهات للتفسير وهو توصيف غير دقيق لحقيقة الاتجاه ما لم يكن ذلك يتطابق مع حقيقة علم التفسير الدلالية ويحقق فعلا غايته.

15– قَسم الدكتور **محمد علي الرضائي** (الاتجاهات التفسيرية) الى اقسام فرعية على اساس:

– المذاهب الإسلامية وعقائدهم التي يؤمنون بها الى: الاسماعيلية، الاثني عشرية ... و(وصف اتجاهاتهم) بالأسلوب؛ وبالمذهب في التفسير!؟

([1]) ينظر: التفسير والمفسرون – اساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث (التفسير– اساسياته واتجاهه) :1/253–254.

([2]) ينظر: م ن: 1/397.

– المدارس التفسيرية والميول الفكرية والكلامية الى: تفسير المعتزلة، الأشاعرة، ...
– على أساس الألوان الى: اللون الادبي، واللون الفقهي، الاجتماعي، ...
– الاتجاهات العصرية نتيجة الظروف المحيطة بالمفسر الى: التفسير المعنوي والتربوي، التفسير الجهادي، التفسير التقريبي، التفسير السياسي.
– أساليب الكتابة عند المفسرين وطرق الكتابة: التفسير الترتيبي، التفسير الموضوعي، التفسير: (المختصر؛ المتوسط ؛ الجامع)، التفسير الجامع وغير الجامع، التفسير المزجي[1].

ونموذج التقسيم تضمن على ما ينسجم مع مفهوم الاتجاه باصطلاح علم النفس الاجتماعي إلا أنّه لا يخلو من مناقشة:

يبدو اعتبار لفظ (مذهب) الذي ذُكرت مصاديقه: الإسماعيلية والاثنا عشرية ...، مذهبا تفسيريا لا يخلو من الايهام بـ(الاشتراك) وتسامح في الاستعمال! ، فان كان المقصود الاشتراك فانه لا يخلو من اشكال؛ لان ثمة فرق بين المذهب التفسيري والمذهب في الاصطلاح الفقهي والفكري وتوصيف التفسير بانه تفسير شيعي او اسماعيلي مثلا توصيف بلحاظ مذهب المفسر لأنه ينطلق من الاصول والمباني لمذهبه لا ان هناك مذهب تفسير اسماعيلي او مذهب تفسير امامي! والاقرب ان يقال اتجاه المفسر اسماعيلي وليس مذهبا تفسيريا، وعدّ الاتجاه أسلوبا ووصفه بالمذهب في ذات الصفحة وهو من أبرز صور الخلط والتوظيف المربك.

ويُلاحظ على تقسيمه للمدارس التفسيرية هو ادراج اسماء الفرق الكلامية تحت مصطلح المدارس التفسيرية! بينما اصطلاح المدارس التفسيرية اول ما وضع حسب التقسيم المتداول: مدرسة مكة والبصرة والكوفة ... ، على ما ذكره الذهبي ومن تبعه من المؤلفين، إضافة الى ما طُرح من تقسيم عن المدارس كـ: مدرسة المأثور، ومدرسة الراي او العقلية ...، وتقسيما اخر بلحاظ التجديد كالمدرسة الاصلاحية والاجتماعية ...، فكيف صحّ وصف المدارس بأسماء الفرق؟! إلا ان يُقال ان المقصود من المدرسة ما يكون مرادفا للمبنى الكلامي والنظريات الفكريّة لمذهب معين فحينئذ يقال: ما هو فرقه عن سابقه (المذاهب)؟! فهذا يعد خلط واقحام واضح يؤدي الى اللبس والايهام.

([1]) ينظر: مناهج التفسير واتجاهاته:29–32.

ويرد عليه ايضا: انه ذكر (الاتجاهات العصرية) من جملة اقسام (الاتجاهات)؟! وهذا يتنافى مع اصول القسمة المنطقية بان لا يصح جعل قسم الشي قسيما له ولا جعل قسيم الشي قسما منه[1] وكان الاولى اختيار مصطلح اخر كالثقافة العصرية مثلا.

ويلاحظ عليه ايضا: ادراج الاساليب من جملة اقسام الاتجاهات؟! وعليه يكون التفسير الموضوعي والترتيبي؛ اتجاها واسلوبا وهذا توظيف واقحام وخلط بين المفاهيم والاقسام.

وربما يقال: ان المفاهيم والاصطلاحات المذكورة ليست اقساما وانما هي مصاديق لمفهوم الاتجاهات او تمثّلاته! وفرق بين القسمة وتشخيص المصداق؟!

وجوابه: تبقى الإشكالات ذاتها على منصة المناقشة حتى وان لم تكن تقسيما؛ لان مصاديق المفهوم قد تتنوع من حيثية اختلاف الخصائص ومن حيثية التواطئي والتشكيك.

16- وقسم الدكتور **مساعد بن سليمان الطيار** (الاتجاهات) استنادا الى اعتبارات متنوعة:

فباعتبار (المذهب العقدي) للمفسر؛ الى:

الاتجاه السلفي: كتفسير ابن جرير الطبري...

والاتجاه الاعتزالي: كتفسير الزمخشري ...

والاتجاه الاشعري: كتفسير الرازي ...

وباعتبار (العلم الذي غلب على التفسير)؛ الى:

الاتجاه اللغوي ككتاب معاني القران للفراء...

والاتجاه النحوي: ككتاب اعراب القران للنحاس...

والاتجاه البلاغي: ككتاب الكشاف للزمخشري ... [2] .

ان توصيف ما يبرز على التفاسير بانه وجهة المفسر ومقصده(هدفه) لا يخلو من احتمالين:

الأول: تصريح المفسر في مقدمة تفسيره او في ثناياه بانه انتخب هذه الوِجهة والمقصد.

الثاني: بالملاحظة والفحص اكتشفت الجهة البارزة في كتاب التفسير من دون تصريح من المفسر نفسه.

([1]) ينظر: المنطق ، المظفر : 113/1.

([2]) ينظر: فصول في اصول التفسير، مساعد بن سليمان الطيار: 21.

على الاحتمال الاول لاريب بصحة القطع بان الهدف هو تعبير عن اتجاه المفسر بناء على مبنى من يذهب الى عدّ الهدف هو الاتجاه.

لكن على الاحتمال الثاني لا يصح القطع بان ما ظهر للمتلقي (الدارس في التفاسير) بانه هدف مطلوب للمفسر وانما هو سمة وصفة غالبة تلوّن بها كتاب المفسر ولكن ليس بالضرورة تكون هدفا ومقصدا للمفسر.

بعد عرض ومناقشة جملة من التقسيمات لابد من البحث في أسباب اختلافهم فيها وهذا ما سيتم تناوله في المطلب التالي.

المطلب الثاني: اسباب اختلاف المؤلفين والباحثين في التقسيم:

تقدّم في المطلب الأول استعراض جملة من نماذج تقسيم الاتجاهات في التفسير وكان بينها بعض المشتركات ولكنها مختلفة في حيثيات متنوعة؛ فمن حيث الاساسات والاعتبارات ومن حيث زوايا النّظر ومن حيث آليّة التقسيم وعدد الاقسام، وهذا الاختلاف له اسبابه وعلله. ومن اهمّ اسبابه:

الأول: اختلافهم في استعمال المدلول : تقدّم في الفصل السّابق انه أُعتُمِد في استعمال لفظ الاتجاه معنيان: المدلول اللغوي، والمدلول الاصطلاحي في علم النفس الاجتماعي.

وعليه يكون تفصيله كالاتي :

أ- فمن انطلق في تقسيمه اعتمادا على المدلول اللغوي ؛ فالاتجاه عنده تعبير عن الهدف الذي يقصده ويتوجه نحوه المفسر*.

وتتمثّل الاهداف بموضوعات مختلفة اما تكون معارف قرآنية او فنون وعلوم او قضايا عقدية واجتماعية وفكريّة معاصرة وغيرها يتجه المفسر نحوها[1].

فعلى سبيل المثال: ذهب الدكتور الرّومي الى عدّ (الاتجاه) هدفا يتوجّه اليه المفسر، واستعرض الاتجاهات في فترة محددة وهي القرن الرابع عشر الهجري ضمن نموذج توافر على هذه الأقسام: (العقائدية، العلمية، الادبية، المنحرفة) فالعقائد يُمثل علم الكلام

(*) ويبدو ان تخيّل الاتجاه مُمَثّلا بنقطة تقع في نهاية طريق السالك الذي يتوجه نحوها ، أُنتزع ليعتمد في طرح رؤية عن مفهوم الاتجاه والمنهج ، فالمفسر يسلك طريقا- المنهج- يؤدي به الهدف المقصود وهو «الاتجاه» .

([1]) ينظر: دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني ، احمد جمال العمري(القاهرة : مطبعة المدني ، الناشر : مكتبة الخانجي ، ط1 :1406هـ-1986م): 20-21.

الإسلامي، والعلمية: أدرج تحته علم الفقه والتجريبي ... وهذه فنون وعلوم وظّفها في التفسير واعتبرها منهج تفسيريا.

ولا يخلو ما ذهب اليه الدكتور الرومي من مناقشة بناءً على رؤيته حول مفهومي الاتجاه والمنهج – التي تبعه فيها بعض المؤلفين– فهل الهدف من ناحية منهجيّة نقطة تُحَدّد قبل الشروع في العملية التفسيرية او هو توصيف لما قصده وتوجه نحوه المفسر يكتشف بعد دراسة كتابه التفسيري؟

ويبدو ان ثمة خلط بين مفهومي (مقاصد الخطاب) و(مقاصد المفسر) ان وصف ما يغلب على تفسير المفسر من صفات وسمات وخصائص ومميزات تُحَدَّد عِبر آلية الاستقراء والفحص والتقصّي بانّها (اهداف) حدّدها المفسر في رتبة سابقة عن تدوينه لتفسيره، فهذا مما لا يمكن الجزم به ما لم يصرّح المفسر بذلك!

لانّ نسبة ذلك الى المفسر دون تصريح يعدّ (حكما اجتهاديا) من دارسي تفسيره، ولذا قد يظهر لدارس اخر ان هدف المفسر غير ما ذكر، وهكذا تتباين وجهات النّظر في تحديد هدف المفسر الواحد[1] .

اما مقاصد الخطاب القرآني هي أهداف دلالية يتوافر عليها الكلام الالهي يتناولها المفسر بالبحث والاستنباط[2] وحسب مستواه الفكري والأدوات والاليات التي تضمنتها خطته التفسيرية (منهاجه) .

فان ظهر على تفسيره تفصيل واسترسال في أحد مقاصد الخطاب القرآني دون اخر فانّ هذا يكشف عن ميل المفسر واهتماماته بذلك الغرض والمقصد، وتختلف دواعي الاهتمام بين مفسر واخر دون وجود ضابط محدد.

وهذا ما جعل البعض – بناء على هذا المبنى– يرى بان قائمة الاتجاهات مفتوحة غير محّددة بأقسام ثابتة ومن حق الدارسين عدّ اي موضوع او فكرة تغلب على تفسير المفسر هدفا وبالتالي يكون (اتجاها).

([1]) وكنموذج مختَلف فيه هو تفسير الفخر الرازي "مفاتيح الغيب" حيث قيل ان اتجاهه عقلي وفلسفي وكلامي وعلمي.، ينظر: اتجاهات في التجديد ، الخولي: 298 ؛ التفسير والمفسرون، الذهبي : 1/205–210.

([2]) ينظر: مقاصد الخطاب القرآني بين المفسرين والتداوليين، نارت محمد خير يحيى قاخون (الجامعة لأردنية ، كلية الدراسات العليا / اب 2009م رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها): 152– 199 .

فما لم يُصار الى احصاء شمولي ودقيق لكل المؤلفات التفسيرية وتدرس دراسة فاحصة ومقارَنة، فان الحكم عليها- من دون ذلك- سيبقى جهدا مبتسرا لا يعبِّر عن استقصاء شامل وتام وانما اجتهاد في حدود معطيات ناقصة برؤية فردية.

ب- واما من انطلق في التقسيم من المفهوم الاصطلاحي الذي تواضع عليه علماء النفس والاجتماع؛ فان معيار تحديد كل قسم سيكون هو ما يظهر على التفاسير من مظاهر الميل النفسي للمفسر وقناعاته الذاتية المذهبية والعقدية وتأثير محيطه وبيئته عليه «ومدى تأثره بالواقع السياسي والاجتماعي والعلمي الذي عاصره ، والإنسان ابن بيئته فيتأثر بها سلباً أو إيجاباً ، ومن ثم فهي تترك آثارها عليه وعلى مسيرته العلمية خاصة»[1].

وبعد استقصاء واستقراء وتتبع يُشَخَص الاتجاه المناسب للمفسر او لعدة تفاسير، فتتكثر الأقسام وتتنوع الاتجاهات استنادا لتلك المعطيات.

على سبيل المثال: انطلق الدكتور محمد ابراهيم شريف في بحثه عن الاتجاهات «من خلال القضايا المهمة التي شغلت المسلمين حديثا وظهرت فيها جهود المفسرين التجديدية واضحة»[2] ضمن حدود بلد مصر وفترة زمنية محصورة معينة (القرن العشرين) غير ان المؤلف صرّح بان آلية تناوله للاتجاهات انما كان عبر (الانتخاب والاختيار) لصعوبة رصد كل ما كتب من التفاسير واحصائها خلال تلك الفترة من ولهذا كان تحديده للاتجاهات بلحاظ القضايا العصرية وتأثيرها على التفسير فاختزلها بـ(الاتجاه الهدائي والاتجاه الادبي والاتجاه العلمي) .

فتلك الاتجاهات هي تعبير عن موقف المفسر من القضايا العصرية الرائجة في وقته وانعكاس ذلك على منتجه التفسيري.

الثاني: تتبع حركة مسير التفسير في بعديه الزماني والمكاني، يبحث الدارسون والباحثون عن الاتجاهات بلحاظ حركة التفسير في فترة معينة واحيانا لمكان محدد من العالم والبلدان؛ فتختلف زوايا نظرهم للقضايا والموضوعات التي يتمثّل فيها الاتجاه إبان تلك الفترة وفي حدود تلك البلاد وبالتالي فان تصنيف التفاسير سيكون مختلفا باختلاف

([1]) الرسعني ومنهجه في التفسير، عبد المنعم جمعه صالح(القاهرة : مكتبة وهبة ، ط1 ، دت): 17.

([2]) مجلة المسلم المعاصر، رسائل ؛ اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في القرن العشرين، محمد ابراهيم شريف: 156.

201511_34535454https://archive.org/details/ (نسخة منفصلة عن المجلة)

توجهات كل مفسر من حيثية تطوير منهجه وطريقته او التزامه بطرائق السلف ، وتأثير امتزاج علم التفسير مع العلوم الأخرى ونتائجه على المنتج التفسيري مقارنة بمنتجات الموروث، ثم يأتي باحث ودارس اخر يتناول تلك التفاسير من زاوية اخرى في الفترة الزمنية ذاتها كتأثير الاستشراق على اصالة المرتكزات في العملية التفسيرية وتأثّر المفسرين العرب بالمستشرقين في مصر او المغرب العربي وغيرهما .

واختلف المؤلفون والباحثون في آلية التقصي والاحصاء بين الانتخاب المشفوع بالنّظرة الاجمالية ومحاولة دمج العديد من التفاسير في صنف واحد، وما بين بذل الوسع في التحرّي والاحصاء بغية رصد المدونات التفسيرية وتسجيل قراءة فاحصة عنها لتصنف تحت قسم عام.

ولذا نجد الدكتور الذهبي تناول الوان التفسير في العصر الحديث ؛ وكذلك تناول الدكتور الشرقاوي اتجاهات التفسير في العصر الحديث ؛ وكذلك الدكتور عبدالمجيد عبدالسلام المحتسب فيما كتبه عن اتجاهات التفسير في العصر الراهن ؛ والدكتور محمد ابراهيم شريف في اتجاهات التجديد والدكتور فهد الرّومي في تتبعه للاتجاهات في القرن الرابع عشر الهجري[1] وجميعهم اختلفت نتائج تقسيمهم من حيث العدد والموضوعات (متعلّق الاتجاه).

الثالث: الخلط ما بين مفهوم (الاتجاهات الفكرية المعاصرة)[2] و(الاتجاهات التفسيرية)؛ فنجد بعض الباحثين يتناول تأثير الاتجاهات الفكرية على علم التفسير ومبانيه، فحصل مزج ودمج بين المفهومين، فانّ التفسير بوصفه علم له بُعدا نظريا وفكريا يسير بموازاة الحركة الفكرية والوجدانية للإنسان ونشاطاته السلوكية في الحياة ، ونتيجة المقاربة في كثير من المشتركات المعرفيّة أدّى الى توظيف موضوعات الفكر –سواء كان قديم او معاصر او حديث– لاتجاهات علم التفسير كالتفسير السياسي والتفسير الاعتزالي

([1]) ينظر: التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، محمد بن رزق بن عبد الناصر بن طرهوني الكعبي (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط 1: 1426 ه): 2/ 507–515.، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ، الخالدي: 38–48.

([2]) ينظر: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، علي محافظة (بيروت: الاهلية للنشر والتوزيع ، 1987م ، دط) :11–32 ؛ نهج الاعتزال في الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ظافر سعيد شرقة (الرياض: دار الوعي للنشر، ط1 : 1433ه): 10–11.

مثلا؛ لان المفسر ليس بمعزل عن المتغيرات الفكرية في بيئته ومجتمعه[1] .

ان حقيقة الاتجاهات التفسيرية هي تعبير عن مسير التفسير عبر فترات زمانيّة وانتقالاته المعرفيّة منذ بدايات التنظير والتقعيد لمسائله وكيف سلك المفسرون طبقة بعد أخرى في تفسيرهم كتاب الله المجيد حتى تنوعت طرقهم واختلفت مبانيهم الفكريّة وتأثير القضايا الاجتماعية والسياسية وغيرهما من التحديّات التي تحيط بالأمّة الاسلامية ودور علماء الاسلام والمفسرون في الدفاع عن العقيدة والقيم الوحيانيّة وترسيخها في نفوس أبناء الامّة كل هذا ينعكس على المفسّر وعلى التفاسير ومحتوياتها وبالتالي يكون لكل مفسر نزعته واتجاهه .

ويقع بعض الدارسين والباحثين في خلط بين اقسام الاتجاهات بوصفها تعبير عن حركة التفسير بما هو نمط تفكير تجاه فهم النص وبيانه، وما بين طرق المفسرين البعديّة (المنهاج) *.

فهذا التداخل سببه الخلط بين مفهوم الاتجاهات الفكرية التي يتزامن ظهورها مع نشاط حركة المفسرين تجاه تلكم القضايا العصرية وهم يعبّرون عن موقف الاسلام من خلال مصدره الخالد ومعجزته الكبرى القران الكريم وبين المبنى العلمي المعتمد في بناء المنهجية التفسيرية.

وقد حصل خلط لدى بعض الباحثين في توظيفه للفظ اتجاه لأي تفسير تلون بفكر مذهب او تيار او فن محدد، من دون الالتفات الى المغايرة بين حقيقة توصيف الاتجاه التفسيري وحقيقة الاتجاه الفكري الذي طغى على تفسير معين والاقرب ان يصطلح عليه بـ**(الاتجاه البحثي)**.

([1]) ينظر : مناهج التفسير واتجاهاته: 31-32 .

(*) على سبيل المثال: اتجه التفسير باعتباره عملية فكرية لفهم النّص القرآني في أواخر القرن الثاني الهجري تقريبا نحو اعتماد الاجتهاد –الرأي– فأدرج في اقسام الاتجاهات التفسيرية، وعندما صنّف بعض الباحثين والمؤلفين التفاسير لجملة من المفسرين اصطلح على الراي – الاجتهاد؛ بانّه منهجا تمثّل بتفاسير كثيرة كتفسير الزمخشري والرازي وتناوله بعض الباحثين على انه طريقة معتمدة في التفسير!! هذا الترحيل في العناوين من "الاتجاه" الى "المنهج" الى "الطريقة" سببه عدم التفريق بين اساسات التقسيم والتصنيف، وعدم وضع كل مفهوم بما يناسب الظاهرة: فاتجاهات التفسير تصنف على أساس حركة التفسير في الفترات والعصور، والمناهج تصنف على أساس تتبع عناصر الخطة التفسيرية التي اعتمدها المفسر وما تضمنته من أدوات ووسائل ومصادر، والطرائق –طريقة – تصنف وتقسم على أساس الأداء والتطبيق.

فضابطة (الاتجاه التفسيري) هو رواج أحد انواع التفسير – مبنى المفسر الفكري وقناعاته الفكرية[1] – ورواجه في الاستعمال في العصور والازمنة.

وضابطة (الاتجاه البحثي) بوصفه غير مقيّد بزمان او مكان، لان طبيعة البشر وميولهم غير مقيدة ومحصورة في فترة زمنية دون أخرى ولا ببقعة دون غيرها، قد لا يرقى منتج بحثي بان يمتد في طول عمود الزمان وينتشر بين المهتمين في البلدان فيبقى بحثا تفسيرا شخصيا فحسب، ولا يرتقي الى كونه اتجاها الا بعد رواجه وصيرورته تيارا رائجا يتأثر به المفسرون ويعتمدوه في خططهم.

والخلاصة:

ان الخلط بين متعلق الاتجاه –الموضوع– بمعناه اللغوي وما بين متعلق الاتجاه بمفهومه الاصطلاحي في علم النفس الاجتماعي أوقع بعض الباحثين والمؤلفين في خلط الأقسام وتداخلها.

فعندما يتناول الباحثون والدارسون الاتجاهات ونظرهم الى حركة التفسير في بُعدي الزمان والمكان او فقط حركته المرحلية وأطواره ومسيرته في فترات وازمان محددة؛ فلابد ان يصار الى تصنيف تلك التفاسير تحت اقسام يُنتجها التقصي والفحص الدقيق والاحصاء الشامل ما امكن، وهنا ينسجم توصيف الاتجاه بالمعنى اللغوي لان الباحثين والمؤلفين كأنّما يلاحقوا المفسرين ويرصدوا وِجْهتهم ويشخصوا الموضوعات التي قصدوها وبالتالي ظهر التنوع على اتجاهات التفسير بما هو مادّة ومُنتَج تبعا لتنوع تلكم الموضوعات المقصودة –هذا كلّه في الظرف الزماني او الزمكاني– وعندما يتناول الدارسون والباحثون الاتجاهات ونظرهم للمادّة التفسيرية بوصفها منتجاً توافر على خصائص وصفات وسمات تعبر عن مسبقات وميول المفسّر الفكريّة والعقدية واهتماماته وتخصصه المعرفي والعلمي فان أساس التقسيم يكون مبنيّا على مفهوم الاتجاه الاصطلاحي المستعمل في علم النّفس الاجتماعي وبالتالي قد لا يكون اتجاها تفسيريا وانما اتجاها بحثيا في تخصص معين ، وقد يكون اتجاها تفسيرا اذا لوحظ مبنى المفسر الذي أسس عليه منهاجه.

ومما تجدر الاشارة اليه ان طبيعة الاختلاف في التقسيم يصعب ضبطه فهو اشكال سيّال يتفلّت من بين معايير الإحصاء والتصنيف لسعة وتنوع الموضوعات التي تطرق اليها المفسرون، إضافة الى تحديث الوسائل التعليمية وتطورها وتنامي الفكر البشري الحضاري

([1]) سياتي في الفصل الثالث (المعالجة) بيان انواع التفسير وعلاقتها بالاتجاه الفكري .

على كافّة الأصعدة، وغياب الرقابة العلمية والفكرية عن كثير من المطبوعات التفسيرية التي تنتشر ببركة التكنولوجيا.

المطلب الثالث: الخلط والتداخل بين اقسام الاتجاه وبعض اقسام المنهج والاساليب:

تناولنا في الفصل السابق: اشكاليّة الخلط بين مفاهيم المنهج والاتجاه والاسلوب وعدم التفريق فيما بينها؛ واتماما لضرورة اظهار وتحديد اشكالية الخلط سيتم تناول الخلط الحاصل بين اقسام الاتجاه وبعض اقسام المنهج والاسلوب ، تقدّم في المطلب الاول من هذا المبحث استعراض جملة من نماذج الأقسام والاصناف، وعند المقارنة فيما بينها وبين نماذج تقسيمات المنهج وبعض اقسام الاسلوب[1] تظهر **موارد الخلط والتداخل، نستعرضها في عدد من الصور:**

الصورة الاولى: الخلط بين (اقسام المنهج) بِعَدّها توصيفا قبليا مع (اقسام الاتجاه) باعتبارها توصيفا بعديا.

حينما يتطرّق المؤلفون في المناهج الى اهم طرق التفسير ويطلق بعضهم عليها (مناهج) قاصدين بذلك المعرفة النظرية التي تسبق شروع المفسر بالجانب التطبيقي من العملية التفسيرية، فانّهم وان اختلفوا في التوصيف بين كونها (طرائق) او (طرق) او (انواع) الا انّهم عدّوها من الاقسام والاصناف القبليّة التي تدخل في صميم بناء الخطة التفسيرية؛ وهي:

تفسير القران بالقران.

وتفسير القران بالسنّة واخبار العترة والصّحابة.

وتفسير القران باللغة وعلومها.

وتفسير القران بالرأي المحمود، والاجتهاد، والتأويل.

واختلفوا في التفسير العلمي سعة وضيقا وفي شروطه وجوازه من عدمه[2].

([1]) سياتي لاحقا الحديث عن اقسام الاسلوب بصورة تفصيلية .

([2]) ينظر: مناهج تجديد، امين الخولي : 285 –287.، التفسير والمفسرون: الذهبي : 197/1 ؛ التفسير والمفسرون في ثوبه القسيب، محمد هادي معرفة : 538/2 ؛ تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ، الخالدي:67–78 ؛ مناهج المفسرين من العصر الاول الى العصر الحديث، محمود النقراشي: 79–90.، منهج الفرقان في علوم القران، محمد علي سلامة: 63–6/2 .، مناهج المفسرين –ق1: التفسير في عصر الصحابة ، مصطفى مسلم .، اصول التفسير وقواعده، خالد عبدالرحمن العك :46، 77–83 ،.... (وتم ذكر المصادر في المبحث السابق من هذا الفصل).

وحينما نتأمل في بعض اقسام (الاتجاهات) سيتضح بان قسم منها وُظِّف بلحاظ معياريته لتصنيف التفاسير استنادا الى نتائج إحصائية وفحص لمحتواها.

انّ طرق التفسير المعتبرة الموصوفة بـ(أحسن طرق التفسير) والتي هي: تفسير القران بالقران؛ والقران بالسنة؛ واعتماد علم اللغة والبيان...وغيرها، هو ما يصفه الباحثون والدارسون بمنهج المفسر (حسب توصيفهم اي المنهاج بالتوصيف المختار) بينما صنفوا التفاسير التي يغلب عليها أحد عناصر المنهج (طرق التفسير المعتبرة) بانها أحد اقسام الاتجاهات التفسيرية؟! وهذا التبعيض في وصف التفاسير غير تام لان المفسر خطته التفسيرية (منهاجه بحسب التوصيف المختار) تتوافر على تلك الطُّرق المعتبرة، فدعوى تغليب احدها على الاخر يخرج عمّا اشترطوه من وجوب الالتزام بأولوية بعض الطُّرق على بعضها[1] .

وهنا يقع المتلقي في حيرة وتشويش امام هذا الخلط بين النماذج التي لم تراعَ فيها المرحلة القبْليّة والبَعْديّة!

الصورة الثانية: الخلط بين (اقسام مناهج المفسرين) بِعدّها توصيفا بعديّا مع اقسام الاتجاه بعدّه (موضوعا) لأصول مذهب، او مدرسة عقديّة، او تفسيرية، او نحويّة، او اي تخصص معرفي وعلمي.

تُطرح مناهج المفسرين بما يكشف عن اهتمام وتخصص المفسر ومذهبه ، فيقال منهجه عقلي ، ومنهجه نقلي ، ومنهجه فلسفي ، ومنهجه فقهي اصولي ، ومنهجه سنّي او اعتزالي او شيعي...الى آخره ، وفي المجال ذاته تُطرح موضوعات الاتجاه (متعلّقاته) بما هي مسبقات وقناعات راكزة في وعيّ المفسر كميله للتصوف او ميله للفلسفة او ميله للتجديد والتطوير او ميله للسلف والمحافظة على التراث، او كإيمانه بأصول عقيدة معينة ومذهب معين او كاستناده الى نظريات مدرسة فكرية معينة، فكل تلك او بعضها تتداخل ما بين كونها مناهج وما بين كونها اتجاهات نتيجة التسامح في التوظيف والتعبير .

([1]) ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ، الخالدي: 38؛564-568.، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: فهد بن عبدالرحمن الرومي: 49/1، 414/2، 861/3، 1063/3.، مناهج المفسرين، مساعد مسلم – محي هلال: 30-32.، لمحات في علوم القران واتجاهات التفسير، محمد بن لطفي الصباغ: 217. اساسيات المنهج والخطاب، محمد مصطفوي: 48؛186؛137-213، (وتقدم في المطلب الاول من هذا البحث ذكر المصادر والتقسيمات مفصلا).

الصورة الثالثة: تأرجح توظيف (اللون او الالوان) بين الاتجاهات والاساليب.

لم تتفق كلمة جملة من المؤلفين والباحثين حول توظيف مصطلح لون وما يتعلق به من اقسام، فهل يرتبط بالاتجاهات أو بالتفسير الموضوعي الذي عدّه بعضهم (اسلوبا) والبعض الاخر منهجا؟

مرّ علينا ان (اللون) قد عدّه أكثر المؤلفين من المفاهيم المتعلقة بالاتجاه التي تكون دالّة عليه وكاشفة عنه؛ لان التفسير – بما هو مادة ومُنتَج– (يتلوّن) بمستوى تفكير المفسر واهتماماته وقناعاته الشخصية...، فيكون تفسيره روائيا او لغويا او بيانيا او فلسفيا ... ، فالمفسر يُمحور نصوص تفسيره حول لون فكري معين ! ، وبعبارة اخرى : ان المفسر يتجه نحو موضوع معين مما (يطغى على تفسيره) ، وبناء عليه يعد التفسير الموضوعي «اتجاهاً»[1] ، وما يؤكد كونه اتجاها – بحسب القائلين بذلك – بانّه يعدّ لونا من التجديد المنهجي[2] .

ولكن ذهب البعض الاخر الى ادراج التفسير الموضوعي في جملة (الأساليب) فيكون قسيما للأساليب الاخرى من التفسير: التحليلي والمقارن والاجمالي[3] ، وعدّه بعض الباحثين من الانواع التفسيرية ويقسمه الى الوان عديدة[4] .

وذهب بعضهم الى توظيف لفظ (نمط) في توصيف (اقسام اللون) من قبيل : التفسير الادبي او البياني ، والاخلاقي، والفقهي ، العلمي، ...[5].

ومعنى النمط لغةً: الطريقة، الضرب، النوع، المذْهب والفَنَّ، والطريق[6] ، وهذه المعاني أقرب (للمنهج) من (الاتجاه) ووصف تلكم الاقسام بانها انماط مع ان الوصف الرائج لها الوان (اتجاه) يوقع في اشكالية الخلط وبالتالي اللبس والايهام .

([1]) ينظر: المدرسة القرآنية ، محمد باقر الصدر: 20–25. ، المدخل الى التفسير الموضوعي، ابراهيم بن صالح بن عبدالله الحميضي (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، ط3: 1442هـ–2020م): 14–15.

([2]) ينظر: المدخل الى التفسير الموضوعي، ابراهيم بن صالح: 18. ، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني ، احمد جمال العمري: 43– 56. ، مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم: 17.

([3]) ينظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه، الرّومي: 57.، المدخل الى التفسير الموضوعي، ابراهيم بن صالح: 14–17.

([4]) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي: 31، 59.

([5]) ينظر: المناهج التفسيرية في علوم القران، السبحاني:116 ؛ 151.، مناهج التفسير، طلال الحسن: 36.

([6]) ينظر: لسان العرب : (مادة نمط).

وتوظّيف مفردة لون في التعبير عن اتجاه المفسر سواء كان ذلك عن قصد كونه احد مفاهيم الاتجاهات او دون الالتفات لهذا الترابط فوصفوا به الاقسام العلمية والتخصصية كالفقه والفلسفة والتصوف والعلوم البيانية والكونية...[1] مع العرض لم يطلقوا عليها بالأساليب في مؤلفاتهم ! مما يكشف عن تسامحهم باستعمال لفظ لون بالتعبير واعتيادهم على توصيف الاصناف والاقسام .

([1]) ينظر: مناهج تجديد، امين الخولي: 296–299 ؛ المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة، محمد علي اسدي: 21.

المبحث الثالث: نماذج تقسيم الأسلوب وتوظيفه

تمهيد: لم يحظَ الاسلوب من ناحية التقسيمات بمساحة معتدّ بها في مؤلفات وبحوث مناهج التفسير والمفسرين مقارنة بالمناهج والاتجاهات، ويعود ذلك –على ما يبدو– الى: اندماجه تحت شموليّة دلالة لفظ منهج؛ لأنه ثمّة اشتراك بينهما في بعض المعاني فانهما بمعنى (الطريق والمذهب والطريقة) بناء على ما تذهب اليه معجمات اللغة العربية المعاصرة والحديثة منها على وجه التحديد، ولكثرة تداول مفردة (منهج) في وصف: (طرق المفسرين ومسالكهم وطرائقهم)؛ نُزِّل لفظ اسلوب بمنزلة المرادف له في الاستعمال وخصوصا في الحوار الدراسي يكون التوصيف بلفظ اسلوب امرا عفويا يتلو ذكر المنهج والطريقة والطرق، فاكتُفيَ بلفظ (منهج) في التداول والتوظيف لتحقق الغرض من التعبير به.

والسبب الاخر: في الدراسات الادبيّة والبيانية وُظِّف لفظ (اسلوب) في مساق مفرداتها الدراسيّة والبحثية، ثم امتزج في الدراسات القرآنية وتناوله الباحثون في علوم القران والتفسير وخصوصا المتأخرين بناء على مفهومه في علم البلاغة والبيان اي بمعنى: طرائق الكلام والتعبير. ومؤكد انعكس على مباحث (مناهج التفسير والمفسرين) ايضا فقسمت (الاساليب) انطلاقا من المفهوم المرتكز في التفكير البياني والذوق الادبي، لذا كانت جملة من المؤلّفات تتكلم عن (الاسلوب) بما هو مصطلح مقارب لوظيفة (المنهج) وكانت اساسات واعتبارات تقسيماته مختلفة وقليلة.

وعليه يتضمن هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الاول: عرض نماذج تقسيم الاسلوب ومناقشتها:

تناول بعض المؤلفين والباحثين تقسيم الاسلوب بما هو مفهوم تصنيفي، وتناولوه من حيثيته الأليّة في وصف الطرق والطرائق المستلبة من أداء المفسرين، وحتى تتضح موارد الاشكالية لابد من استعراض التقسيمات الرائجة بين المؤلفين والباحثين وتحليلها ومناقشة بعضها بما يناسب المقام:

1– قسّم الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرّومي (الاساليب) الى: «

1. التفسير التحليلي.
2. التفسير الاجمالي.

3. التفسير المقارن.

4. التفسير الموضوعي»[1] .

وتناول الدكتور عبدالستار فتح الله سعيد الاقسام نفسها ، ولكنه عبّر عنها بـ(انواع التفسير) واستند الى تنويعها على اساس تنوع طرائق المفسرين[2] .

يظهر: ثمّة أسئلةً عديدة تُطرح على هذا النموذج من التقسيم وفي خصوص القسمين: (التحليلي والمقارن) !

فهل مفهوم (التحليلي) متفق عليه من حيثية دلالته؟ ومن حيثية كونه منهجا او اسلوبا او نوعا؟ وهل عدّه أسلوبا بلحاظ كونه يصف ويصنف أداء المفسرين او بِعدّه وسيلة وألية تعتمد في العملية التفسيرية اثناء الشروع بها؟ وهل تخلو عمليّة تفسيرية من تحليل للنّص القرآني؟!

أُختلِفَ في مدلول المصطلح؛ فمنهم من عدّه التفسير الترتيبي «المرتب على رسم المصحف ،التجزيئي»[3] . وذهب البعض الى تحديد مفهوم التفسير التحليلي بانّه:

«بيان الآيات القرآنية بيانا مستفيضا من جميع نواحيها، بحيث يسير المفسر في هذا البيان مع آيات السورة آية آية، شارحا مفرداتها، وموجها إعرابها، وموضحا معاني جملها، وما تهدف إليه تراكيبها من أسرار وأحكام، ومبينا أوجه المناسبات بين الآيات والسور، مستعينا في ذلك بالآيات القرآنية الأخرى ذات الصلة، وبأسباب النزول، وبالأحاديث النبوية، وبما صح عن الصحابة والتابعين، وبغير ذلك من العلوم التي تعينه على فهم النص القرآني وتوضيحه للقراء، مازجا ذلك بما يستنبطه عقله، وتمليه عليه نزعته»[4].

فهو مما «لا يستغني عنه الباحث في التفسير الإجمالي أو الموضوعي أو المقارن»[5]

([1]) بحوث في اصول التفسير ومناهجه ، الرّومي: 57 ؛ ينظر: التفسير والمفسرون – اساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، فضل حسن عباس: 1/ 206.

([2]) ينظر: بحوث في اصول التفسير ومناهجه، فهد بن عبدالرحمن الرّومي: 57–58. ، المدخل الى التفسير الموضوعي، عبدالستار فتح الله سعيد :16.

([3]) بحوث في اصول التفسير ومناهجه ، الرّومي: 57–58 ؛ وينظر: دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، احمد جمال العمري(الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة المدني، ط1 :1406هـ–1986م): 38. ، المدخل الى التفسير الموضوعي، عبدالستار فتح الله سعيد :16.

([4]) الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين : 278؛ ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرحمن الرومي: 862/3 ؛ مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم: 52–53.

([5]) مباحث في التفسير الموضوعي: 52.

بل «يعد المسلك البياني للنص القرآني الذي لا غنى لأي مفسّر منه قط؛ فمن أراد فهم كلام الله ومراده من الآيات القرآنية لا بدّ من أنْ يلجأ له ويتتبع خطواته»[1] .

وواضح ان ذلك يعدّ عمليّة عقليّة يمارسها الذهن في أكثر الموضوعات والقضايا البحثية؛ فلا يمكن تخصيصها بأسلوب معين، ولا يوجد مسوغ في تقييد (التحليلي) باشتراط متابعة ترتيب آيات المصحف وتسلسل السور فيه! او قصره على موضوع محدد؛ وذلك لتوقف اي عملية تفسيرية عليه فلا يستغني المفسّر عنه في كل الانواع والاساليب المتقدمة[2] .

واختلفوا في حقيقته بين كونه (منهجا) او (اسلوبا) او (اتجاها) او (نوعا) من انواع التفسير[3] بما لا تقف فيه على عبارة دقيقة وتخصيص ثابت، بل اضطربت عبارة أحدهم الى درجة إنّه لم يتضح مراده أيعدّه منهجا أم اتجاها[4] ؟ فيسميه منهجا وتارة يسميه اتجاها[5] .

وذهب أحد الباحثين الى عدّه منهجا؛ قد يستخْدِم كل الاتجاهات الفقهيات، البلاغيات، التفسير بالأثر، المنهج الاجتماعي او الدعوي، ويتعرف على موضوعاتها ويفصّل القول فيها[6] .

بينما ذهب الدكتور فهد الرّومي (بحسب مبناه) الى عدّ التحليلي اسلوبا معمولا به في كل الاتجاهات بمناهجها[7] .

واختلفت آراؤهم ايضا في توصيف (التفسير التحليلي) بتسميته هذه وبين تسميته بالموضعي[8] ولم تثبت عباراتهم في تحديد المصطلح الانسب والاصوب في الاستعمال

([1]) التفسير التحليلي دراسة في المناهج والأليات سورة الطلاق (أنموذجا) ، مريم هادي رضا الجعيفري: 250.

([2]) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: 52-53.

([3]) ينظر: منهج التفسير التحليلي تاريخ وتطور، مشعان عبد سعود العيساوي: 76.، المدخل الى التفسير الموضوعي، عبدالستار فتح الله سعيد: 16.، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبدالفتاح الخالدي: 31 .

([4]) ينظر: التفسير التحليلي دراسة في المنهج والاليات سورة الطلاق نموذجا، مريم هادي رضا: 86.

([5]) ينظر: التدبر الموضوعي في القران الكريم ،مجموعة من الكاتبين(دروس علي ال موسى)(بيروت: دار كميل، ط1 : 2009م): 123-125.

([6]) ينظر: التفسير التحليلي "تاريخ وتطور"، مشعان عبد سعود العيساوي، لـ(المؤتمر العلمي الثاني لكلية العلوم الإسلامية- الرمادي، 2012/12/11م): 64.

([7]) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرحمن الرومي: 863/3 .

([8]) ينظر: نحو تفسير موضوعي لسور القران الكريم، محمد الغزالي (القاهرة: دار الشروق، ط4، 1420هـ-2000م): 5.، ومحل الشاهد وصف او عرف التفسير الموضعي بانه: (يتناول الآية او الطائفة من الآيات فيشرح الالفاظ والتراكيب والاحكام) وهو يقارب التعريف الذي تناوله الباحث "شاكر جمعة الكبيسي" في كتابه: التفسير التحليلي للشطر

الى درجة ان احد المؤلفين ذكر له: عشرة اسماء[1] ، ولم يتضح من عبارات البعض ترجيح مصطلحا واحدا وانما اجازوا اللفظين: «التجزيئي او الموضعي»[2] .

وهذا الاضطراب وعدم الاتفاق على التسمية يوقع في الايهام واللبس نتيجة التداخل بين الاقسام، فهل التجزيئي من الاساليب او التحليلي او الموضعي؟!.

او ان(التحليلي) مفهوم لا يوصف (بالتجزيئي) وانما هو (منهج) مستقل!؟ هذه استفهامات تحيط بما ورد في المؤلفات والبحوث التي تناولت الاساليب، فلابد من وضع معالجة تامة لتخصيص المفاهيم بما يناسب افرادها واقسامها.

واما (المقارن) فيقول عنه الدكتور فهد الرّومي بان «يعمد المفسر الى الآية او الآيات فيجمع ما حول موضوعها من نصوص سواء كانت نصوص قرآنية اخرى او نصوصا نبوية "احاديث" او للصحابة او للتابعين او للمفسرين او الكتب السماوية الاخرى ثم يقارن بين هذه النصوص ويستعرض الادلة ويبين الراجح وينقض المرجوح»[3] ، وتوصيف (المقارن) بهذا المعنى وبهذه الكيفية لا يناسب نسبته للتفسير وانما يناسب نسبته للبحث التفسيري او البحوث الدينية لأغراض معينة لان المقارنة لا تتحقق الا بلحاظ موضوع وغرض معين، فعدّ الكيفية في المقارنة: تفسيرا؛ لا يتناسب وحقيقة التفسير.

واما ما ذكره من امثلة: غريب القران ومشكله، وتكميل القصص القرآني من خلال ضم الآيات المتفرقة فيه! ثم يذكر المؤلفات في هذا الباب امثال: (القران الكريم والتوراة والانجيل والعلم – موريس بوكاي) ، فهل يعتبر هذا تفسيرا او بحثا علميا ؟! .

ويبدو الخلط واضحا بين تفسير القران بالقران وبين التفسير الموضوعي، وبين المقارن (جمع اراء المفسرين لغرض المقارنة) ومما لا شك فيه انما المقارنة تكون فيما بين اراء المفسرين لتمييز الصائب منهم عن غيره والحكم على منهجه استنادا للضوابط

الاول من سورة ال عمران؛ فيقول في ص12: (تبيين معاني الكلم القرآني افرادا وتركيبا بواسطة تفكيك الآيات والجمل الى اجزائها ليعطي كل جزء ما تستحقه من البيان)؛ وكذلك في توصيف الدكتور مصطفى مسلم في كتابه مباحث في التفسير الموضوعي:52؛ والدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي في كتابه التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: 31.

([1]) ينظر: التدبر الموضوعي في القران الكريم ،مجموعة من الكاتبين(دروس علي ال موسى): 124 .

([2]) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، عبدالفتاح الخالدي: 47-48.، المدخل الى التفسير الموضوعي، عبدالستار فتح الله : 17.

([3]) بحوث في اصول التفسير ومناهجه :60.

والشرائط...[1] .

بينما عدّ الدكتور احمد العمري (المقارن) متصلا بالتفسير الموضوعي أي انه احد (الالوان) التي يعوّل عليها في التفسير الموضوعي لا انه قسيما له كما في التقسيم السابق[2] .

وتناول التقسيم ذاته كلا من الدكتور مصطفى مسلم والدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي، غير انهما اصطلحا عليه (بأنواع التفسير)[3] ولم تستقر عباراتهم على توصيف محدد؛ فوصف الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي الاقسام عندما عرّف انواع التفسير بانها (الخطط والاساليب)[4] .

بينما ذهب الدكتور مصطفى مسلم الى التبعيض: فسمّى الاجمالي والمقارن (اسلوبا)؛ ثم اصطلح على الموضوعي (باللون) وعدّه ثمرة الانواع كلها[5] .

ويرد استفهام آخر: ايهما اصوب في الاضافة: (اساليب التفسير) او(اساليب المفسرين)؟ ليصحّ استعماله بما يناسب كل مرحلة: القبْلِيّة او البَعْديّة؟

لم تكن عبارات الدكتور الرُّومي واضحة في هذا الشأن غير انّه اشار الى كونه مسلكا يصح العمل به لكل الاتجاهات التفسيرية[6] بحسب مبناه، فيُستَظهر من نصوصه بانه يعدّها وصفا قبليا وبعديا .

فيما اشار الدكتور مصطفى مسلم: «لا يمكن الفصل بين انواع التفسير فصلا رياضيا بحيث تنقطع وشائج القربى بينها.. وذلك لان مجال البحث واحد وهو كلام الله سبحانه وغاية المفسر واحدة وهي الكشف عن مراد الله من الآيات، والاختلاف يقع في المناهج هو اختلاف تنوع وتعاضد وترادف ليس اختلاف تباين وانفصال وتضاد.. فبعض انواع التفسير تعتبر اساسا في الانطلاق منه الى غيره فلا يستغني عنه المفسر في اي نوع من انواع التفسير...[ثم يستنتج]: ان انواع التفسير متداخلة متساندة لا يستغني المفسر لنوع

([1]) ينظر: بحوث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم: 53.، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق:32.، المدخل الى التفسير الموضوعي، عبدالستار فتح الله سعيد :17.

([2]) ينظر: دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني ،احمد جمال العمري: 44-45.

([3]) ينظر: بحوث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم: 52.، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق:31.

([4]) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، الخالدي:31.

([5]) ينظر : مباحث في التفسير الموضوعي :52-53 .

([6]) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرحمن الرومي:863/3 .

منها عن الانواع الاخرى»[1] وهو بيان دقيق ومهم في رفع اللبس عمن يظن ان الأنواع مستقلة في التطبيق، ويقرب من هذا الراي ما اشار اليه الدكتور صلاح الخالديّ في تعريف الانواع بما مرّ.

يُفهَم مما تقدم بان تلكم الاقسام توظف في التوصيف القبلي والبعدي على حدّ سواء مما يوهم بكون تلك الاقسام متحدة في التوصيف والتصنيف القبليّ والبعديّ، وهذا ما اوقع الدارسون والباحثون في الحيرة نتيجة الخلط والتداخل بين توظيف الاقسام بوصفها مفاهيم تخص مرحلة بناء الخطة التفسيرية، وما بين توظيفها في التصنيف لما بعد الشروع في الكشف عن الاساليب التفسيرية الكائنة في المدونات التفسيرية.

واختلفوا في حقيقية (التفسير الموضوعي) بين كونه (اسلوبا) او (منهجا) او (اتجاها) او (لونا) أو (علما)[2] .

لم تستقر عبارات المرجع الشهيد محمد باقر الصدر حول توصيف (التفسير الموضوعي) بين كونه (منهجا) او (اتجاها) او انه يذهب الى جواز الوصفين؟ .

وبرر الدكتور احمد الازرقي ذلك التداخل بين مناهج التفسير واتجاهاته واساليبه بان السيد الصدر؛ لم يكن بصدد بيان المفاهيم والاصطلاحات ، واعرب عن انه ليس بالأمر المهم[3] ! وهو تبرير غير منطقي؛ لان من اولويات البحث في العلوم هو تحديد المفاهيم وبيان الاصطلاحات، ولم يغفل هذا العالِم الجليل عن مراعاة هذه البديهية في العلوم؛ ولكن ممكن ان يكون التبرير على ما يبدو:

هو ان المادة التي افاد بها السيد الصدر حول التفسير الموضوعي والتجزيئي كانت عبارة عن دروس شفاهيّة «محاضرات»[4] روعي في طرحها المتلقي السامع لا المتلقي القارئ، فكان يكرر ويوظف اكثر من لفظ بغية الايضاح والتبسيط ، ومما لاريب فيه ان سَوْق المادة العلمية للطلاب يتطلّب اجتناب التعقيد وايراد الكلام على نحو واضح وسهل

([1]) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي :52-54.

([2]) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم: 15؛ التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح الخالدي: 34؛ التدبر الموضوعي في القران الكريم، مجموعة من الكاتبين (دروس الشيخ علي ال موسى):141-146.

([3]) ينظر: منهج فهم القران عند الشهيد الصدر: 327.

([4]) ينظر: المدرسة القرآنية :10-11.، المبادئ العامة لدرس القران وتفسيره، مصطفوي: 47.

بعبارات لا تخلو من التجوز والتسامح *. ومع ذلك؛ يُفهَم من عبارات الشهيد الصدر بان التفسير الموضوعي اصطلح عليه (بالاتجاه) على اساس المقابلة (للتجزيئي) ؛ فكأنّ الشهيد الصدر افترض حركة سير التفسير على منهج التفسير الترتيبي كخطوة ابتدائيّة ، ثم اتجه الى المنهج الموضوعي كخطوة أخرى ، دون ان تكون لاغية للاتجاه الترتيبي بل تقوم على ضم الاتجاه الموضوعي له؛ ومن ناحية اخرى: سيادة وسيطرة التجزيئي في التفسير على ساحة الدراسات القرآنية (13 قرن تقريبا) قبل انتشار الموضوعي، فتسميته (بالاتجاه) على نحو المقابلة[1] .

واستنتج احد الباحثين على ان التفسير الموضوعي: (اتجاها) ، اذ يهدف لكشف مراد الله تعالى ولا يتم هذا الكشف الا وفق منهج واضح المعالم محدد الخطوات يوصل للمطلوب[2]. ومما تجدر الاشارة اليه: ان مصطلح (لون) هو احد الاصطلاحات الخاصّة بالاتجاهات –بما مرّ في المباحث السابقة– بينما وظفّه بعض المؤلفين والباحثين في تسمية اقسام التفسير (الوانا) بلحاظ (ترتيب التلاوة ورسم المصحف) فقسمت على: «اللون التحليلي ، اللون الاجمالي ، واللون الموضوعي»[3] .

بينما اطلق جملة منهم على اقسام التفسير الموضوعي: (الواناً) وهي(المصطلح القرآني؛ الموضوع من خلال القرآن؛ الموضوع من خلال السورة) مع اختلاف في التسمية لبعض

(*) ولا يخفى لما تلك المحاضرات المباركة من اثر في نفوس طلاب الشهيد الصدر –قد– حتى ألّفوا وكتبوا بعده فيما طرحه من خطوط عامة ومادة دسمة في التفسير الموضوعي بالرغم من حراجة فترته السياسية وموقف الظالمين اتجاهه فكانت الفترة قلقة ومضطربة وقتذاك.

([1]) ينظر: المدرسة القرآنية :26 ؛34–42 ، ولا يتبادر: بان المقابلة يراد بها هنا التنافي والتباين بين التفسيرين !، كلا بل لا يوجد اي تنافي او تباين ولهذا كان الشهيد الصدر واضحا في ذلك ومنتبها لهذه النُّكتة فقال « وينبغي ان يكون واضحا أن الفصل بين الاتجاهين المذكورين ليس حديّا على مستوى الواقع العملي والممارسة التاريخية لعملية التفسير لان الاتجاه الموضوعي بحاجة قطعا الى تحديد المدلولات التجزيئية في الآيات التي يريد التعامل معها ضمن اطار الموضوع الذي يتبناه ، كما أن الاتجاه التجزيئي قد يعثر في اثناء الطريق بحقيقة قرآنية من حقائق الحياة الاخرى ولكن الاتجاهين على أي حال يظلان على الرغم من ذلك مختلفين في ملامحهما واهدافهما وحصيلتهما الفكرية» ص:24.

([2]) ينظر: منهجية البحث في الموضوع القرآني، حامد يعقوب الفريح (بحث مقدم الى مؤتمر التفسير الموضوعي –واقع وافاق– المنعقد في جامعة الشارقة في الفترة 11– 1431/5/12هـ): 8 .

([3]) ينظر: دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، احمد جمال العمري: 37.

اقسام الالوان او بزيادتها فيما بين المؤلفين والباحثين[1] ، واطلق بعضهم عليها (مجالات) التفسير الموضوعي او (انواعه)[2] .

ولستُ في صدد مناقشة مفاهيم الاقسام من حيثية مدلولاتها وتعريفاتها؛ لان هذا يخرجنا عن عصب البحث ومحوره.

مما تقدّم؛ فان ما مرّ من تقسيمات يعدّ من أجلى صور الخلط والتداخل فيما بين المفاهيم، وفيما بين الاقسام وتوظيفهما بما يوقع الدارس والمتعلم في اللبس والإيهام.

2- ذكر الباحث **محمد مصطفوي**، ثمّة (اسلوبان) للمفسرين الاجتماعيين -بحسب تعبيره- احدهما (التفسير الموضوعي) بالمعنى الذي يذهب اليه الشهيد باقر الصدر وما يتبّناه حول مفهومه (من الواقع الى النّص) وعبّر المؤلف عنه بانه انطلاق من الواقع الاجتماعي لتوجيه اسئلة للقران ...[3] .

والاسلوب الاخر «استنباط قواعد اجتماعية حول موضوعات من القران ...»[4] .

وكليهما تعبير عن (التفسير الموضوعي) الذي اختلف فيه: هل هو منهج او اسلوب او اتجاه؟ بينما المؤلف تجاوز كل ذلك دون ان يسمّي التفسير باسم مصطلحه المشهور في علم مناهج التفسير، ولم يبيّن الربط بين ما تبنّاه من معنى الاسلوب وأساس التقسيم!؟ .

3- وينطلق الدكتور **احمد الازرقي**، لتقسيم التفاسير على اساس (الاسلوب) الى: «

1- التفسير الترتيبي (التجزيئي) للقران.

2- التفسير الموضوعي للقران.

3- التفسير الارتباطي للقران.

4- التفسير الكلي للقران»[5] .

ويلاحظ على هذا النموذج من التقسيم مراعاة التوصيف البعديّ؛ فتناول تقسيم التفاسير

([1]) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي ، مصطفى مسلم: 23 -28. ، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ، عبدالفتاح الخالدي: 59-64. ، التفسير أساسياته واتجاهاته، فضل عباس حسن: 646-647.

([2]) ينظر: المدخل الى التفسير الموضوعي ،ابراهيم بن صالح بن عبدالله (المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي ، ط 3 :1442هـ-2020م) :26-29.

([3]) ينظر: اساسيات المنهج والخطاب، المصطفوي: 180.

([4]) م ن: 180.

([5]) منهج فهم القران عند الشهيد الصدر، الازرقي: 304-305.

على اساس (الاسلوب) المتبع في تفسير القران الكريم وان كان النموذج يوهم ما بين التصنيف للتفاسير وتحديد الأقسام* .

ويرد سؤال على تقسيمه: هل هذه القسمة تصدق على الواقع في تمثّلها او هي قسمة لأغراض تعليمية؟ بمعنى آخر هل يوجد كتاب تفسير يخلو من ان يتناول البعد الارتباطي؟!، ثم هل يخلو كتاب تفسير من الموضوعي؟!

يبدو ان توظيف المفاهيم التي تخص آليات ووسائل العملية التفسيرية لجعلها مفاهيما توصيفية تحت مسمى (اسلوب) هو توظيف غير مدروس ولا يحقق التقسيم المنطقي الاستقرائي او التحليلي.

فالارتباطيّ آليّة معتمدة في اي عملية تفسيرية؛ لان الربط بين المدلولات لغرض استنباط معاني مفيدة هو إجراء مُتبع عندّ المفسرين وخصوصا عندما يتناولون موضوعات تستهويهم اثناء تمشيهم في العملية التفسيرية.

إنَّ تَصْنِيف(آليّة) مُعتمدة في التفسير وإفرادها عن الخطة التفسيرية وعدّها من جملة انواع التفسير بموازاة وعرض الموضوعي والترتيبي مع كونهما يتوافران على هذه الاليّة هو تقسيم غير منطقي.

ويبدو انّ المفسر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي هو من اطلق عليه بالتفسير الارتباطي وتبعه الاخرون[1] . و يظهر تقارب بين (الارتباطي) و(الترابطي) ، اذ يراد بالترابطي: «ان ما بين اجزاء القران الكريم اللفظ باللفظ والجملة بالجملة والآية بالآية والسورة بالسورة ارتباطا على نحو من الشد والثبات لوجود اواصر (علاقات) بين تلك الاجزاء فهي مرتبطة متناسقة...»[2] .

ويذهب أحد مُنظّري التفسير الترابطي الى ان ترتيب السُّور القرآنية في المصحف الشريف وترتيب آياتها: له اسراره العميقة؛ فـ«السبب من وضع اية الى جوار اية اخرى يؤدي الى

(*) لأنها ان كانت أصناف للتفاسير فتخرج عن كونها أساليب وان كانت أساليب فان بعضها من اليات التفكير والبحث كالموضوعي والارتباطي .

([1]) نفحات القرآن، مكارم الشيرازي: 6/1 .، منهج فهم القران عند الشهيد الصدر: 304-305.، التدبر الموضوعي في القران الكريم: 117-118.، تفسير القرآن الكريم، الأساليب والاتّجاهات ، محمد عباس دهيني ، الموقع الرسمي(22 ديسمبر 2017/ التصنيف : منبر الجمعة؛ https://dohaini.com/?p=2481)

([2]) البعد الترابطي في القران الكريم، اقبال وافي نجم (العراق: العتبة الحسينية المقدسة ، ط1: 1436هـ- 2015م): 18 ؛ ينظر: التدبر الموضوعي في القران الكريم: 116-117.

ان تمنح الآية الاولى الآية الاخرى قوة وطاقة كانت تفتقد اليها الآية الاولى لو كانت بقيت وحدها معزولة عن اختها.. يتولد من ضم الآيتين الى بعضهما تتولد حركة جديدة مؤثرة في المقطع القرآني سيفقدها لو قدّر ان تجاوزنا هذا الترتيب فينبغي ملاحظة الترابط القائم على النظم القرآني ..؟»[1] .

ويذهب مُنظِّر التفسير الترابطي –واصفا ايّاه بالمنهج– الى ضرورة التزام المفسر بالنظم الترتيبي لأنّهُ ترتيبٌ الهيٌّ؛ فهو يتضمن توجيها ارشاديا ، ولا يصار دائما الى التفسير الموضوعي الذي يُجرِّد القُران من خصوصيته الترتيبية الالهية، بل ان السورة الواحدة تؤلّف آياتها وحدةً موضوعية ، ومن ثم سيكون لكل سورة وِجهة ومقصد[2] .

يقول المفسر ناصر مكارم الشيرازي عن الارتباطي –وعبّر عنه بـ(التسلسلي) أيضا– إنّه يتناول «فيه مواضيع القرآن المختلفة من حيث ارتباطها ببعضها فعلى سبيل المثال، بعد بحث موضوع (الإيمان)، و(التقوى) و(العمل الصالح) كلٌّ على حدة في التفسير الموضوعي يُتطرّق إلى التفسير هذه المواضيع الثلاث من حيث ارتباطها ببعضها من خلال الإعتماد على الآيات والملاحظات الواردة في ذلك ويوضّح علاقتها ببعضها، ومن المسلَّم به أنّ حقائق جديدة سوف تكشف لنا عن كيفية ارتباط هذه المواضيع ببعضها تكون بالغة القيمة والفائدة»[3] .

وبعد بيان مرادهم من الارتباطي والترابطي يظهر الفرق جليّا بينهما. لذا لا يمكن عدّ الارتباطي هو الترابطي لتغايرهما في العديد من الخصائص والمنطلقات، نعم قد يتقاربان من حيثية الوظيفة، لهذا اعتبر الترابطي (منهجا) والارتباطي (نوعا او لونا او اسلوبا).

والدراسة ليست معنية بتحديد المفاهيم جميعها الا بقدر ما يرتبط بالمناهج التفسيرية والذي استدعى التفصيل في المفهومين جدّتهما في مناهج التفسير، وشدّة الشبه في مادة اللفظين وهيئتهما فاقتضى الافاضة.

4– وأدرج الدكتور محمد علي الرضائي، (الاسلوب) في جملة (اساسات) تقسيم الاتجاهات؛ وعدّ طريقة الترتيب مُرتَكزا لقسمة الاتجاهات واحد فروعها، وعبّر عنها بطرق

([1]) ينظر: المنهج الترابطي ونظرية التأويل دراسة في التفسير الكاشف، جواد علي كسّار :56–58.

([2]) م ن :60–62.

([3]) نفحات القرآن، ناصر مكارم الشيرازي :1/6–7 .

كتابة التفاسير، اذ انّه قسّم (اساليب الكتابة) على اساس: (الذوق، ومراعاة حال المخاطب) الى:

1- التفسير الترتيبي.

2- التفسير الموضوعي.

3- من حيثية الحجم " التفسير المختصر، متوسط، مفصّل" .

4- المتن وشرحه: تكون الآيات متن والتفسير الشرح.

5- الصورة المزجيّة: يختلط التفسير بالآيات.

6- من حيثية الشمول والنقص: تفاسير شاملة لجميع الآيات، وتفاسير ناقصة.

7- التفسير الجامع لعلوم (علوم القران ، اللغة ، والادب ، والاقوال ، والروايات)؛ وقد يكون التفسير مختصا بفن من الفنون كالروائية او الادبية[1] .

وتوجد ملاحظات عديدة على هذا النموذج:

الاولى: ان ادراج التفسير الترتيبي والموضوعي تحت مسمى (اسلوب الكتابة) لا يخلو من تسامح في التعبير والتوظيف؛ فماهي علاقة اسلوب الكتابة -اي ما يخصّ التعبير- بنمط وشكل ترتيب البحث التفسيري؟

اذ ان توصيف طريقة ترتيب كتابة التفسير هي غير اسلوب الكتابة الذي يتعلق بالتعبير والبيان وطرائقه.

الثانية: حجم المادة التفسيرية لا يعود لأسلوب الكتابة التي هي طريقة التعبير وصياغة المحتوى او كون التفسير مختصرا او متوسطا او مفصلا؛ انما يعود لغرض المفسر ودوافعه من التأليف.

الثالثة: ما ذكره حول اختصاص التفسير بفن من الفنون هو توصيف لـ(اتجاه التفسير) بتغليب فن ومنهج على اخر كما عبّر أكثر المؤلفين، ولذا قد لا يكون في هذا التوصيف اشكال اذا انتبهنا الى ان المؤلف ادرج (الاساليب) تحت (الاتجاهات)! فيكون أصل التقسيم مشكلا من رأس ويستحكم الاشكال في توصيف جملة مما اعتبره من الاقسام بانها اساليب كتابة!

5- واقترب تقسيم أحد الباحثين من التقسيم السّابق؛ فقسّم «التفاسير القرآنية بلحاظ أساليب التفسير إلى قسمين:

([1]) ينظر: مناهج التفسير واتجاهاته :29-31.

1. ما كان مختلفاً من حيث التوسُّع والإيجاز في التفسير. وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى:

أ. تفسير تحليليّ؛ ب . تفسير إجماليّ.

أ. التفسير المختصر؛ ب . التفسير المتوسِّط؛ ج . التفسير المفصَّل.

أ. التفسير المزجي؛ ب . التفسير التشريحي التفكيكي.

أ. التفسير الكلّي؛ ب . التفسير الجزئي.

2. ما كان مختلفاً من حيث عموم الموضوعات التي تقابل المفسِّر في كلّ سورةٍ، ومن حيث خصوص موضوعٍ بعينه في القرآن الكريم كلِّه. وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى:

أ. التفسير الترتيبي (وفق المصحف). والأصحُّ أن يُقال له: التفسير التجزيئي الموضعي...

ب . التفسير الموضوعي أو التوحيدي أو الارتباطي...»[1] .

ولم يذكر الباحث مصاديق وامثلة لتلك الاقسام ليتضح قصده اكثر ويكون تقسيما واقعيا، لذا يلاحظ على التقسيم ما يلي :

أولا: ان مفردة (التحليلي) وقع الخلاف في مفهومه بما مر بيانه؛ فان كان يقصد بالتحليلي هو الـ(منهج) المتبع في تفكيك النّص وشرح المفردات والجمل وابراز ما فيه من فوائد ... فهذا يعد الاساس والمنطلق لكل عمليّة تفسيرية، ثم ما فرقه عن (التفسير التشريحي التفكيكي) الذي ادرجه في التقسيم ؟!، ويشكل الامر: ان كان بمعنى (التجزيئي الترتيبي)؛ لأنه قد اورده في القسم الثاني فمؤكد جدا لا يقصد به (الترتيبي التجزيئي)! .

اذن يكون مراده بالمنهج التحليلي هو مفهومه السابق الذكر، وحينئذ ينبغي ان يعدّه (اسلوبا) بمعنى (طريقة) لا ان يُقحَم به ما بين الاقسام التي قُسمت بلحاظ (التوسع والايجاز)؛ لان كل عمليات التفسير لا تستغني عن تحليل النص القرآني سواء كان اجماليا او مختصرا او متوسطا او كليا او جزئيا، ثم هل (التفسير) غير بيان المعنى الافرادي والتركيبي واستنباط الثمرات من خلال ما يظهر من علاقات بين آيات القران الكريم ومفرداته؟، وهو المقصود من (التحليل) التفسيري بكلمة موجزة؛ فكيف ساغ إفراده؟!

ثانيا: وفي توصيف التفسير الترتيبي والموضعي، وظّف لهما أكثر من لفظ، دون ان يلتزم بمصطلح واحد لكل منهما ليتداوله في الاستعمال، ومعلوم ان توظيف أكثر من مصطلح

([1]) ينظر: تفسير القرآن الكريم، الأساليب والاتّجاهات ، محمد عباس دهيني ، الموقع الرسمي (22 ديسمبر 2017/ التصنيف : منبر الجمعة؛ https://dohaini.com/?p=2481

يوقع في الإيهام واللبس؛ لان بعض المفاهيم تتداخل مع بعض الاقسام كما في (الموضعي) الذي وصف به (التحليلي)!!

والارتباطي غير الموضوعي بما مرّ بيانه ولكنه يدخل في تعزيز الفهم والاستكشاف بغية الربط فيما بين مدلولات الآيات فيكون احد صور آليات التفسير الموضوعي في اكتشاف الوحدة الموضوعية والعضوية[1] .

6- وذهب الدكتور محمد صالح محمد سليمان الى تقسيم (الاساليب) على اساس تفسير الجمل والالفاظ القرآنية ؛ على:

الاول: التفسير اللفظي.

الثاني: التفسير على المعنى.

الثالث: التفسير بالقياس.

ويعزى هذا التقسيم الى ما ذكره "ابن القيّم" بما اصطلح عليه بأصول التفسير[2] .

والتقسيم ينطلق من مفهوم الاسلوب المستعمل في علوم العربية والبيان فيتناول بنية اللفظ ومستوياته، والمعنى وتنوعه ، والقياس ، ويعدّ احد آليات العمليّة التحليلية للنّص.

7- وقسم أحد الباحثين (الاسلوب) على:

الاول: اسلوب التفسير التجزيئي؛ ووصفه بالمنهج! اذ يسير المفسر في نطاقه مع المصحف ويفسر قطعاته تدريجيا بما يؤمن به من ادوات ووسائل للتفسير .

ثانيا: اسلوب التفسير الموضوعي؛ وهو المنهج الذي لا يسير المفسر فيه مع القران اية آية بالطريقة التي يمارسها في التجزيئي وانما يحاول القيام بالدراسة القرآنية لموضوع من موضوعات القران التفسيرية او الاجتماعية او...الى اخره.

ليكتشف موقف القران من الموضوع المطروح[3] .

وهذا التقسيم قائم على العلاقة بين الاسلوب والمنهج ، ويبدو من خلال تعريف الاسلوبين هو توصيفٌ لما قبل الشروع وبيان لما ينبغي ان يلتزمه المفسر من الاسلوبين ، لهذا لم يدرجهما المؤلف من جملة المناهج التي تناولها في كتابه[1] .

([1]) ينظر: التدبر الموضوعي في القران الكريم : 118، 477-496.

([2]) ينظر: اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق، محمد صالح محمد سليمان :60- 94.

([3]) ينظر: المناهج التفسيرية للنص القرآني عند الامام الصادق(ع)، امير كريم الصائغ (ديوان الوقف الشيعي ، ط1 ، 1436هـ-2015م): 55-58 .

8- وقسّم السيد كمال الحيدري (الاساليب) على :

اولا- التجزيئي . ثانيا- الموضوعي. ثالثا- التركيبي.

و يرى بان العملية التفسيرية بأسلوبها الموضوعي - أيا كان المنهج المتبع- لا تنفك عن الاسلوب التجزيئي ، وهذه العلاقة الوطيدة بين الاسلوبين انما هي من طرف الموضوعي الذي يعتمد على معطيات التجزيئي ، واما التركيبي فهو الاسلوب الجامع بين الاسلوبين لما يتوافر عليه تفسير المفسر من المعطيات التجزيئية والموضوعية فيكون اقرب لواقع النص القرآني ومقاصده[2] .

ويبدو ان هذا التقسيم للأساليب يوظف الاقسام للتوصيف القبلي والبعدي على حدٍّ سواء ويستظهر ذلك من موارد عديدة في تعبير المؤلف[3] .

9- وقسّم الشيخ محمد علي اسدي، (الاساليب) على قسمين:

الاول: على اساس تفسير الآية اطلق عليه (اسلوب تفسير الآية او الاسلوب الخاص).

والثاني: على اساس تفسير القران اطلق عليه (اسلوب يعم كل القران» اي يشمل جميع الآيات ثم يمثل له بالأساليب: 1- اسلوب التفسير الترتيبي، 2- التفسير الموضوعي، 3- هناك نوع اخر من التفسير بأسلوب خاص له خصوصيتان: خصوصية التفسير الترتيبي وخصوصية التفسير الموضوعي[4] .

وتُسجّل ملاحظات عديدة على هذا التقسيم:

1- لم تكن عبارات المؤلف دقيقة وواضحة في توصيف الاقسام، وصف الاسلوب الاول بانه (اسلوب خاص) يتخذه المفسّر وذكر مثال لذلك اسلوب الطبرسي في مجمع البيان؟! بينما هو ليس بأسلوب خاصّ بالطبرسي وانما هذا هو(التفسير التحليلي) الذي يعد احد اقسام الاساليب المعروفة! ، والّلافت انه وظّف المفهوم نفسه(اسلوب خاص) في وصف الاسلوب الثالث من القسم الثاني[5] .

([1]) ينظر: م ن : 69-172

([2]) ينظر: مناهج تفسير القران – بقلم طلال الحسن- (من ابحاث السيد كمال الحيدري): 172-182.

([3]) ينظر: م ن : 172-184.

([4]) ينظر: المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة ، محمد علي اسدي : 22-23 .

([5]) ينظر: المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة : 23.

2- يُشترط في التقسيم عند المناطقة توافره على ثمرة؛ فما هي الثمرة من وراء إفراد قسما وصفه المؤلف بأسلوب تفسير آية او الخاصّ مع ان المثال الذي ذكره لم يخلو من اعتماد الاسلوب التجزيئي التسلسلي لأنه الاصل في اي عملية تفسيرية لنصوص المصحف الشريف، فماهي (الثمرة) من جعله قسما يقابل التجزيئي والموضوعي وغيرهما؟!

3- عدّ اقسام الاسلوب الثاني امثلة ووصفها بالأساليب ايضا[1]! ، فيُفهم من كلامه بان القسم الثاني هو اسلوب وله ثلاثة اساليب؟!، لقد كان توظيفه للمصطلحات غير دقيق وفيه اضطراب.

4- وصف القسم الثالث من الاساليب للقسم الثاني بانه ليس ترتيبيا ولا موضوعيا! ولكن له خصوصيتي الترتيبي والموضوعي[2] ، ولم يظهر وجه الالتفاف في التعبير؟ فكان بإمكانه ان يقول اسلوب جامع لكلا الاسلوبين!

بعد استعراض نماذج من التقسيمات الرائجة يظهر الاختلاف فيها نسبيا ومن حيثيات مختلفة: عددها؛ اساسات التقسيم؛ عدم مراعاة المرحلة القبليّة والبعديّة، اقحام بعض الاقسام في بعض؛ توظيف بعض المصاديق للأقسام؛ اما بسبب الاختلاف في مدلول الالفاظ ومفاهيمها او توظيف أحد الاقسام لمقسم آخر كالنوع مثلا.

المطلب الثاني: اسباب الاختلاف في تقسيم الاسلوب:

ان من اجلى الاسباب في اختلاف التقسيمات لدى المؤلفين والباحثين هو اختلافهم في زوايا النّظر، واختلافهم في الاعتبارات التي لوحظت في التقسيم، والاساس المعتمد في القسمة، والطرق المتبعة في التعرف على الاقسام واكتشافها، فلا يخلو اي تقسيم من هذه المنطلقات المعتمدة والتي هي الوجه البارز لأسباب الاختلاف!

ويمكن ملاحظة وجوه تعتبر اسبابا في الاختلاف منها:

الاول: الخلط والتداخل بين الاسلوب والمنهج:

أكثر الذين وظّفوا لفظ اسلوب عنوا به (الطريق والطريقة)، وكل من تناول مصطلح (مناهج المفسرين) انما يقصدون به (طرقهم وطرائقهم) ايضا وهذا يعدّ من أجلى صور التشاكل المؤدي الى وقوع المتلقي في الايهام واللبس!

([1]) ينظر: المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة:23 .

([2]) ينظر: م ن :23.

ان للتقارب الدلالي والوصفي بين اللفظين وتوظيفهما في التصنيف والحكم يعدّ سببا رئيسيا واساسيا في اختلاف المؤلفين في التقسيمات وحصول الخلط بين اقسام المناهج والاساليب بحسب ما يعتمدوه من مباني تصوريّة عن المصطلحين.

عندما يستعمل مصطلح (اساليب المفسرين) ويراد به طرقهم او طرائقهم، ويستعمل مصطلح (مناهج المفسرين) ويراد به المعنى نفسه، وتدرج بعض اقسام المنهج للأسلوب وبالعكس، فهنا يلزم تقديم معالجة تجعل كل مصطلح في موضعه المناسب له من ناحية علمية وفنيّة ويُلتزم بلوازم ذلك الوضع والجعل في مراعاة المرحلة القبْليّة والبعديّة للعملية التفسيرية.

فمن ذهب الى توصيف اساليب الخطباء والمبلغين لمعارف تفسير القران الكريم بأساليب تفسير وقسّمها الى انواع ستة:

النوع الأول: أسلوب التقرير العلمي.

والنوع الثاني: الأسلوب الوعظي.

والنوع الثالث: الأسلوب الاستنتاجي.

النوع الرابع: أسلوب الحَجاج الشرعي.

النوع الخامس: الأسلوب البياني.

النوع السادس: الأسلوب المقاصدي[1] .

يعتبر هذا توظيف لمصطلح (الاسلوب التفسيري) في غير مورده المخصص له ، لانّ المؤلف هدفه بيان طرق تبليغ معارف القران الكريم للناس[2]، وقد راج استعمال الاصطلاح في خصوص علم التفسير ؛ إما باعتباره طريقة ترتيب وعرض للمحتوى او بما يقرب من مدلول منهج فيكون آليّة ووسيلة في البحث ، وهذا يوقع المتلقي في اللبس والايهام ، ويعدّ توظيفا للمصطلح والاقسام في غير مواردها المخصص لهما وهذا احد اسباب الاختلاف في التقسيمات .

ومن جملة الاسباب اختلاف المؤلفين والباحثين في توظيف ما راج توصيفه (بالتفسير الموضوعي) ، فبين مَن عدّه مِن المناهج التفسيرية ومَن عدّه مِن الاساليب، ويبدو ان الاختلاف سببه عدم نضج نظريته وما يرتبط به من مسائل فكرية؛ وهذا يعني عدم

([1]) ينظر: أساليب التفسير، عبد العزيز داخل المطيري : 7-10 .

([2]) ينظر: م ن : 7 .

وضوح حقيقة مفهومه بوصفه مصطلحا جديدا وان كان لإليته جذورها عند المتقدمين، فهو من هذه الناحية لا يزال قيد الدراسة والتنظير والانضاج لحيثيته: النظرية والتطبيقية[1].

وتقدم الكلام عن مصطلح (منهج التفسير) بِعَدّه أحد مفاهيم المرحلة التي تسبق شروع المفسر بتدوين تفسيره؛ والاصحّ استعمال مصطلح (منهاج التفسير) لاختلاف المفهومين في الحيثيات التطبيقية والاجرائية، فمنهاج التفسير هو تعبير عن خطة وبرنامج المفسر يعدّها قبل دخوله للعملية التفسيرية، بينما مصطلح (منهج) هو تعبير عن نظام قائم على الترتيب ومراعاة الاولوية في الاصول والقواعد والنظر والاستدلال في ايٍّ عملية بحثية بغية الوصول للحقيقة والمطلوب. ودائما يستعمل المنهج في البحث العلمي بينما المنهاج يكون شاملا وأعم من المنهج في العملية التفسيرية؛ لان المفسر يبتغي فهم نصوص مقدسة (خطاب الهي) فنتائج العملية الكشفية والابانة خاضعة لمعايير تعتبر جملة منها توقيفية كأكثر المفاهيم الشرعية الخاصة الواردة في النص القرآني وما خصصته السنة الشريفة من عموميات او قيدته من اطلاقات.

ومما تقدّم: ان تقسيم المنهج انما هو بلحاظ ما يستعمل ويوظف لأجله من موضوعات قابلة للبحث –اي نقطة الانطلاق تبدأ من التشكيك او اعتماد فرضيات واستفهامات – بينما تقسيم المنهاج التفسيري يكون بلحاظ مراعاة مرحلة ما قبل الشروع بالنسبة للمفسر (اعداد الخطط والبرامج) ويكون بلحاظ مرحلة ما بعد شروع المفسر اي ما يكشف عنه الدارسون ويستظهرونه من اداء المفسر في تفسيره فيكون المصطلح لهذه المرحلة منهاج المفسر. وتصنّف التفاسير بلحاظ عناصر الخطة ومفردات البرنامج اعتمادا على معايير شرعيّة نقلية وما تصالح عليه العقلاء في فهم الخطاب الالهي *.

وبناء على ما تقدم: الأساليب – بمفهومها عندهم– ستتداخل مع ما ذهب اليه البعض من عدّ بعض الأقسام تندرج تحت المناهج (بناء على مفهومه الاصطلاحي الوافد المستعمل في أصول البحث العلمي) ولهذا اختلفوا في توظيف (التحليلي) و (المقارن) بين من يعدّهما منهج تفسير واخر يعدهما من أساليب التفسير!؟

وهكذا في البياني والعلمي والصوفي و... الى اخره.

([1]) ينظر : التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ، الخالدي : 37–44.

(*) وتفصيله في فصل المعالجة سيأتي لاحقا .

بينما لو استعمل مصطلح (منهاج) بدلا من (منهج) فان الأساليب –بمفهومها عندهم– * ستكون داخلة في عناصر ومفردات المنهاج التفسيري بأقسامها المعتمدة عندهم ** . بينما عند مقابلة المنهج بالأسلوب سيحصل الخلط والتداخل.

الثاني: التداخل بين الاساليب والانواع: وظِّفت اقسام الاساليب للأنواع وبالعكس، وهذا التداخل والاقحام في الاقسام يكشف عن عدم دراسة المصطلح بملحظ ما قبل الشروع وما بعد الشروع فتوصيف الشيء بإنّه (نوع) يقتضي كينونته وتمثّله، وتوصيف امر ما إنّه (اسلوب) يحتمل الكينونة والتمثّل ويحتمل كونه صورة ذهنيّة مستلبَة من نموذج يراد النسج على منوالها (بناء على الاصطلاح المعتمد عند اهل البيان والبلاغة) اي قواعد إجرائية مُعَدّة للتطبيق؛ فاين النوع من الأساليب ؟!

فمن قسّم الطُّرق او الطرائق التفسيرية الى أنواع بلحاظ تمثّلها في مدونات التفسير وباعتبارها مادة تفسيرية (منتج) فهذا يعدّ تصنيف لا تقسيم، وينبغي ان تصنف التفاسير الى انواع، فيكون لفظ (التفسير) بما هو مادة مقروءة –منتج– اصنافا للأنواع التفسيرية: التحليلي والاجمالي والموضوعي... الى اخره.

واما إذا اعتبرت (اساليب) فان تصنيف التفاسير على ضوئها يكون غير دقيق ولا يتوافق مع واقع المدونات التفسيرية لتضمنها اكثر من اسلوب.

بينما تكون الاساليب في المرحلة القبلية بما هي قواعد اجرائية يسار عليها في المرحلة

التنفيذية تتقارب مع المنهج في دوره الاجرائي مجردا عن الشخصية وذوقها وتفننها لان المنهج لابد من تجريده من الميول.

الثالث: عدم التقيد بضوابط الاصطلاح؛ بعض مؤلفي مناهج التفسير والمفسرين استعملوا المفاهيم والتقسيمات دون ان يتقيدوا بما تواضع عليه جملة من اوائل المعاصرين الذي سبقوا الى بذر هذه المفاهيم والتقسيمات والعمل على تهذيبها وتطويرها وتنقيحها فنجد بعضهم يُنظّر بعيدا عن نتائج السابقين، ويُقعّد خارج المنظومة ويطرح مفاهيم وتقسيمات دونما ان يُجري مقارنة بين ما يطرحه وما طرحه السابقون في هذا الفن من العلماء الاجلاء والباحثون المجتهدون جزاهم الله خير جزاء المحسنين.

(*)لا يُعتمد في هذه الرسالة على كل المعاني التي اعتمدها مؤلفوا مناهج التفسير والمفسرين وانما سيتم التطرق لمصطلح مفهوم الأساليب في فصل المعالجة لاحقا .

(**) ولا نُسلِّم بكون الاساليب آليات داخلة في بناء الخطة التفسيرية وسيتضح مفهومه في الفصل الثالث .

الرابع: تأثير التخصص او الاهتمام في توظيف المفهوم، فمن كان متخصصا في علوم اللغة العربية ومهتما بفرع من فروعها كالأدب فإنّه يوظف لفظ (اسلوب) بناء على الاصول البيانيّة، الادبية اي بما يناسب تخصصه.

فللتخصص تأثيرا على تحديد مفهوم الاسلوب وبالتالي تحديد الاقسام وانتخابها.

وهذا التنوع المعرفي وان كان ايجابيا يثري الحقيبة العلمية لعلم التفسير ومفاهيمه إلا انه يشتت خصوصية المصطلحات ويؤدي الى حصول التداخل بين الاقسام وتوظيفها.

الفصل الثالث: معالجة اشكاليّة تقسيم وتوظيف المفاهيم

المبحث الأول: الاصطلاحات المخصّصة بالمرحلة القبْليّة (فيما يخصّ إعداد المنهاج التفسيري وتأسيسه):

المطلب الاول: ضرورة التمييز بين (التفسير) و(البحث التفسيري).
المطلب الثاني: (منهجية التفسير) مصطلح رئيسي.
المطلب الثالث: التفسير وانواعه.
المطلب الرابع: مصطلح الاتجاه ما بين التفسير والبحث التفسيري.

المبحث الثاني: الاصطلاحات المخصّصة بالمرحلة البَعديّة (فيما يخصّ الدارسين والباحثين في التفاسير)

المطلب الاول: (منهاج المفسر) البعديّ وعدم مطابقته مع (المنهاج التفسيري) القبليّ.
المطلب الثاني: تصنيف التفاسير بناء على انواع التفسير.
المطلب الثالث: مبنى المفسر الفكري واختلافه عن منهج البحث التفسيري.
المطلب الرابع: مفهوم الاسلوب.

(تقديم): مرّ علينا في الفصول والمباحث السابقة صور الخلط والتداخل بين المؤلفين والباحثين واتضحت موارد الاختلاف فيما بينهم في توظيف المفاهيم والاقسام بما يوقع المتلقي (الدارس والباحث) في اللبس والايهام والتشويش.

وحتى تكتمل ثمرة البحث لابد من طرح معالجة لهذه الاشكالية، وان كان الباحث لا يرى نفسه اهلا لهذه المهمة الكبيرة والمعقّدة والتي لا يضطلع بها من امثاله بل هي من شأن الاساتذة والعلماء الثابتة اقدامهم في العلم ولديهم الخبرة ويُشهد لهم في حصافة الرأي ورصانة البيان ودقّته.

لكن مقتضيات البحث تدفعني الى إتمامه لتنضج ثماره، وحتى لا يكون تقصير وتضييع للواجب العلمي او ان أُوصف بالعجز والنكول وهذا ما لا ارغب بان أقع فيه وأُقرن باهل الكسل والخمول.

وما أقدمه من معالجة يُطرح على طاولة النّقاش والفحص والتنقيح بين يديّ الاساتذة الكرام واهل الخبرة في العلم.

وتتألف المعالجة من تمهيد ومبحثين.

(تمهيد): لكي تكون المعالجة مبنية على أسس واضحة ومتينة يجب ان ترتكز على اصول تكون المنطلق والمرجع. ويعبّر عنها بـ **(أصول المعالجة):**

الاصل الاول: ان المعالجة لا تخرج عن دائرة العرف التخصصي في علم مناهج التفسير والمفسرين وسيُعتمد على ما وصل اليه المؤلفون والباحثون الكرام حول جملة من الاصطلاحات والتقسيمات التي يراها الباحث منسجمة مع العلم ومنطلقاته في المعالجة.

الاصل الثاني: ترتكز المعالجة على واقعية القبليّة والبعديّة، فان السلوك الفكري والمعرفي للمفسّر قبل واثناء شروعه في التفسير يختلف ويغاير السلوك الفكري والمعرفي لدى الدارسين والباحثين في التفاسير ، وهو موقف بعديّ بالنسبة للمفسّر.

الاصل الثالث: رفض استعمال الالفاظ والمفاهيم بنحو التسامح والتجوز بما يؤدي الى الايهام بالاشتراك والترادف، وعليه فان البحث عن خصوصية الاستعمال للألفاظ والدقة في توظيفها هو ما يرتكز عليه.

الاصل الرابع: ارجاع كل مصطلح ومفهوم الى جذوره وموائمة مدلوله مع الحقيقة والواقع التنظيري والتطبيقي للعملية التفسيرية.

الاصل الخامس: تحديد العلاقة بين علم المنهجة وعلم التفسير على اساس ما هو عقلي يعتمد علم المنطق ومصطلحاته وعلى اساس ما له الاولوية شرعا بالاتفاق فيما يخصّ التفسير.

من خلال هذه الاصول سيُعتمد تحديد المفاهيم وبيان الخصوصية في استعمالها، وستُعتمد في ترجيح الكيفية المختارة في التوصيف والتصنيف القبْليّ والبَعديّ.

المبحث الاول: الاصطلاحات والمفاهيم المخصّصة بالمرحلة القَبْليّة

(فيما يخصّ اعداد وتأسيس المِنهاج التفسيري)

في هذا المبحث تُحدد الاصطلاحات والاقسام المناسبة لهذه المرحلة التي يكون فيها المفسر هو اللاعب الاساسي في ادارة العمليّة التفسيرية منذ لحظة الاعداد والتهيئة للخطة التفسيرية وحتى فراغه من تدوين كتابه التفسيري وجاهزيته للتداول بين يدي القراء والمتلقين على اختلاف مستوياتهم.

فمفهوم (القبلية)* توصيف بالنسبة لما قبل الشروع بتطبيق الخطة التفسيرية ، فالمادة المفسّرة هي تجلٍّ لأمرٍ قبليٍّ تم اعداده بعناية وتحرّي ودراسة وتقصي وفحص وبحث، وليس هي نتيجة لإجراء اعتباطي غير ممنهج .

وبعبارة أكثر وضوحا:

ان الحركة الفكرية والسلوك المعرفي للمفسر في مرحلة اعداد خطته التفسيرية وتهيئة نفسه للقيام بهذه المهمة العظيمة والشريفة والخطرة!، يكون محوره (البناء والتأسيس).

فمنطلق التفكير لدى المفسر يكون نحو (التأليف والتركيب واستلاب الطرائق وتوظيفها)؛

(*) ابتكر الباحث – بفضل الله وتوفيقه – فكرة التفريق بين مرحلتي القبلية والبعديّة لمعالجة إشكالية الخلط والتداخل فيما بين المفاهيم والاقسام ؛ ولم يجد هذا التفريق في مدونات علم التفسير ومناهجه سوى اشارات وفي حدود مفهوم المنهج فقط من قبل بعض المؤلفين والباحثين الكرام في بيان خصوصية المنهج فقد جاء في كلمات بعضهم «إنّ تحديد المناهج في معظم التفاسير المتقدمة هو تحديد بعد الوقوع» ، مناهج تفسير القران ، طلال الحسن :34 ؛ واشار اخر: «المنهجية هي معايير فكرية وقوالب موضوعية توضع لتحديد آليات العمل المعرفي قبل الشروع ...» ، الاسس المنهجية في تفسير النص القرآني ، عدي الحجار:23.

المفسر في هذه المرحلة يجمع مقومات خطته من (الاصول والقواعد والادوات والوسائل والاليات والمصادر).

ان ما يجتمع في ذهن المفسر من خزين علمي ومعرفي عن التفسير بما هو علم وخبرات افادها من كتب التفسير وغيره؛ وهذا يجعلنا امام امرين:

الاول: معلومات مخزونة في ذهن المفسر عن علم التفسير وخبرات المفسرين.

الثاني: ضرورة تنظيم تلكم المعلومات المخزونة وترتيبها على نسق منهجي لغرض رسم خطة محكمة لتنفيذها.

من خلال هذين الامرين تتضح ضرورة الاعتماد على علم المنهجيّة لرسم خطة المفسر [1].

وبما ان هذه المرحلة تخصّ المفسر ففيها يتوصّل لبناء خطته التفسيرية فالأصوب التعبير عنها بمرحلة (منهجية التفسير) اذ يقوم المفسر بِمنْهَجَةِ خُطّته التفسِّيرية.

وعليه: فالسؤال الاساسي الذي ينبغي طرحه:

ماهي المفاهيم والاصطلاحات التي تناسب هذه المرحلة وماهي الاقسام الخاصة بالمفاهيم التصنيفية؟

والجواب يكون ضمن المطالب الاتية:

المطلب الاول: ضرورة التمييز بين (التفسير) و(البحث التفسيري):

من أهم منطلقات المعالجة هو ضرورة التمييز ما بين مفهوم التفسير بما هو مصطلح يقصد به العلماء: الكشف والإبانة لمعاني آيات القران الكريم.

وما بين مفهوم البحث التفسيري وهو الانطلاق من مشكلة تفسيرية لموضوع او قضية معينة يراد الوصول فيها الى حلول او اجابات، اينما كانت دائرتها: النص او الواقع.

ويترتب على هذا التمييز جملة من الثمرات والفوائد أهمها:

1- تحديد وظيفة علم التفسير وبالتالي المفسر فان المفسر يستند على قواعد واساسيات ثابتة في فهم النص والكشف عنه لا تتعدّى حدود مقتضياته، ولا يتوسع في تبيينه وتعبيره خارج حدود دلالة الآيات القرآنية ولا يُحمِّل المداليل ما لا تحتمله.

([1]) مما تجدر الإشارة إليه الى ان هذا الفصل ومباحثه لا يراد فيه بيان كيف يجب ان تكون العملية التفسيرية وانما الغرض من الكلام عن مراحلها هو لبيان المفاهيم والاصطلاحات التي تتعلق بها وترتبط بمراحلها .

2- ان البحث التفسيري غير التفسير لان المفسر قد لا يكون باحثا ولا همه ان يتناول القضايا المثارة حول موضوع في القران او موضوع من مجالات الحياة فيجعل القران مصدره في البحث ولكن هناك من المفسرين من تغريه حلاوة المعرفة ويدفعه فضول الاستكشاف بان يتناول الموضوعات التي تطرق اليها المفسرون قبله فيبحثها او يتناول موضوعات قرآنية او من مجالات الحياة المعاصرة فيبحثها حسب تمشيه مع آيات القران الكريم؛ فيقف ويغوص في اعماق الخزائن القرآنية مستعينا بمنهج العلم الذي يخص الموضوع الذي يبحثه : لغويا او فقهيا او عقائديا او سياسيا او صوفيا وعرفانيا او تاريخيا ...الى آخره، وهذا البحث لا علاقة له بالتفسير؛ لان التفسير مرحلة تسبق البحث التفسيري ، فليس بالضرورة ان تشتمل خطة المفسر على بحث في الموضوعات .

3- ان التداخل ما بين التفسير بما هو علم وما بين مناهج البحث العلمي ، أوقع في مشاكل عميقة ضربت اساسات جملة من الاعتقادات المحورية الا وهو الاصول الايمانية والاساس الشرعي مما اضطر الباحثون قديما وحديثا الى طرح تنويع التفسير بالمأثور والتفسير بالراي ثم اللجوء الى تقسيم الراي الى المحمود و الراي المذموم ؛ لانهم لا يتعقلون الغاء دور العقل (اداة الاجتهاد) في العملية التفسيرية .

ووقع المؤلفون في إشكاليّات منهجية ومفهومية كتوصيف الانواع بالاتجاهات والاتجاهات بالمناهج.

ويبدو ان المعالجة تكون من خلال التمييز بين التفسير بما هو: إجراء كشفي لمدلول النص (افرادا وتركيبا) للوقوف على مراد القائل.

وامّا الدخول في استطرادات خارج مقاصد الخطاب فهو لا يمت للتفسير بأي صلة؛ لهذا توالت البحوث التفسيرية على مرّ العصور وتراكمت بشكل كبير جدا وساد الاعتقاد بإنّها (تفسيرا للقران) بينما هي بحوث علميّة خارج مراد الخطاب القرآني ويبدو ان هذا الخلط يعاني منه التفسير منذ الف عام تقريبا.

4- ان نتائج العمل التفسيري يصدق عليها تفسيرا وذلك استنادا الى اجماع علماء التفسير في تعريفاتهم له، بينما يشكُل اعتبار نتائج البحث التفسيري تفسيرا؛ لانّ المفسر تناول قضايا خارج دلالة الخطاب الالهي، فالعملية البحثية تجري استنادا لمقتضيات الموضوع المبحوث فيه لا لمقتضيات النص القرآني، وحينئذ الوسائل والادوات توظف لغرض وغاية موازية لمضمون النص القرآني، هذا ان لم يكن الغرض خارج المضمون!

وعليه؛ فليس من المنطقي ان تُنسب نتائج البحث الى الخطاب القرآني ونصوص الكتاب العزيز.

وربما يعترض هنا اشكال: ان البحث التفسيري ليس بالضرورة تكون معطياته خارج النص اذ قد يكون من صميم النّص كما في آيات الاحكام الفقهيّة التي تبحث في الاوامر الالهية والمناهي والحلال والحرام؟ وكذلك الحال في آيات العقيدة؟!

وجوابه: ان الصناعة الفقهية والاصولية لم تظهر الا بعد ظهور الفرق الكلامية والمذاهب الفقهية؛ فهل كانوا في عهد النبي وعصر النزول يدرسون القواعد الفقهية والاصولية ليفهموا الخطاب الالهي؟ لا اظن ان احدا يقول ذلك، بلى هناك مفردات يسيرة حصل النّقاش عليها وقد اجاب عنها القران نفسه: يسألونك ماذا ينفقون؟ يسألونك عن ذي القرنين، يسألونك عن الروح ... اما مسائل الحرام والحلال وما يتعلق بالمناهي والاوامر فكانت السّنة تفصّل وتوضح.

وكذلك الحال في العقيدة لم يكن الناس في عصر النزول على اختلاط بمصادر العلوم الفلسفية و بعيدون عن المطارحات الكلامية المتأخرة عن عصر النزول ؛ نعم هناك حوارات قدّمها القران الكريم استعرضها حول أصول العقيدة بصورة واضحة هدفه أثارة التفكير في معرفة الخالق وتوحيده والايمان بالأخرة أي ان الهدف هدائي وتنويري ، اما ان يُفَهم منها ابعد من ذلك فهذا تحميل للنص ولي لعنق الآية ؛ فأقحمت تلك الآيات في مسائل فلسفية و زُجّ بها في الذوقيات كما عند الباطنية والعرفاء والمتصوفة ... بما يجعل النّص خادما لأغراضهم لا مخدوما ، ومحكوما لنظرياتهم لا حاكما .

حتى بلغ الحال ببعض المغرمين في اللغة والبلاغة جعل آيات من القران محكومة لتوجيه بيت شعر لشاعر جاهلي! فخُدِشت حاكميته ونُزّل منزلة المخاطبات البشرية.

المطلب الثاني: (منهجية التفسير) مصطلح رئيسي:

ورد معنى المَنْهَجيّة في المعاجم المعاصرة بانّه : «مصدر صناعيّ من مَنْهَج/ مِنْهَج: نظامُ طُرُقِ البحث»[1] وهو « (باللاتينية: Methodologia) هي منظومة تضع المبادئ التوجيهية لحل مشكلة ما، ذات مكونات منها الأطوار والمهام والطرق والأساليب

(1) معجم اللغة العربية المعاصرة :3/ 2291.

والأدوات»[1] وحتى يتضح مفهوم المنهجية لابد من الوقوف على معنى مفردة (منظومة) الوارد في تعريفها فالمنظومة تعني: «مجموعة أفكار ومبادئ مُرتبطة ومنظّمة»[2].

وتعرّف المنّهَجيّة أيضا على انّها «دراسة منطقية لقواعد وطرق البحث العلمي وصياغتها –لمنظومة علم من العلوم– صياغة إجرائية تيسر استخدامها»[3] .

فهي العلم الذي يدرس كيفية بناء المناهج واختبارها وتشغيلها وتعديلها ونقضها وإعادة بنائها، وتعدّ مقدمة للتأسيس –في ايّ علم– وتحديد آليات العمل قبل الشروع به، فهي وسيلة حاكمة لصياغة أي منهاج جديد واعداده[4] .

ويخضع (علم التفسير) لعلم المنهجيّة قبل شروع المفسر بالعملية التفسيرية فيجتهد المفسّر في وضع المبادئ التوجيهية ورسم الخارطة النظريّة والاجرائيّة لتأسيس (المنهاج التفسيري) الذي سيعتمده في العملية التفسيرية.

فيقوم المفسر في هذه المرحلة بإعداد خطته وتحديد معالم برنامجه بناء على تحصيل العلوم اللازمة والشروط الواجب مراعاتها، وبعد ان تستقر في وعيه وترتسم بوضوح معالم (خطته) في ذهنه؛ صحَّ حينئذ ان يصفها بـ(المِنْهاج) لا المنهج؛ لان مفهوم المنهاج يشمل الاصول والقواعد العلمية والعملية والنظرية والتطبيقية لعلم التفسير وما هو داخل في ذلك ومن متمماته. فيُعدّ المنهج بالمفهوم الاصطلاحي (طرق البحث والنظر والاستدلال) أحد عناصر ومكونات البرنامج والخطة التفسيرية المعبر عنها بالمِنْهاج.

اذن: رسوخ ووضوح الخطة التفسيرية في ذهن المفسر تعتبر هي صورة **المِنْهاج التفسيري** –هنا– يصحّ ان يطلق عليه بالطريق الواضح بالنسبة للمفسر نفسه ولمن يشرحها له قبل الشروع.

والمِنْهاج هو الخطة المرسومة والبرنامج الذي يتوافر على التفاصيل النظرية والاجرائية للعملية التفسيرية؛ ولو سئل عنه بكيف ستفسر القران الكريم؟ لأجاب بالتفصيل.

وممكن ان يُعرّف **(المِنْهاج التفسيري):**

([1]) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة : (آخر تعديل لهذه الصفحة كان يوم 28 أكتوبر 2020، الساعة 16:55)، الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D1cite_note-#9A%8A%D8%9AC%D%8D%87%9D%86%9D%85%9

([2]) معجم اللغة العربية المعاصرة :3/ 2236.

([3]) منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، مجموعة مؤلفين : 13.، وينظر: الفصل الاول من هذه الرسالة ،المبحث الاول.

([4]) ينظر: الاسس المنهجية في تفسير النص القرآني ، عدي الحجار: 22–24.

(خطة مرسومة، وبرنامج يتوافر على مفردات وعناصر: نظرية وإجرائية؛ ليتم اعتمادها في العملية التفسيرية لغرض فهم النص القرآني فهما سليماً بتحديد المعنى المراد منه، فتُمَرْحَل –الخطة– بخطوات منظمة تراعى فيها الاولويّة الشرعيّة؛ والايمانية؛ ووسائل؛ وآليّات العقلاء في التفكير والمخاطبات، دون الخروج عن دلالة النّص المقدّس، في حدود الاهداف والمقاصد القرآنية الكبرى).

شرح التعريف:

اما (الخطة المرسومة والبرنامج الذي يتوافر على ...) قبل ان يشرع المفسر بتفسير كتاب الله المجيد او يتناول تفسير سورة من سوره الكريمة: يقوم بتحصيل مؤهلات الاستطاعة بالتفسير من ناحية علميّة ومن ناحية روحانية اخلاقية ، ومحور الناحية العلمية هو ان يمتلك تصوراً تفصيلياً عن كيفية تفسير آيات القران الكريم، ويحصل على التصوّر من خلال اجراءات عقليّة وعلميّة في رسم خطة تتوافر على كل المكونات النظرية والاجرائية بحسب ما يقتضيه النص القرآني لا مطلقا، فيجدُّ ويجتهدُ المفسر على تحديد معالم برنامجه اي الخطة المرسومة في ذهنه وينظمها بما يجعلها راسخة وواضحة يسهل عليه تطبيقها.

واما: (لغرض فهم النص القرآني فهما سليما..) العملية التفسيرية غايتها تحديد ما يُفهم من الخطاب الالهي ويصح نسبة هذا الفهم الى المتكلم عزوجل وما لم يكن هذا الفهم سليما فيشكل بل يحرم نسبته الى القائل وانما تصح نسبته إذا كانت خطته على طبق الضوابط المنهجية.

واما: (تمرحل الخطة بخطوات منظمة تراعى فيها..) البرنامج ليس فوضويا وعشوائيا وانما نظام له هيئة مرتبة يتوافق مع النّظم القرآني ولا يتناوله كأي حديث او كلام بشري وانما رُوعي فيه–البرنامج– الأولوية الشرعية من حيثية فهم النص، ومن حيثية التعبير عن ذلك الفهم.

ان المفسِّر ملزم شرعا بمراعاة توجيهات الشارع المقدس في فهم النص بحسب مقتضياته وصياغته التي أُنزل بها لأنه نص مقدس لا يجوز تغييره وتبديل مواقع آياته ولا يجوز تحميله اي فهم خارج حقيقته دون حجة شرعية، وهذا يعني وجوب مراعاة فهم النص من خلال النص نفسه باعتباره مصدر يستمد منه البيان لنفسه ثم بيانات المبعوث به (صلى الله عليه واله).

واما: (آليّات ووسائل العقلاء في التفكير والمخاطبات) فيقصد بالأليّة مصدر صناعيّ من آلة وهي الوسيلة، والإمكانيّة[1] وهو الاداة والقانون العقلي المصطبغ بالأيمان بالله واليوم الاخر وما يتعلق بذلك من اصول الاعتقاد الواردة في القران وقطعيات السنة الشريفة لا مطلقا. وان الخالق عزوجل خاطب عرب الحجاز وهم بشر عقلاء عبر الياتهم في التفكير والمخاطبات ؛ فالحوار تنزيلي اي انه روعي فيه المتلقي وليس بمعقد ولا بملغزّ ؛ لقد كان ردّ الامام جعفر الصادق(عليه السلام) على الباطنيّة الذين يذهبون الى رمزية تعابير نصوص آيات القران؛ بقوله: «مَا كَانَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لِيُخَاطِبَ خَلْقَهُ بِمَالَا يَعْلَمُونَ»[2] لاسيما وان القران الكريم وصف نفسه بالمبين وآياته بالبينات.

ان السير بتطبيق تلك الخطة مع الالتزام بالأولوية الشرعية انما يكون داخل اطار العقل الايماني الذي يتعقل على اساس التسليم والاذعان وليس العقل البحثي الذي يتعقل على اساس التشكيك والفحص، وهذا الخلط صيّر النص القرآني عرضة لأليات العقل التشكيكي واقحمت مفردات النص القرآني في مجالات البحوث الفلسفية بما جعل المفسر يبحث من منطلقات فلسفية تعتمد الشك معياراً في اثبات القضايا. بينما جاء القران ليثبت بداهتها ووضوحها، وهو ما يعرف عند فلاسفة الغرب بجدليّة العلم والايمان، ويعدّ هذا هدم لأساسات العقيدة الاسلامية التي تُوجب الايمان بسلامة القران واعجازه وعدم التشكيك فيما يعدّ من مسلّمات الدين الإسلامي حول وحيّانية القران الكريم.

واما (في حدود المقاصد القرآنية الكبرى): يبقى المفسر محكوم للأهداف والأغراض القرآنية الكبرى والمعبر عنها احيانا بـ(المقاصد) كالهداية والصلاح ونشر العدل وعقيدة الايمان بالله وتوحيده وطاعته، وهذه الاهداف والمقاصد هي المرتكزات التي تنطلق منها كل آيات القران الكريم التي يعبر عنها القران الكريم بـ(الخير) وبـ(الرحمة) و(الهدى)، قال ربنا سبحانه في محكم كتابه المجيد:

{مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [البقرة: 105]

{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} [الإسراء:82]

([1]) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة :1/ 140.

([2]) اختيار معرفة الرجال "رجال الكشي"، الشيخ الطوسي (قم : مطبعة بعثت ، نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، دط ، 1404هـ): 578/2

{قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [المائدة: 15، 16].

فالمفسر يسير بخطته الواضحة عنده نحو تأصيل تلكم الاهداف الكبرى بالعقل الايماني لا اي عقل مطلقا.

ادخال الوسائل البحثية التي تتناول الموضوعات بناء على مقدمات تتضمن على قضايا لا تنسجم مع اصول الايمان ؛ مما اوقع بعض المفسرين في اشكاليات متنوعة كمحاولة اعطاء فلسفة عن حقيقة الوحي على سبيل المثال ومعنى الاعجاز و التشكيك ببعض الحقائق الغيبية المجردة الوارد تفسيرها عن النبي الاكرم والعترة الطاهرة (صلوات الله عليهم اجمعين) مما اضطر بعضهم الى تأويلها بأمور تتقاطع مع النص القرآني، ظنا منهم بجعل دلالة النص القرآني أكثر عقلانية ومقبولية! وهؤلاء لم يميزوا ما بين ضوابط التفسير ومقتضيات النص القرآني وحدود دلالة الخطاب الالهي وما بين البحث العلمي ومقتضياته فخلطوهما معا* .

وفي المطلب مقصدين:

المقصد الاول: الفرق بين المَنهجيّة والمَنْهَج والمِنْهاج:

انّ **المَنهجيّة:** هي معايير فكرية وقوالب موضوعية لا تتلبس بالخصوصيات؛ لان وظيفتها البحث في الوسائل وبناء النسق المعرفي ، وهي مقدمة ضرورية للتأسيس لأي علم، وتحديد آليات العمل قبل الشروع به ، فهي وسيلة حاكمة لصياغة أي منهاج جديد مع ملاحظة مناهج معرفية شتى وتهذيب ما يحيط بها من مؤثرات لتتسق مع ظروف الانموذج المعرفي الجديد المراد اعداد المنهاج له، ومن خلالها يمكن محاكمة

(*) ان القاء نظرة نحو الدراسات المعاصرة عن القران الكريم –خصوصا بعد نفوذ منهاج المستشرقين – يُكتشف حجم الخلط والتداخل فيما بين المنهاج الأصيل لتفسير القران والمنهاج القائم على مباني خارج منظومة العقيدة الإسلامية المستمدة من القران والسنة ، فالقران الكريم يطرح معارفه وعلومه بصورة واضحة وبيّنة لا غموض فيها شرط الايمان بها على أساس كونها وحيا والناقل لها معصوما؛ غير ان المنهاج الغربي –الاستشراقي خصوصا– يتناول نصوص القران على أساس كون الناقل مُدّعي فليس بالضرورة ما ينقله يجب الايمان به والاعتقاد بسلامته فان قصص الأنبياء المنقولة – بنظرهم : تحتاج الى تفكير اعمق من ظاهر ما فيها ؛ فحديث سليمان النبي مع نملة لا يمكن تقبّله الا بعد توجيه دلالة النص توجيها عقلانيا– اعم من التأويل، واتسعت المباحث حول معنى ظاهرة النبوة مثلا! ومعنى الوحي ... وهذا سببه اختلاف المباني العقديّة واساسات المنهاج المعتمد في فهم النص وبيانه.

المناهج– جمع منهاج– وقياسها بنظرة شموليّة[1] .

اما **المَنْهَج** فهو مصطلح يعني كيفية النظر والبحث والاستدلال بغية اكتشاف الحقيقة او الوصول الى المطلوب، وهو بحسب ما يضاف له من موضوع ؛ او مدرسة؛ او نظرية ؛ او شخص...فهو يتألّف من مجموعة قواعد واصول وخصوصيات المضاف اليه فيمثل النموذج المعرفي له، يوصف بحسب متعلّقه؛ لما له من قابلية الاصطباغ بما يضاف اليه من علم او تيار او افراد[2] ، والمصطلح لا يستعمل الا في التعبير عن نظام قائم على الترتيب ومراعاة الاولوية في الاصول والقواعد والنظر والاستدلال في اي عملية بحثية بغية الوصول للمطلوب وهو المفهوم الذي وضعه علماء اليونان ويطلق عليه بالإنجليزية: (Method) * .

ويصحّ تقسيمه بلحاظ موضوعه وما يضاف له كأن يُقال منهج علم الفلسفة ومنهج على الأصول ومنهج علم الاقتصاد والتاريخ وغيرها.

ويصح تقسيمه بلحاظ آليات ووسائل البحث والتفكير كأن يقال المنهج التحليلي والمنهج المقارن والمنهج الوصفي ... الى أخره.

وهذه الأمور يتكفل بها علم أصول البحث العلمي.

ولكن لا يصح توظيف تلك الأقسام من المناهج لعلم التفسير؛ فيقال مثلا من مناهج التفسير: المنهج التحليلي او الفلسفي او الصوفي فهذا خطا شائع مع الأسف في مؤلفات مناهج التفسير والمفسرين.

بل صار في عصرنا الحاضر توظيف اي منهج بحث؛ او اسم ووصف لألية تفكير؛ أو عملية عقلية للتفسير فيقال: التفسير الانتزاعي، والتفسير الحَداثيّ، والتفسير التاريخي، والتفسير الالحادي، ومنطق تفسير القران ... الى آخره، وكلّها اضافات غير دقيقة ولا تصحّ؛ لأنها تؤدي الى جعل قائمة الإضافة الى التفسير مفتوحة ولا تضبط بمعيار واضح وغرض كلي، إضافة الى وقوع المتلقي في اللبس والتشويش حين قراءتها.

([1]) ينظر: الاسس المنهجية في تفسير النص القرآني ، عدي الحجار: 23–25.

([2]) ينظر: الاسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي الحجار:23–24. ، وينظر: الفصل الاول من هذه الرسالة ، المبحث الاول . ولا يراد بمفهوم المنهج هنا المنهج العام او التلقائي .

(*) وعليه فان لفظ منهج في اللغة العربية بحسب المعجمات القديمة لا تتوافق مع ترجمة الاصطلاح اليوناني الوافد فتوصيف المنهج كونه طريق او طريق واضح غير صائب بما مر بيانه في الفصل التمهيدي والفصل الاول .

نعم يصحّ تقسيم (**البحوث التفسيرية**) والدراسات القرآنية بلحاظ ما توافرت عليه من مناهج بحسب موضوعاتها والقضايا المبحوثة.

ويبدو ان مفهوم منهج الاصطلاحي يقرب من الجنبة العقلية ويناسبه التوصيف النظري بخلاف مفهوم منهاج الذي يتوافر على الجانب العقلي والاجرائي بل هو يقرب من التوصيف التطبيقي * .

واما **المنهاج** فهو بلحاظ ما يضاف له من مرحلة؛ ففي المرحلة القَبْليّة: هو الخطة المرسومة والبرنامج المعدّ لتحقيق غاية علم التفسير في بيان دلالات النص القرآني ومقاصده.

بينما في المرحلة البَعْديّة: هو تعبير عن تلك الطرق الواضحة التي سلكها المفسرون في كشف وإظهار المعاني القرآنية.

مما تقدم: المنهجيّة هي مجموع الاجراءات المعتمدة في بناء واعداد المنهاج، والذي يتوافر على مناهج عديدة ومتنوعة منها تخص علم التفسير ومنها تخصّ العلوم الخادمة للعملية التفسيرية.

التفسير بما هو نظرية وتطبيق يتعلق به مصطلح (منهاج) وليس (منهج) والمرحلة التي تتعلق في بناء الخطة التفسيرية (منهاج التفسير) يصطلح عليها بالمنْهَجَية التفسيرية.

هل يوجد **منهج لعلم التفسير؟** وما فرقه عن منهاج التفسير ومنهاج المفسر؟

بناء على مفهوم منهج الاصطلاحي: القواعد والاصول المتبعة في البحث والاستدلال وتقصي المطالب فان علم التفسير يخضع لهذه المنهجة بما هو علم.

وفرقه عن المنهاج التفسيري؛ بان المنهاج اعم واشمل اذ يتضمن على هذه الاصول والقواعد ولكن بنحوٍ مفروغ منه ومسلّم به فيدرج نتائج علم التفسير في الخطة التفسيرية ، البرنامج (المنهاج) .

(*) وتجدر الاشارة الى بيان فرق التدبّر عن مفهوم المنهاج بان التدبر ايضا عملية فكرية تستهدف تحديد المعنى ولكنها ممارسة مفتوحة يحلّق المُتَدّبر – مهما كان مستواه العلمي – في فضاءات متنوعة بغية الاستنارة بأنوار القران وفيضه الوحياني المُطهِّر للقلوب والنفوس ، ولا يلزم منه بيان ما يرد على ذهن المتدبِّر من فيض خاصّ وفتوحات معرفية وتجليّات معنوية ؛ بينما في العملية التفسيرية يلتزم المفسر بخطته وبرنامجه «المنهاج» الذي أسسه بناء على مناهج العلوم وشروط علم التفسير وضوابطه ؛ فيستحضر الخطة والبرنامج في تحديد معنى النّص ، ويستحضر الخطّة والبرنامج –ايضا– في صياغة بيانه عن ما حدّده من معنى دون استطراد وتوسّع ذاتي ذوقي .

فعلى سبيل المثال: اثبات قضية المكي والمدني – بغض الطرف كونها من القواعد او الاصول– يحتاج الى القطع بها الى اعتماد البحث العلمي والوصول الى نتيجة سليمة عنها ليعتمدها المفسر في بناء خطته.

وتجدر الاشارة الى انه: لا يصحّ تقسيم المناهج التفسيرية في هذه المرحلة لان حقيقة الخطة هي ما يتوافر فيها من العناصر والأدوات والوسائل والقواعد النظرية والاجرائية التي يقتضيها فهم النّص وعدم الخروج عن مقتضياته في البيان والكشف؛ بمعنى عدم تأثر المفسر بالاتجاهات الفكرية وان يجنّب بيانه التفسيري عن الاستطرادات البحثية.

بينما البحث العلمي ضمن مجال التفسير (البحث التفسيري) يرتبط به مصطلح (منهج) والفرق بينهما:

ان المنهاج هو برنامج كامل وتام يتوافر على مجموعة ادوات واليات ووسائل ومصادر ومناهج وخبرات مستفادة من المفسرين ... بينما المنهج هو طريق البحث والنظر والاستدلال المعتمد في علم من العلوم الخادمة في العملية التفسيرية كعلم البلاغة وعلم الاصول مثلا.

المقصد الثاني: مفهوم آليّة التفكير الموضوعي في البحث التفسيري:

اصطلحوا على : المقارن؛ والتحليلي؛ والموضوعي؛ والاجمالي بانّها (اساليب تفسير) وهذا توظيف غير مناسب وغير دقيق؛ لانها ادوات ووسائل عامّة لا تختص بعلم دون آخر وانما تُعتَمد في عمليات التفكير في حقول المعرفة الانسانية ، و تخصيصها بالتفسير مع عموميتها في الاستعمال يوقع في اشكالية الخلط والإيهام!.

وأزعم بِعدم صواب تسمية (الموضوعي) اسلوبا تفسيريا، فضلا عن عدّه منهجا او اتجاها تفسيريا. وما اضافته للتفسير بوصفه (تفسيرا) الا إقحام وتوظيف غير دقيق وتخصيص غير مناسب؛ فما اصطلحوا عليه بـ**(التفسير الموضوعي)** ما هو **(الا آليّة تفكير ممرحلة تقوم على إجراءات متعددة كـأولويّة الاحصاء ؛ والتقصي؛ والجمع؛ والاستقراء ؛ ومن ثم الربط بين مدلولات الآيات بلحاظ فكرة تُختَزل بموضوع او سؤال ما).**

واما انتخاب موضوع من القران ثم محاولة جمع كل مدلولات الآيات في تغذية الصور المعرفية عنه، وطرح ما يسمى بالمصطلح او المفردة القرآنية وهو اجراء يخالف ترتيب آيات الكتاب المجيد؛ ويقطع عصب الاتصال والترابط فيما بين نظم الآيات في سورها، وبالتالي تتبعثر جهة الخطاب وتتداخل مناسبات الآيات والسور، ويعد ايضا تصرّف

بالجعل الالهي؛ الذي اراد لكلامه –سبحانه– ان يكون على هذا الترتيب المشهور والمتواتر، فانه –سبحانه– لو شاء لجمع كل الآيات المشابهة في الموضوع واختار لها عنوانا باسم خاصّ لتصبح سورة مستقلّة ومنفردة! ولكنه لحكمةٍ جعل ترتيب الآيات في سورها بهذه الكيفية وعلى هذا النظم والترتيب.

وعليه: فلا يُعدّ التفسير صحيحا ويصدق عليه تفسير اذا لم يُراعَ فيه ترتيب الآيات في سورها والتقيد بتسلسلها في السورة الواحدة، والتوقف عنده من دون تقطيعها؛ لأنه تبعيض سلبي يؤثر على نسق الخطاب و جهاته ومناسبات النزول وشأنه ، ويؤثر ايضا على وحدة السياق والترابط العضوي بين مقاطع الآيات في السورة الواحدة .

ومن يذهب الى عدّه تفسيرا فهو خلط ما بين التفسير وما بين البحث التفسيري.، وهذا اوقع في مشاكل فكرية كثيرة و اضطراب دلالي كبير.

إن فصل المفردة عن الآية وبالتالي الآية عن سرب الآيات الاخرى والتي تحمل غرضا ومقصدا ما؛ هو اجراء يجعل النّظم في حالة تشظي فيؤدي الى الاضرار في السياق بكل مستوياته وبالاتصال والترابط الذي يعد أحد اسرار الاعجاز ولا يجوز تجاهله.

فكل ما اصطلحوا عليه بالتفسير الموضوعي هو في الحقيقة آليّة بحث وليس تفسيرا او اسلوبا تفسيريا في ترتيب الآيات، واما (نتائج البحث) المترشحة عن استعمال آليّة التفكير الموضوعي فهي تنسب للمفسّر بوصفه باحثٌ في قضية من القضايا المعرفية والعلمية ، ولا يجوز عدّها تفسيرا للنص القرآني .

يعدّ توظيف آليّة التفكير الموضوعي في مجالات البحث والدراسة القرآنية من دون اقحامها في تفسير النص القرآني اجراءً صحيحا، فيعتمد المفسر تلكم الالية في بحوثه التي يدرجها في كتابه التفسيري دون ان يخلطها مع نتائج التفسير وانما نتائج بحث حول موضوع ما .

فيُضَمِّن المفسّر خطته (منهاجه) تلكم الاليات لأغراض خاصّة وموضوعات يبحثها *.

(*) أُورِدُ نموذجا لهذا الأصل المنهجي: (تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي) اذ توافر على تفسير للنص دون ان يخلط ذلك مع البحوث العلميّة؛ فنجد المُفسّر بعد ان ينتهي من تفسير الآيات ينتقل الى طرح موضوعات وقضايا مختلفة فيبحثها تحت عنوانات متنوعة كبحث روائي وفلسفي وعقلي واخلاقي ولغوي ... وهذا هو الاصوب والاقرب في سلامة العملية التفسيرية من الاسقاطات الذاتية والمذهبية والتخصصية.

المطلب الثالث: التفسير وانواعه:

ان بين مفهوم (التفسير) بما هو علم وما بين مفهوم (منهج) الاصطلاحي؛ تشابه من حيثية كونهما وسيلة واداة توصلان للمطلوب.

فالتفسير بما هو علم مفهوم مستقل يتوافر على قواعد واصول وشروط وغاية، فمن غير المنطقي تجاهل دلالة اصطلاح التفسير او افراغه من محتواه الدلالي الاصطلاحي فهو طريق لفهم القران الكريم ولإفهام الغير– فهم وإفهام– .

لان دلالة لفظ التفسير تقتضي إعمال العقل والتفكير ليتم كشف ما ابهم في النص وارشاد القارئ او السامع الى ما عناه صاحب النص[1] .

والتفسير بما هو فعل (تطبيق) قائم على مراعاة اجراءات مخصصة.

فلابد من تمييز التفسير بمدلوله النظري عن التفسير بمدلوله التطبيقي، ولهذا لا توجد اي عملية تفسيرية –بهذا القيد– من دون خطة مرسومة وبرنامج واضح المعالم يسير عليه المفسّر.

وكل من تحدّث عن منهج التفسير وقع في خلط بين مدلول التفسير النظري ومدلوله التطبيقي فلم تكن عباراتهم تستقر حول تعريف المنهج التفسيري؛ بينما الحقيقة هي ان التفسير يتقارب مع المنهج– بمدلوله الوافد– من حيثيته النظرية لما يتوافر عليه التفسير من قواعد واصول وشروط ومصادر.

وحقيقة مفهوم المنهج الاصطلاحي – المعنى الحديث الوافد – ايضا من حيثيته النظرية هو عبارة عن القواعد والاصول والادوات، فكيف ساغ اضافة منهج للتفسير؟! مع انهما من الحيثية النظرية مدلولهما متقاربا!؟

والصواب كما اسلفت بان الخطة التفسيرية هي التي يُعبَّر عنها بالمنهاج والذي يتوافر على مكونات العملية التفسيرية ببعديها النظري والتطبيقي.

والتفسير بما هو علم له اصوله وقواعده وشروطه يتنوع الى نوعين :

1) نوع من التفسير يعتمد الاخبار والروايات محورا رئيسيا في الخطة والبرنامج –المنهاج التفسيري– والمفسرون على صنفين :

صنف التزم بنقل الإخبار فلا نجد في تفاسيرهم غير الروايات والاخبار مثلا كتاب علي بن إبراهيم القمّي (ت 307هـ) ؛ وَ (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) لمؤلفه جلال الدين

([1]) ينظر: مناهج المفسرين ، مسلم مساعد ال جعفر: 7–8 .

السيوطي (ت 911هـ) ؛ وَ (البرهان في تفسير القران) تأليف السيد هاشم البحراني (ت 1107) وَ (نور الثقلين) لمؤلفه الشيخ عبد علي بن جمعة الحويزي (ت 1112هـ) وهذه المدونات وانْ كان يظهر عليها نزعة المفسر الكلامية والمذهبية بمعنى انه وظّف بعض وسائل وادوات الاجتهاد كعلم الرجال والحديث ولكنّها أقرب لمدونات (الحديث) من التفسير اذ ان هؤلاء المفسرين يمكن عدّهم متصلبين في النّقل بناء على اتجاههم الفكري في التعامل مع «الظاهر والابتعاد عن الغور في عمق معاني النصوص هو السمة البارزة لهذا الاتجاه»[1] الفكري .

وصنف مرن –أقل تصلبّا– يحاول ان يقدم فهما لا يخرج عن حدود المرويات ولا يتعداها بل يصوغ المفسر من تأليفه وتعبيره ما يقرب المعنى الوارد في الاخبار والروايات بما يرفع الغموض والابهام ان احتاج المورد الى ذلك كما في تفسيريّ الصافي والاصفى للملا محسن الفيض الكاشاني: الملا محمد بن مرتضى محمود الكاشاني (ت 1091هـ).

2) ونوع يعتمد الاجتهاد محورا رئيسيا في فهم القران وإبانته، والمفسرون فيه على صنفين: صنف معتدل في اجتهاده ملتزم بضوابط علم التفسير وخطته تتوافر على الاليات والوسائل المقرّة شرعا في فهم النص القرآني والتعبير عن ذلك الفهم.

وصنف افرطوا وخرجوا عن حد الاعتدال في اجتهادهم اما بالاستطرادات والتحميّل و او باعتماد المصادر الغريبة عن ثوابت الاسلام والكتاب العزيز او باعتماد آليّات اضرت بالنص القرآني ووظفته لأغراض مذهبية.

مما تقدّم: التفسير بما هو علم (اي من الناحية النظرية) ينقسم الى نوعين:

1– تفسير بالنّص الشرعي (اعم من ان يكون القران نفسه او الاخبار الصحيحة عن النبي والعترة) *.

2– تفسير بالنّظر والاجتهاد.

([1]) امكانيات التفسير واشكالياته، محمد مصطفوي: 138.

(*)عَدِلتُ عن استعمال الاصطلاحات المعروفة «اخباري؛ روائي؛ مأثور، نقلي» الى «النص الشرعي» لأنها مفاهيم تفيد الاطلاق دون تخصيص؛ فلفظ مأثور مُختَلف فيه ولفظ النقلي يوهم بكون المادة التفسيرية محتواها نقلي صرف، وكذلك في الاخباري والروائي. بينما تخصيص كل ذلك بلفظ «النص الشرعي» يعطي انطباعا للمتلقي بان النص المعتمد في تفسير القران هو خصوص من وجب الرجوع اليه شرعا وهو القران نفسه والصحيح من سنّة النبي الاكرم هذا من جهة ومن جهة أخرى: كونه موصوفا بالشرعية؛ بانه قد خضع للفلترة من ناحية دلالته وسنده عبر علم الحديث والرجال والا فلا يصح اعتماده من ناحية شرعية .

ولكن عندما يعدّ المفسّر خطته التفسيرية ويؤسس لبرنامجه الذي هو منهاجه فانه **يستعمل كلا النّوعين** اضافة الى الاليات والادوات التي يعتمدها في الجانب الاجرائي والتطبيقي، فاذا كان المفسر يرى ويعتقد ان المحور الرئيسي في العملية التفسيرية هو النص الشرعي فان تفسيره سيكون مبني على اولوية النص الشرعي.

اما إذا كان المفسر يعتقد ان المحور الرئيسي في العملية التفسيرية للنّظر في الادلة وترجيح الدليل يكون بملحظ قيمته في الكشف بناء على اجتهاده؛ فانّه سيُخضع النص الشرعي لمعايير المنطق والعلم وتفسيره سيكون مبنيا على الاولوية للاجتهاد؛ لأنه يستهدف الكشف عن المفهوم التفسيري بناء على اتجاهه الفكريّ: محورية النظر والاجتهاد.

وما تقدّم يعدّ معيارا للدراسين ايضا وسياتي الكلام عنه.

المطلب الرابع: مصطلح الاتجاه ما بين التفسير والبحث التفسيري:

تقدم الكلام في المبحث الثاني من الفصل الاول بان للاتجاه مدلولين: لغوي بمعنى الموضعُ الذي تتوجَّه إليه وتقصِدُه، والمدلول الاخر ما استعمله علماء النفس الاجتماعي: وهو الميل والنزعة والموقف الشخصي للفرد ازاء الآراء والتيارات الفكرية السائدة في البيئة التي يعيش فيها ويتفاعل معها ويتأثر بها بناء على مسبقات مكتسبة وموروثة.

ومرّ بان ثمة (نوعين للتفسير) بما هو علم: تفسير بالنص الشرعي، والاخر: تفسير بالنظر والاجتهاد، وهذان النوعان في الحقيقة هما وليدان الاتجاهات الفكرية في كل عصر تقريبا؛ لان الانسان المتدين تختلف ردود الفعل عند افراده تجاه التدين – بصورة عامة– اختلافات تنحصر في اتجاهين:

الاول: التمسك الشديد بالدين والتعصب والتعنّت في تطبيقه والتأثم من مخالفة شكلياته جملة وتفصيلا.

الثاني: التساهل في الاعتقاد وعدم الالتفات الى الشكليات والاقتصار على ما يسمى دين.

وبين هذين الاتجاهين درجات كثيرة فيها التعصب والتمسك المعقول ...، وفيها التساهل المقبول والتأويل المستساغ ...[1]

([1]) ينظر: مناهج المفسرين ، مسلم مساعد ال جعفر : 30 .

وهذان الاتجاهان في التفكير والسلوك لهما انعكاسات في تفسير النصوص الشرعية ...، «فمنهم الذي يقف عند حرفية النصوص ولا يحيد عنها ويطبق مدلولاتها الظاهرة من دون خروج على ظواهرها ؛ ومنهم الذين يتحرون مقصد النصوص وروح الشرع فياولون النصوص حسب ما يملي عليهم اعتقادهم فيها بالقدر الذي لا يرون انفسهم قد خرجوا على مقتضى العقيدة ومقاصد الشرع وروح النص»[1] .

وما لاريب فيه ان النصوص الشرعيّة هي الادلة التي يستمد منها المؤمنون دينهم وهي: الكتاب والسنة، فليس اَمام المؤمنين بعد عصر النبوة غير نصوص مدونة * ، والنصّ المعصوم والمحفوظ من التحريف والتبديل هو القران الكريم اما النصوص المنسوبة للنبي الاكرم والعترة الطاهرة فهي لم تسلم من الدسّ والتحريف و تحتاج الى دراسة نقديّة عبر علم الحديث وعلم الجرح والتعديل، فالنّظرة للنصوص الشرعية تتغير بتغير الظروف والازمان وبتطور وسائل المثاقفة وتبادل الخبرات بين الحضارات والمجتمعات مما يملي على قارئ النصوص الشرعية نوعا من الفهم يغاير ظروف زمان التنزيل ومستوى المتلقين[2] .

اذن الاتجاهات الفكرية لا تخرج عن هذين الاتجاهين في التفسير بما هو علم ، بمعنى آخر انه و«بناء على اختلاف اتجاهات النشاط النفسي لدى بني الانسان اتجه التفسير هذين الاتجاهين»[3] .

وعليه فلابد من التمييز ما بين تأثير (الاتجاه) بما هو تعبير عن التوجّه الفكري والمنطلق المبنيّ على مبدأ معرفي محدد وما بين تأثير (الاتجاه) بما هو تعبير عن القناعات المذهبية والكلاميّة والمدرسية والاهتمامات العلمية غيرها.

وتأثير الاول على اصول التفسير المعرفية –مبادئ علم التفسير– يعتبر تأثيرا طبيعيا

([1]) مناهج المفسرين ، مسلم مساعد ال جعفر: 30 .

(*) واختلف المسلمون في حجية النصوص المفسِّرة لكتاب الله تعالى الصادرة عن ائمة اهل البيت والصحابة على تفصيل ليس هذا محلّه غير ان مذهب الامامية الاثنا عشرية يذهبون الى حجية نصوص الائمة الاطهار دون الصحابة فيكون تعويلهم على النصوص يبدأ بعد عصر الغيبة الكبرى للأمام الثاني عشر سنة 329هـ ، بينما المذاهب الاسلامية الاخرى بدأ تعويلهم على النصوص في الفترة التي اعقبت رحيل النبي اي ما بين نهايات ما اصطلحوا عليه بالخلافة الراشدة وبدايات الحكم العباسي (تقريبا) .

([2]) ينظر: مناهج المفسرين ، مسلم مساعد ال جعفر : 31.

([3]) م ن : 31 .

ومقبولا اذ يعبّر عن رؤية المفسر الذاتية لنظريّة المعرفة * .

والتعبير الثاني عن الاتجاه ينبغي تصفية نتائج العملية التفسيرية من تأثيره، والالتزام التام والكامل بموجّهات المنهاج التفسيري في الاجراءات التطبيقية والمعيارية على حدّ سواء.

وبتعبير اخر: ان على المفسر اثناء تطبيق منهاجه التفسيري لا يطوّع النّص القرآني لميوله وقناعاته النفسية ثم يزعم أنّه مراد الله تعالى وانّما يكون النّص قائدا وإماما وموّجّها لمناشئ تلك القناعات والميول.

وهذا التمييز يعالج اشكالية الخلط بين:

الاتجاهات الفكرية التي حصرت بين التشدد باعتماد النص الشرعي –الذي يعبرون عنه بالمأثور– وما بين اعتماد النظر والاجتهاد المعبر عنه بالراي وأثره على المفسر.

وما بين الاتجاهات العلمية التي هي توصيف لاهتمامات المفسر واختصاصه وتمهره في علم او فن معين حينما يتناول بحثا تفسيرا.

ونَتَجَ عن تأثير هذين الاتجاهين (نوعين من التفسير):

النوع الاول من التفسير تكون مباني مسائله مصدرها النص الشرعي.

النوع الثاني من التفسير تكون مباني مسائله مصدرها النظر والاجتهاد.

وبناء على التفريق بين الاتجاهات الفكرية (المبنائية) وما بين الاتجاهات المذهبية والكلامية والاهتمامات العلميّة والتخصصات لابد من اعتماد الثاني معيارا ومنطلقا في تصنيف (البحوث التفسيرية) و(الدراسات القرآنية) للموضوعات المختلفة والقضايا المطروحة.

فاذا تناول المفسر بحثا حول العقيدة، والفقه، والاخلاق، ...الى آخره، فان اتجاه المفسر يصنف بناء على موضوع بحثه ودراسته، لا ان يصنّف بوصفه اتجاهه التفسيري.

(*) المفسر انسان محكوم بالثقافة الفكرية لعصره فيتفاعل مع النظريات التي يعتقد بانها تمده بنظام التفكير السليم الذي يتوصل من خلاله الى البناء التأسيسي للتعامل مع اي علم وفن –على مستوى النظرية والتطبيق– فان نتائج اي عملية فكرية انما هي تكون وليدة البُنى التحتية المعرفية ، فعلى سبيل المثال المفسر يتأثر بالمباني الفكرية السلفيّة – الرؤية المتشددة في تطبيق الدين على مثال عصر النبوة – وتأثره هو نتيجة للبناء الفكري التحتي الكامن في اعماق عقله ووجدانه حول ما تصوره واعتقده وتعاطف معه عن الدين، وعليه ستكون نتائج العملية التفسيرية هي انعكاس عن الالتزام التام بظواهر النصوص الصادرة عن النبي والعترة والصحابة في فهم وبيان الآيات الكريمة بما لا مجال في توجيه تلك النصوص الا بقدر ما ينطبق عليه معياره الفكري المتشدد كما إنه يبرر لهذا التشدد بالتمسك والورع.

ولهذا وقع في الخلط كل من قسّم وصنّف الاتجاهات العلمية واسماها اتجاهات تفسير: كالاتجاه البياني، والصوفي، والفلسفي،... وغيره، فهي ليس اتجاها تفسيريا وانما اتجاهات علمية او مذهبية او كلامية، اذن هي اتجاهات بحثية للمفسر وليس اتجاها تفسيريا.

بعد ان اتضح بان علم التفسير* ينقسم الى نوعين: النص الشرعي والاجتهادي وهما وليدان التوّجه الفكري في التعامل مع النص الالهي المقدس (القران الكريم) .

فيكون (المبنى الفكري للمفسر) المعتمد في ادارة العملية التفسيرية وتوجيهها هو احد النوعين**.

والبحث التفسيري لا علاقة له بالعملية التفسيرية وانما يعتمد المفسر على منهج الموضوع الذي يرغب في بحثه ان كان علما او فنا او اصول مذهب او فرقة او نظريات ... الى آخره، فيوظِّف منهج العلم في معالجة قضية او دراسة ظاهرة اينما كان موضوعها القران او الواقع الحياتي بقيد ان لا تُحمَل نتائجه على نتائج العملية التفسيرية.

فـ(المبنى الفكري) للمفسر من الحيثية الاصطلاحية يعتبر غير (مناهج البحث) الموجودة في التفاسير القرآنية .

المبحث الثاني: الاصطلاحات والمفاهيم المخصصة بالمرحلة البعديّة

(فيما يخصّ الدارسين والباحثين في التفاسير)

تمهيد: ترتكز منظومة المفاهيم التوصيف والتصنيف الَبعْديّ على آليّة التفكير التحليلي للدراسين في مدونات التفسير.

فاذا كان تفكير المفسر في مرحلة قبل الشروع وأثنائه يتصف بالتأليف والبناء والتركيب؛ فان الدارسين في كتب التفسير تكون غايتهم وغرضهم هو الفرز والتحليل من خلال الفحص والتقصي والاستقراء ليُكشف عن منهاج المفسر واسلوبه واتجاهه.

(*) بقيد كونه علما يعتبر قيدا احترازيا لمنع التوهم بان التنويع عام يشمل مناهج المفسرين والاتجاهات مطلقا.

(**) اي ان المفسر سيكون نظامه في التفكير قائم على احد النوعين: اما يكون تفكيره قائم على مراعاة الشرع اولا ولا يُرجِّح شيئا على نصوصه، واما يكون تفكيره قائما على مراعاة النّظر واعتماد قيمة الدليل فيكون النص الشرعي بموازاة ادوات العقل الايماني فلا يُرجِّح احدهما الا بمراعاة قيمة دليله في الفهم والبيان.

وعليه سوف لن يتم استعمال المفاهيم والمصطلحات الخاصة في مرحلة ما قبل الشروع واثناء الشروع اي ان المفاهيم التوصيفية والتصنيفية الخاصة بالمفسر ومرحلة اعداد وبناء الخطة لا يصح استعمالها في مرحلة دراسة التفاسير والكشف عن طرق المفسرين (مناهجهم: جمع منهاج) التي سلكوها في التفسير.

ويصطلح على هذه المرحلة بـ(فنّ دراسة التفاسير).

ووُصِفَ بالفنّ لأنه يتطلب مهارة في تحديد مباني المفسر ومنهاجه التفسيري واتجاهه الفكري واسلوبه. والمهارة تتطلب دربة طويلة وتمرس في تطبيق العلم، وكيفية استعمال المعايير لكلا المرحلتين دون لبس او خلط، وبحياديّة جادّة وتامّة بغية تقييم تفسير المفسر.

فالدراسون في المدونات يلزمهم معرفة معايير بناء الخطة التفسيرية فيما يخص المفسر ومعرفة معايير الكشف عن المنهاج التفسيري للمفسر.

تُسمّى مناهج المفسرين –جمع منهاج– طرقا بعد الكشف عنها.

ويُقابل مصطلح (منهجية المفسر) في المرحلة القبلية: مصطلح (فنُّ دراسة التفاسير)، فيكون لدراسة التفاسير طرائق (جمع طريقة) في كيفية القراءة الفاحصة والاستكشافية والتحليلية التي تعتمد على معايير شرعيّة وادوات ووسائل عقلية.

واما المفاهيم الاخرى المقترحة في المعالجة لهذه المرحلة تطرح ضمن المطالب الاتية:

المطلب الاول: (منهاج المفسر) البعديّ وعدم مطابقته مع (المنهاج التفسيري) القبليّ:

قد يذكر المفسر في مقدمة تفسيره خطته وبرنامجه التفسيري – منهاجه– او يشير الى بعض عناصر منهاجه في ثنايا كتابه التفسيري مما يسهل على المتلقي (الدارسون والباحثون وغيرهما) تحديد مكوناته بما يقرب من منهاجه التفسيري الذي اعتمده فعلا في عمليته التفسيرية.

ولكن بعض المفسرين قد لا يذكر (منهاجه في التفسير) ولا يتطرق الى مكوناته في ثنايا تفسيره الا اشارات قليلة.

لذا يقوم الدارسون والباحثون بناء على منهجية مدروسة ومعتمدة بفحص وتحليل مدونات التفسير ليكشفوا عن (منهاج المفسر، واتجاهه الفكري في التفسير، واتجاهاته العلمية في البحث، واسلوبه في التعبير وعرض المحتوى).

ومن ثم تُقَيّم تلك التفاسير بناء على معايير شرعية وعقلية، وقد لا يكون التقييم منصفا فتكون عملية دراسة تفسيره غير موضوعية او غير معيارية بسبب المسبقات الفكرية التي توجه قناعات الدارسين او بسبب ضعف المستوى العلمي في تقييم بحوث المفسر فيكون حكمهم على تفسيره تعسفيا.

وعليه فيُعرّف **(منهاج المفسر):** هو الطريق والمسلك الواضح في خطوات برنامجه وتماسك عناصره وآلياته وادواته بما يظهر نجاح تطبيق العملية التفسيرية من خلال سلامة نتائجها. وهو يكشف عنه الدارسون والباحثون حسب المعايير المنهجية والتفسيرية.

وعليه قد يختلف الدارسون في تحديد الجزئيات والكشف عن تفاصيل مكونات البرنامج التفسيري (منهاج المفسر) لأسباب عديدة؛ منها: اختلاف مستوياتهم العلمية؛ واختلافهم في مهارة البحث والاستكشاف؛ واختلافهم في كيفية استعمال المعايير والموازين؛ واختلافهم في مراعاة الحياد والتحلي بالموضوعية بالترفع عن التعصب والتحيز من الناحية العلمية والناحية الاخلاقية ... الى غير ذلك من الاسباب.

ومما تجدر الاشارة اليه: انه لا يصح استعمال مصطلح (منهاج المفسر) الا مركبا من لفظيه ليتم تمييزه عن مصطلح (منهاج التفسير) الخاص بالمرحلة القبلية؛ لان منهاج المفسر هو نتيجة يكشف عنها الدراسون بعد فحص وتتبع لكتاب المفسر، بينما المنهاج التفسيري هو نتيجة المقدمات المنهجية قبل شروع المفسر في عمليته التفسيرية.

المطلب الثاني: تصنيف التفاسير بناء على انواع التفسير:

تقدم في المرحلة القبلية بان للتفسير بما هو علم نوعان: تفسير بالنص الشرعي وتفسير بالنظر والاجتهاد، وذُكر بان هذا التنوع هو تنوع في البعد النظري للتفسير والا ففي الخطة التفسيرية (المنهاج) يعتمد المفسر كلا النوعين غير ان من المفسرين من يرى الاولوية للنص الشرعي ومنهم من يرى بان الاولوية للاجتهاد والنظر في ترجيح المعنى المفهوم للآيات الشريفة.

وفي ضوء هذا الاصل المنهجي يتم تصنيف التفاسير؛ وبالتالي المفسرين ايضا من ناحية كونه مفسر او ناقل للروايات التفسيرية!

فمن الأخطاء الشائعة هو عدّ بعض المدونات كتب تفاسير، والحقيقة هي لا تعدو ان تكون كتب حديث تنقل روايات في التفسير او كونها كتب بحث عن موضوعات قرانيه.

المعيار في تصنيف التفاسير هو من خلال: تحديد أساس التصنيف واعتباراته؛ فان كان باعتبار (الاتجاه الفكري) الذي ينطلق منه المفسر في التفكير الديني عموما وفي بناء منهاجه التفسيري خصوصا فيكون ذلك من خلال تحديد (مبنى المفسر) أ هو اعتماد النّص الشرعي ام اعتماد الاجتهاد؟

وعليه تصنّف كتب روايات التفسير التي ينقل مؤلفوها الروايات المأثورة عن النبي الاكرم والعترة الطاهرة والعلماء من الصحابة والتابعين دون ان يكون لهم اي بيان شخصي فيها، تصنف–مدوناتهم– على انها من (مدونات الاحاديث) وتعتبر من مصادر المفسر، فمثلا : كتاب الشيخ علي بن إبراهيم بن هاشم القمي المعروف (بتفسير القمي) لا يصنَّف تفسيرا بالمدلول الاصطلاحي وانما هو كتاب جامع لروايات الائمة الهداة(عليهم السلام)* ، ولا كتاب (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) لجلال الدين السيوطي ، فهو كتاب جمع فيه مؤلفه الروايات بناء على مذهبه وفرقته الكلامية.

فلا يظهر تفاعل فكري للمفسر غير الاعداد والترتيب والتبويب والتنظيم والانتقاء والحرص على نقل الاخبار ونسبتها لقائليها واسنادها ان تيسّر له ذلك، ويسيطر عليها نزعة المفسر العقائدية والمذهبية!.

وفي المطلب مقصدين:

المقصد الأول: كتب الدراسات القرآنية وفرقها عن التفاسير:

اذا كان موقف المتصدي لبيان القران الكريم من الروايات موقفا مخالفا لمن يذهب الى وجوب اعتماد الاخبار والمأثور في فهم القران وبيانه** ؛ فانّ كان ذلك ضمن اطار العلم والتعقل ولم يخرج عن مقتضى النص – كما عليه بعض الدراسات المعاصرة للقران – فان هذا يصنف على انه دراسة وقراءة وليس تفسيرا؛ لان من جملة شروط صحة المنهجية في التفسير هو اعتماد النص الشرعي في فهم القران وبيانه؛ فالسنة النبوية أصل لا يُستَغنى عنه في بيان النص القرآني.

(*) ولا يعني هذا التقليل من قيمة الكتاب او مؤلّفه – اعوذُ بالله – وانما المقصود هو تصحيح التوصيف وتنقيح الراي حول تسميته بالتفسير استنادا الى المعايير المعتمدة في تحديد مفهوم التفسير ومصاديقه وافراده ونفس الكلام في باقي المدونات النقلية للمفسرين الكرام.

(**) وبهذا يتضح الفرق ما بين المبنى الفكري في التفسير: النص الشرعي والاجتهاد.، وما بين مباني الدراسات القرآنية، فان المفسر الذي يعتمد احدى المبنيين لا يرفض الاخبار او يقصيها عن خطته؛ بينما في الدراسة القرآنية قد يقصي المؤلف الاخبار تماما او يدخلها ولكن لا يلتزم بشرائط العملية التفسيرية من مراعاة الترتيب المصحفي وغيره.

فمثلا ما طرحه الدكتور محمد عابد الجابري (ت 2010م) في مؤلفاته وخصوصا في كتابه فهم القرآن الحكيم – التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، وما طرحه الدكتور محمد شحرور (ت 2019م) فان ما قدّماه من بيانات حول دلالات الآيات القرآنية تعتبر دراسات وقراءات وليست تفسيرا.

وَ اما اذا كان الكتاب يتوافر على بحث في موضوع حشّد المفسر له الآيات والاخبار فهو بحث ضمن المجال التفسيري وليس تفسيرا، وما يذهب اليه الاعم الاغلب من تسميته بالتفسير الموضوعي هو تجوّز مبني على التسامح في التعبير؛ لان **(البحث الموضوعي):** هو آليّة تقوم على الاحصاء والتجميع والمقارنة والموائمة بين المدلولات، ومن ثم الربط والاستنتاج والبرهنة، وكل هذه العمليات والاجراءات لا تختصّ بعلم محدد ولا يمكن عدّها اتجاها او اسلوبا لأنها آلية ممرحلة ووسيلة عامة تستعمل في كل بحث علمي.

المقصد الثاني: الاصطلاح المناسب اعتماده في التقسيم والتصنيف: أ هو المنهاج ام المنهج؟

تقدم الكلام عن مصطلح (منهج التفسير) بان لا يصح اعتماده في المرحلة القبليّة، وانما لابد من استعمال مصطلح (منهاج التفسير)؛ لاختلاف المفهومين في الحيثيات النظرية والتطبيقية فمنهاج التفسير هو تعبير عن خطة وبرنامج المفسر يعدّها قبل دخوله العملية التفسيرية، بينما مصطلح منهج – بمفهومه الوافد: method– هو تعبير عن نظام بحث يراعى فيه الترتيب والاولوية في الاصول والقواعد واعتماد النظر والاستدلال بغية الوصول للحقيقة او المطلوب. ودائما يستعمل المنهج في البحث العلمي بينما المنهاج يكون شاملا واعم من المنهج في العملية التفسيرية؛ لان المفسر يبتغي فهم نصوص مقدسة (خطاب الهي) فنتائج العملية التفسيرية (الكشف والابانة) خاضعة لمعايير تعتبر جملة منها توقيفية كأكثر المفاهيم الشرعية الخاصة الواردة في النص القرآني وما خصصته السنة الشريفة من عموميات او قيدته من اطلاقات.

ومما تقدّم فان تقسيم (المنهج) انما هو بلحاظ ما يستعمل ويوظف لأجله من موضوعات قابلة للبحث –اي نقطة الانطلاق تبدأ من التشكيك او اعتماد فرضيات واستفهامات– بينما تقسيم المنهاج التفسيري يكون بلحاظ مراعاة مرحلة ما قبل الشروع بالنسبة للمفسر –اعداد

الخطط والبرامج– ويكون ايضا بلحاظ مرحلة ما بعد شروع المفسر اي ما يكشف عنه الدارسون ويستظهرونه من نص المفسر في تفسيره. فيكون المصطلح لهذه المرحلة (منهاج المفسر) وتصنف التفاسير بلحاظ اعتبارات واساسات الغرض من التقسيم والتصنيف لا مطلقا .

فمثلا: منهاج المفسر ابوجعفر محمد بن جرير الطبري(ت 310هـ) في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) بلحاظ (المبنى الفكري): يعتبر تفسيره مبني على مراعاة الاولوية للنص الشرعي(الروايات والاخبار)؛ ولا يفهم من هذا القول بكون تفسيره اثري بالمفهوم المتعارف والرائج ! فليس هذا المقصود؛ لان مفهوم التفسير –كما ذكرته سابقا– لا يمكن افراغه من دلالته الاصطلاحية فمتى ما توافر كتاب المؤلف على جهده الفكري وبيانه يصدق عليه تفسير مع التزام المفسر بشروط علم التفسير وضوابطه التطبيقية ومتى ما ندر منه الجهد الفكري او انعدم واكتفى بالنقل للمأثور فهو لا يصدق عليه تفسيرا وانما كتابا للاحاديث.

ووظّف ابوجعفر الطبريّ العلوم اللغوية وعلم الحديث والرجال وله بيانات تكشف عن جهده الفكري القائم على اعتماد النص الشرعي (القران الكريم والروايات المنقولة عن النبي واهل بيته وازواجه والصحابة والعلماء واهل الفن من التابعين)* اساسا في العملية التفسيرية مُنطلِقا من نظره واجتهاده[1] ، فالاتجاه الفكري يوصف بالتزام الطبري بالنقل؛ وبالتدين بالشرع ؛ وباقتفاء اثر السَّلف في ضوء نظره واجتهاده.

واما: منهاج ابوجعفر الطوسي (ت 460هـ) في تفسيره (التبيان في تفسير القرآن) بلحاظ (المبنى الفكري) فاجتهادي: اعتمد النص الشرعي ومباني تفسيره على النظر والاجتهاد في ترجيح الاقوال وتوجيهها فالنص يكتسب قيمته في الترجيح بناء على رؤيته ونظره ولهذا نجده يقول في اكثر من موضع: «واقوى الاقوال... ؛ اقوى الاقوال عندنا... ؛ وأقوى الاقوال ما حكيناه»[2].

(*) عدّ النص شرعيا بلحاظ أصول عقيدة المفسر ومذهبه الفقهي ورؤيته الاجتهادية في تحديد مصداق النص الشرعي: من الاخبار والمنقولات ، وهذا الامر محل خلاف واختلاف بين الفرق الإسلامية من السنة والشيعة وفروعهما .

([1]) ينظر: الامام الطبري شيخ المفسرين وعمدة المؤرخين ومقدَّم الفقهاء المحدثين ، محمد الزحيلي (دمشق: دار القلم، ط2: 1420هـ–1999م): 127.

([2]) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ، الشيخ الطوسي : 109/1؛ ٣/ ٣٥٩ ؛ 3/ 449 .

واما العلامة محسن الملقب بالفيض الكاشاني في تفسيريه (الصافي) و(الاصفى) فانّ اتجاهه الفكري في فهم النصوص القرآنية وبيانها هو القران نفسه والسماع والنقل –النص الشرعي– فيذهب الى اولوية ترجيح مفاد الاخبار في فهم النصوص وبيانها[1] فيُفصح عن اتجاهه الفكري في التفسير «وإنما معوّلي فيه على كلام الامام المعصوم من آل الرسول، إلا فيما يشرح اللغة والمفهوم وما إلى القشر يؤول»[2] .

والشاهد او النموذج الاخر: العلامة محمد حسين الطباطبائي (ت 1402هـ) في تفسيره (الميزان في تفسير القران)؛ فانّ مبناه الفكري في التفسير قائم على النظر والاجتهاد؛ فيعتمد في ترجيح الآراء وبناء المعنى والمفاهيم على ما يستنبط من النّص الشرعي؛ يقول في بيان مبناه «فإن المدح النازل في حق أفراد من المؤمنين أو الذم النازل في حق آخرين معللا بوجود صفات فيهم، لا يمكن قصرهما على شخص مورد النزول مع وجود عين تلك الصفات في قوم آخر بعدهم وهكذا .... والروايات في تطبيق الآيات القرآنية عليهم (عليهم السلام) أو على أعدائهم أعني: روايات الجري، كثيرة في الأبواب المختلفة، و ربما تبلغ المئين، و نحن بعد هذا التنبيه العام نترك إيراد أكثرها في الأبحاث الروائية لخروجها عن الغرض في الكتاب، إلا ما تعلق بها غرض في البحث فليتذكر»[3] ولا يُفَهم من ترجيحه النّظر على ظاهر الخبر ان ذلك عن هوى وذوق فهذا غير مقصود وانما عن علم ودراية باعتماد الدليل والبرهان؛ لأنه يعتقد: بان القران لا يختص بحال دون حال ولا زمان دون زمان وانما نزل القران هدى للعالمين يهديهم الى واجب الاعتقاد والعمل[4].

المطلب الثالث: مبنى المفسر الفكري واختلافه عن منهج البحث التفسيري:

ذُكر سابقا بان (الاتجاهات العلميّة) ترتبط بالبحوث التفسيرية والدراسات القرآنية وليس في التفسير بصورة مطلقة، فهو تعبير عن توجه المفسر في بحث موضوعات يتناولها من الواقع او العلوم والفنون المتنوعة او من القرآن الكريم فيبحثها استنادا لمنهج ذلك العلم.

([1]) ينظر: تفسير الصافي : 79/1 ، (المقدّمة الثانية عشرة) .

([2]) التفسير الأصفى : 1/ 12.

([3]) الميزان في تفسير القران : 40/1.

([4]) ينظر: م ن : 40/1 .

ويُستعمل في التوصيف البعديّ مفهوم الاتجاه بمدلوله اللغوي؛ والاصطلاحي المعتمد في علم النفس الاجتماعي –سبق بيانهما– ويستعمل في خصوص توصيف وتصنيف البحث التفسيري للمفسر.

واما بلحاظ النزعة والميل والاهتمام فهي اوصاف تشير الى اتجاهات المفسرين العلمية والثقافية، فان امتزجت وتداخلت مع بيانهم للآيات المفسّرة فان جهدهم ينقلب الى بحث او دراسة لأنه تلوّن بلون نزعة المفسر وميله؛ فخرج عن مقتضى النّص وروحه. وليس من الانصاف وصف جهده بالانحراف ما دام لم يظهر على منتجاته ما يُجزم بان دوافعه سيئة *.

وانّ مصادر المفسّر تكون تبعا لمذهبه الفقهي والعقدي وهذا يؤثر على نتائج (البحث التفسيري) فاذا بلغ تأثير ذلك على (التفسير) نفسه؛ فان العملية التفسيرية ستكون فاقدة لشروط الصحة والسلامة الشرعية فيحكم على المُؤَلَّف– بفتح اللّام– بكونه غير مستوفٍ الشروط.

والفرق بين جواز تأثير الاتجاهات العلمية على (البحوث التفسيرية) ولا يجوز تأثيرها على (المنتج التفسيري) هو: لان عملية تحديد الفهم السليم للآيات الشريفة ومن ثم بيانه للمتلقي لابد ان يكون بعيدا عن توظيف منهج على حساب منهج آخر من العلوم اللغوية والشرعيّة والعقلية واراء المدارس المذهبية والكلامية ونظريات روّادها وان لا يستطرد المفسر بعيدا عن مضمون الخطاب ثم ينسب نتائجه الى الخطاب الالهي، كأن يستطرد المفسر في طرح اراء النّحاة والبلاغيين او يقحم النّص القرآني بتأويلات بعيدة عن مقاصد الخطاب الالهي بما يعدّ خروجا عن المراد الجدّي وعن السياق كما فعل من اقحم نتائج العلوم التجريبية كالمخترعات والاكتشافات الكونية وغيرها في تأويل الآيات القرآنية ** .

(*) وذكر الامثلة قد يحتاج الى عناية ودقّة ولكن ما يقرب مما ذكرته انّ كتاب البحر المحيط في التفسير أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي ظهر على التفسير النزعة النحوية وصناعة البلاغة يُخيّل للقارئ انه يقرأ بنص ادبي فحسب ، فهو دراسة قرآنية بمنهج اهل اللغة "نحو وبلاغة ولغة وصرف" وهذا لا يقدح بعلو شان الكتاب بل هو من المصادر المهمة.

(**) ربما يحصل لبس ما بين التدبّر والتفسير في هذا المورد فان (التدبّر) فضائه مفتوح في تلمس مصاديق لمفهوم الآيات الشريفة والاعتبار بمضمونها ، وهذا غير التفسير الذي غايته تحديد الفهم الصحيحة لمقاصد النصّ الالهي وبالتالي نسبته للقائل عزّ وَجلّ ، نعم ممكن ان يكون التدبّر احد مبادئ (البحث التفسيري) فهذا خارج العملية التفسيرية ولا يصح المزج والخلط معها .

أما المبنى الفكري للمفسر فهو بمنزلة الأصل والاساس الذي يبني عليه نظامه في التفكير تجاه الدين والمتمثل بالنصوص المقدسة –أعم من كونها قرانا او اخبارا– فهو اما يتجه بتفكيره نحو اعتماد دلالة النص الشرعي ولا يُعمِل اي تأويل او اجتهاد فيها الا بما ينسجم مع النصوص الشرعية الاخرى فهو لا يخرج عن فضاء النص الشرعي بدوافع الورع والتمسك بمصادر النص المقدس ولا يأخذ من اي مصدر آخر ، أو انه يتجه بتفكيره نحو اعتماد النّظر وملزمات الاجتهاد فيعتمد التأويل ولا يرى من حاكميّة لدلالة النّص على الدليل مهما كان نوع النّص (شرعي او عقلي) مع المحافظة على الاصول الايمانية الثابتة .

والمبنيان السابقان وصفان لاتجاه المفسر الفكري ويؤثّران على نتائج العملية التفسيرية ونتائج البحث التفسيري ايضا.

ويوجد اصطلاحان يلازمان الاتجاهات الفكرية والعلمية يرشدان اليهما؛ وهما:

النَّزْعَة : (النّزوع) في اللغة من النّزع: «النَّفسُ إذا هَوِيَتْ شيئاً ونازَعَتْكَ إليهِ فإنَّها تَنْزِعُ إليه نِزاعاً»[1] غير ان المعجم المعاصر اعتمد المعنى الاصطلاحي والرائج في علوم النفس والاجتماع : «نَزْعة [مفرد]: ج نَزَعات ونَزْعات: ميْلٌ، واتِّجاهٌ فِطريّ أو نفسيّ إلى شيء ، النزعة الرمزيّة في الفن التشكيليّ– النزعة التوسعيّة للدول الكبرى– نزعة جديدة/ أدبيّة/ إلى الخير/ إلى الشكّ– الكفاح العادل ضدّ الاستعمار والنزعات العسكريّة– نزعة المغامرة العسكريّة" ... نَزْعة طائفيّة مهنيّة: ... نَزْعة غريزيّة»[2] .

وهي من المفاهيم الكاشفة عن (الاتجاه الفكري) الذي يتبّنّاه المفسر، ويُعرَف عبر دراسة شاملة لكل تفسيره وتقصّي أرائه بِدقّة للوقوف على مبناه الفكري، ويُضاف(لفظ نزعة) للمفسر لا الى كتابه التفسيري، فيقال: نزعة المفسر فلان، فيكون تعبيرا يعتمده الدارسون للكشف عن اتجاه المفسر الفكريّ.

اللّون: جاء في اللغة معنى لفظ (لون): «وهي سَحْنَة الشَّيء: من ذلك اللَّون: لونُ الشَّيء، كالحمرة والسواد، ويقال: تلوَّن فلانٌ: اختلفت أخلاقُه»[3] بينما في المعاجم

([1]) كتاب العين ، الفراهيدي : (مادة نزع) ، وينظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس : (مادة نزع) .

([2]) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة :3/ 2194.

([3]) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: (مادة لون)

المعاصرة استعمل بمعنى« نوع، صنف "لَوْن أدبيّ- ألوان الطَّعام- قاسى ألوانًا من العذاب...»[1] .

ويعدّ أحد المفاهيم الكاشفة عن (الاتجاه العلمي) للمفسِّر في بحوثه التفسيرية فقط ، وهو تعبير عن التخصص والاهتمام الثقافي والمعرفي والتمهر في علم او فنٍّ معين، اذ تصطبغ البحوث التفسيرية بمسائل ومصطلحات ومفردات الفن والعلم مما يكشف عن تخصص المفسر واهتماماته.

واختصّ التعبير عن الاتجاهات العلميّة دون غيرها من معاني الاتجاه الاخرى وموضوعاته ومتعلّقاته؛ لانّ المادّة البحثية يطغى عليها أحدى مكونات منهج من المناهج فيتلّون كتابه التفسيري بلون واحد او الوان عديدة وقد يكون البحث يتوافر على مزيجٍ من الفنون والاهتمامات فيكون بحثا مختلطا فتقرب دلالته –اي اللون- من المعنى المعاصر بوصفه نوعا او صنفا. ويضاف لفظ لون للتفسير بما هو منتج وكتاب (مادّة) فيكون وصفا بعديّا لها كاشفا عن اتجاه المفسر التخصصي واهتماماته وتمهّره بفن من الفنون فيقال: لون ابحاث التفسير فقهية او لون ابحاث التفسير صوفي او... الى أخره.

وتجدر الاشارة والتأكيد في حال تلونت نتائج التفسير –بما هي مادة ومنتج- بلون اهتمام المفسر او نزعته التخصصية(علم او فن او نظريات لمدرسة معينة او لمذهب او فرقة معينة او لتيار) يصير منتجه التفسيري (دراسة قرآنية) او (مجموعة بحوث تفسيرية)؛ لان اصطباغ دلالة النّص القرآني بلون علمي كأصول الفقه او البلاغة او بلون العلم التجريبي يعدّ اخضاع (تطويع) لدلالة الخطاب الالهي لاصول علم من العلوم والفنون ونتائج هذا التوظيف تعد انعكاسا لآراء جهة علمية او مذهبية وحينئذ يصير القران تابعا لا متبوعا فلا يجوز نسبة النتائج الى الوحي الشريف.

على سبيل المثال: كتاب احكام القران لابي بكر ابن العربي (ت 543هـ) ؛ وكتاب الجامع لأحكام القرآن لمؤلفه محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (ت 671هـ) فانهما أقرب للدراسة الفقهية والاصولية من عدّهما تفسيرا.

([1]) معجم اللغة العربية المعاصرة : 3/ 2051 .

واما ما تعارف بالتفسير العلمي والاعجاز العلمي، فهذا يُصنّف على أنّه دراسات وبحوث تُوظّف فيها المعطيات الكلية للعلوم التجريبية لغايات واغراض يراد من ورائها تحقيق ثمرات متنوعة[1] وهي لا تعدّ من التفسير؛ ككتاب الشيخ طنطاوي جوهري(ت 1940م) والذي اطلق عليه: (الجواهر في تفسير القران الكريم) مزج فيه الآيات القرآنية بالعجائب الكونية [2].

المطلب الرابع: مفهوم الاسلوب:

من الممكن اعطاء تعبير معاصر لوصف (الاسلوب) بانّه: بصمة الانسان الفنيّة التي تُكْتَشف في اثاره واعماله. ومعلوم ان البصمة تختلف من فرد لأخر.
وبناء على معنى لفظ (أسلوب) في لغة العرب الوارد في المعجمات القديمة لا المتأخرة والحديثة؛ فان اللفظ من سلب يسلب سلبا بمعنى (الاخذ والانتزاع وتناول شيء من شيء) على نحو الخفّة او الاجبار والقهر والارغام[3] ، و ورد في التنزيل الحكيم :

([1]) ينظر: الارشادات المنهجية الى تفسير الآيات الكونية، عبدالقادر محمد المعتصم دهمان (مصر: دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع ، ط1 :1441هـ-2020م): 29.؛ و لعل الشاطبي ومن تبعه من المعاصرين كالذهبي رفضوا التفسير العلمي ومن اضافة كل علم سابق او حادث من علوم الطبيعيات والفلسفة وغيره الى العملية التفسيرية غير ان بعض من المبررات لايمكن عدّها سببا تامّا لرفض توظيف المنهج العلمي-التجريبي وما هو بمفهومه- في التفسير؛ كانّ: لم يصحّ عن السلف ادخالهم العلوم الطبيعية والتجريبي؛ فهذا لا يمكن اعتباره سببا لان المانع من ذلك النص القرآني نفسه فهو خطاب الهي يُفسّر بلحاظ دلالته المُتَلقاة والمفهومه عند العرب ابّان النزول، واما تناول موضوعا من القران يتحدث عن ظاهرة كونية ابتغاء«الكشف عن وجه الصلة بيَن الآيات القرآنيَّة وبين مكتشفات العلوم في ضوء ما ثبتت صحه من نظريَّات العلوم الكونيَّة من حيث دلالتُها على ذلك» ، الارشادات المنهجية الى تفسير الآيات الكونية، ص26. ؛ فهذا يعد مجاله البحث العلمي وليس التفسير ، وممكن ان يدرج في جملة البحوث التفسيرية .؛ للاستزادة ينظر: الارشادات المنهجية الى تفسير الآيات الكونية، الدهمان: 46-57.

([2]) ينظر: الجواهر في تفسير القران، طنطاوي جوهري (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2 : 1350هـ): 2/1.، ومن المعاصرين الدكتور زغلول النّجار وظّف العلوم الكونية الحديثة في الكشف عن الدلالة العلمية للآيات الشريفة -وهي في الحقيقة مكتشفات لجملة من علماء الغرب- تحت مسمى (الاعجاز) العلمي في القران؛ فان كان يقصدها تفسيرا فهذا غير تام وان كان يقصدها بحوثا ودراسات لغرض اظهار غرائب القران وعجائبه فهي كذلك. ؛ ينظر: مدخل الى دراسة الاعجاز العلمي في القران الكريم والسنة النبويّة المطهرة، زغلول راغب محمد النّجار(بيروت: دار المعرفة ، ط1 :143هـ-2009م): 77-83 . ، ويتجه علماء عصرنا وبعض مفسرينا الى تقديم القران الكريم على انه كتاب يتناول كل شيء في الحياة فيوظفون المناهج العلمية والنظريات في هذا المجال لأسباب كثيرة ومتنوعة من غير المناسب الافاضة فيها .

([3]) ينظر: كتاب العين، الفراهيدي: (باب السين واللام والباء) ، 7/ 261 ؛ معجم مقاييس اللغة لابن فارس: 3/ 92.

{يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} [الحج: 73] اذ كان يختلس الذباب ما على الاصنام من طلاء يضعه عبدة الاصنام عليها كالطيب وغيره فكان الذباب يستلب ذلك ويذهب به[1] ، فاللفظ استعمل في سلب الأمور المحسوسة كسلب الثياب او الدرع من المقتول في الحرب او سلب أي شيء بخفّة من الاخر دون مقاومة منه. فان المعنى يدور حول: الاخذ والذهاب بالشيء والانتزاع بقيد الخفّة او التسلط على الاخر.

واستعمل في الأمور المعنويّة فيما لو أُخِذَ او أُنتزِع امرا معنويا كالصفات القلبية وغيرها مثل الإيمان فيقال سلبه الله الايمان مثلا.

ففي الشعر والنثر كان للعرب أصول في النظم وفي تأدية المعنى من خلال صبّه في قوالب متنوعة وفي ضروب مختلفة، ولا يستطيع قنص هذه الأصول وهي مصبوبة في قوالب منظومة ومكتنزة بمُنتج شعري او نص نثري ويستلب منها بصمة الشاعر او القائل غير الحاذق والماهر البصير في صناعة الكلام –شعر ونثرا– فيتتبع منتجاتهم لينسج على منوالها ويتخذ ما استنبطه –بما يخفى على غيره– طريقة يسلكها في الشعر او النثر.

فاستلاب او سلب المتلقي المتخصص لتلك الأصول الكامنة في قوالب وكيفيات ومن ثم اعتمادها والنسج على منوالها يطلق عليه بـ(الأساليب)[2] .

اذن الأسلوب هو ما يُنتزع ويؤخذ بنحو من العناية والتأمّل والتتبع (لإداء) المفسر في تأدية ما حدده من فهم سليم للآيات الشريفة ويعبّر عنه ببيان تامّ ودقيق وبذوق فنّي يكشف عن شخصيته.

(ملحظ): مشكلة قد يصعب اجتيازها :

بما ان المعنى اِلاجْماليّ للأسلوب في اللغة: هو الاخذ والانتزاع ، وقد افاد الادباء هذا المعنى في توصيف أصول صنعة الشعر والنثر الكامنة في قوالب منظومة توصف بانها

([1]) ينظر: تفسير مجمع البيان ، الطبرسي: ٧ /١٧١ ؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد (دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1 ، 1422هـ) : 4/ 134.

([2]) ينظر: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون : 787–790.

طرق ومسالك مُنْتَزَعة من كلام العرب –شعرا ونثرا– ليُنسج على منوالها، فان لمفهوم الاسلوب بهذا المعنى خصوصية تجعله يُوظَّف في توصيف الطرق والطرائق المنتزعة والمأخوذة من منتجات الاخرين، وهذا يجعلنا نقع في اشكالية الخلط والتداخل حينما نقوم بتوظيف لفظ مشترك بين مفاهيم عديدة، فان مصطلح (مناهج المفسرين) توصف على أنّها الطرق والمسالك المعتمدة في العملية التفسيرية. وحينها سنقع فيما نسعى لمعالجته؟! فما هو المخرج؟

وجوابه: بالإمكان ان يتم تقبّل الاشتراك بقيد احترازي يلازم توصيف مناهج المفسرين وهو (الواضح) واما الاسلوب فهو طريقة المفسّر وبصمته الفنيّة في الكتابة وعرض المحتوى. وان يُقيَّد المصطلح بإضافته للفظ (تعبير) ولفظ (محتوى) فيقال اسلوب تعبير المفسر وليس اسلوباً تفسيراً؛ لانّ ذلك يوقع في الخلط ما بين الاسلوب وما بين المنهج والمنهاج فيتوهم المتلقي بان الاسلوب التفسيري هو «وسيلة، طريقة الوصول إلى المطلوب»[1] بناء على المعاني الجديدة في المعاجم المعاصرة .

فاذا استطاع الدارسون في التفاسير الكشف عما اعتمده المفسر في صياغة عباراته فانهم سيعبرون عنه (بأسلوب المفسر) ويصحّ وصفه بطريقة (المفسر فلان) في تعبيره وعرضه واخراجه لشكل تفسيره تنظيما وترتيبا وتبويبا ومن ناحية حجمه.

فلا يوصف الاسلوب بالطريقة الا بعد ان يكشف الدارسون عما ظهر لهم من (اداء) المفسر في تعبيره الكتبي وعرضه للمحتوى.

ولطرائق التعبير وصياغة المحتوى مظاهر متنوعة كشف عنها الدراسون في التفاسير.

يقوم المفسر بسباكة وصياغة مادته التفسيرية في قوالب منظومة مراعيا فيها ضوابط التعبير والبيان، ليحقق (المجانسة) الفكرية والوجدانية والتربوية والتي يلمسها المتلقي بذائقته وبنفاذ بصيرته ليميز في ضوئها اداء مفسر عن غيره.

ومن طرائق التعبير البيان الادبي والعلمي والخطابي والتعبير المستجمع لكل هذه الطرائق.

واما العرض يكون اما بيان موجز او تفصيلي، واجمالي او مطوّل او يتألف منها جميعها.

واما كونه كبيرا او صغيرا من حيثية الحجم؛ فهذا راجع الى الغرض من التأليف وهو يتعلق بالعرض أيضا.

([1]) معجم اللغة العربية المعاصرة : 2/ 1089 .

وكذلك من حيثية الترتيب والتبويب وإخراج الكتاب للمتلقي.

وعليه: فمنهم من يتناول القران من بدايته الى نهايته جميع الآيات الشريفة؛ ومنهم من يتناول تفسير الآيات الغامضة والمبهمة فقط؛ ومنهم من يفسر الآيات بنحو المفردة ومعناها ثم يُجمل ذلك في المعنى العام؛ ومنهم من يصوغ معنى عامّا لمقاطعٍ من الآيات يجمعها السياق ووحدة المقصد او الغرض ، ومنهم من يشرح الآيات ويربط بينها في المعنى ثم يصوغ ذلك بتعبيره ان اقتضى ثم يعقّب ذلك ببحوث تفسيرية يقتضيها الحال، وهذه الأسس في التعبير والبيان والعرض يستلبها المفسر من تفاسير الاخرين ليحاكيها وينسج على منوالها فتصبح(اسلوبه في طريقة التعبير وعرض المحتوى).

ولهذا يكشف تتبع الأداء عن شخصية المفسر؛ فما ان نجد ما يقرب من أدائه الا وتبادر الى الذهن انه يقرب من أسلوب مفسر معروف عندنا.

فمفهوم (الاسلوب) يرتبط بشخصية المفسر من حيث الكيفية التي يتناول بها توظيف خطته التفسيرية أثناء كشفه عن معاني القرآن، ومن حيث كيفية ترتيبه للمادة التفسيرية التي تنعكس في صورة إخراجه لعمله التفسيري[1].

اذن الاسلوب هو:

- **طريقة التعبير والبيان:** يعبر عنها اما باعتماد اسس وضوابطهم الادباء في التعبير والبيان؛ او باعتماد أسس وضوابط المناطقة والحكماء في التعبير؛ او باعتماد أصول البيان (الرسالي والخطابي) بالوعظ والتذكير وازاحة الشبهات والجدل بغية الاقناع والاستمالة؛ او ان يكون الأسلوب للمفسر جامعا لها ومزيجا منها وبحسب اغراض التأليف.
- **طريقة عرض المحتوى:** ويعمد المفسر استنادا لأغراض التأليف اما بالإطالة والتفصيل في الشرح والبيان او يسلك طريق الايجاز والاجمال او يكون أدائه مزيجا بين الاختصار او الاطالة، والاجمال والتفصيل فالمفسر يحدد هذا استنادا لأغراض التأليف من التفسير.
- **طريقة الاخراج:** هو الهيئة والشكل الخاص بكتابه من حيثية الحجم: (كبيرا او صغيرا او متوسطا) ومن حيثية الترتيب والتبويب والتنظيم.

ومن الشروط الاساسيّة في العمليّة التفسيرية هو مراعاة الترتيب الذي عليه المصحف المنتشر بين الناس: سوره وآياته؛ هو مما ينبغي على المفسر التزامه والسير بالعملية

([1]) ينظر: مصطلح الاتجاه في التفسير والفرق بينه وبين المنهج والأسلوب ، مراد قمومية: 61.

التفسيرية عليه؛ والتمشي مع أجزاءه وآياته بحسب التسلسل الموجود في المصحف ولا يجوز مخالفته سواء كان التفسير لجميع القران او لأبعاضه من السور.

وعليه لا تُعتمد اليّة التفكير الموضوعي المصطلح عليها بالتفسير الموضوعي (ويعدّونه اسلوبا) في العملية التفسيرية وانما توظف تلك الاليّة في البحوث فقط ولا يصح وصفها بالأسلوب كما تقدّم.

ومما تجدر الإشارة اليه: ان مصطلح الأسلوب يتعلق بأداء المفسر من ناحيّة فنيّة واخراجيّة تتعلّق بالكتابة وعرض المحتوى ولا يصح اضافتها لعلم التفسير(في التسمية والتعبير) فما يشاع من تسمية أساليب الكتابة وأساليب عرض المحتوى على انها أساليب تفسير يعتبر –بزعم الباحث– توصيفا غير صحيح، فالأسلوب «هو الذي يعكس ملامح شخصية المفسر من حيث الشكل أثناء بحثه للمسائل وتصنيفه لها تحريرا وترتيبا وتخريجا»[1] فلا يساهم الأسلوب بإنتاج أي معنى ومفهوم في العملية التفسيرية.

مثال تطبيقي : المفسر الشيخ محسن المعروف ب"الفيض الكاشاني" كان عرضه لمحتوى تفسيره (الاصفى) مختصرا اجماليا راعى فيه المؤلف أسلوب الايجاز والتلخيص ، بينما في تفسير (الصافي) كان مطولا ومفصّلا؛ واسلوبه في التعبير في التفسيرين كليهما (سرديٌّ) عَوّل على نصوص والفاظ الروايات المنقولة عن النبي الاكرم(ص) والعترة الطاهرة(ع) في صياغة تعبيره مع بعض الإيضاحات المستمدة من اللغة العربية[2] .

([1]) مصطلح الاتجاه في التفسير والفرق بينه وبين المنهج والأسلوب ، مراد قمومية : 63.

([2]) ينظر: التفسير الصافي، المولى محسن الملقب ب"الفيض الكاشاني" ، صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي (قم المقدسة: مؤسسة الهادي، ط2 :1416هـ): 1/ 8–78 .، الأصفى في تفسير القران ، محمد محسن "الفيض الكاشاني" ، تح: محمد حسين درايتى ومحمد رضا نعمتي (قم: مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي ، ط1، 1418هـ) : 1/2–3 .

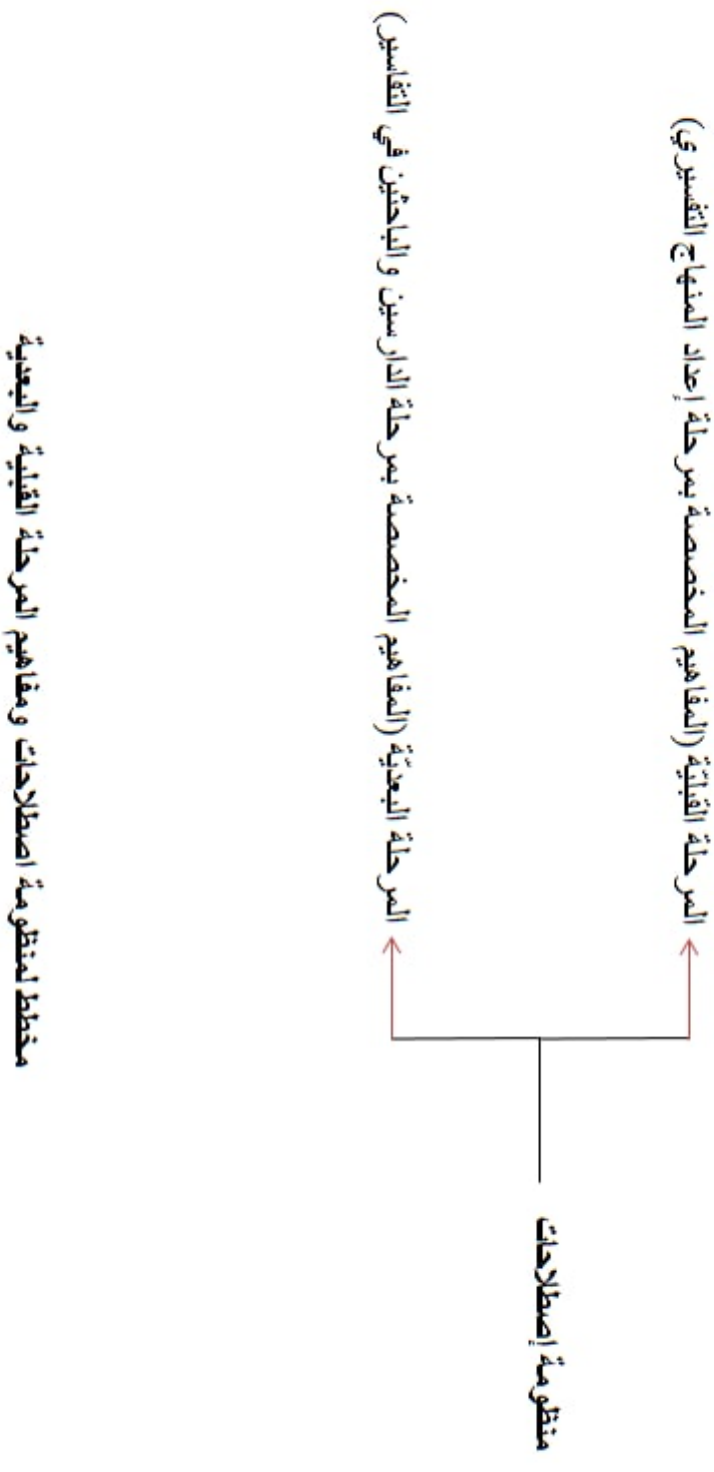

مخطط لمنظومة اصطلاحات ومفاهيم المرحلة القبلية والبعدية

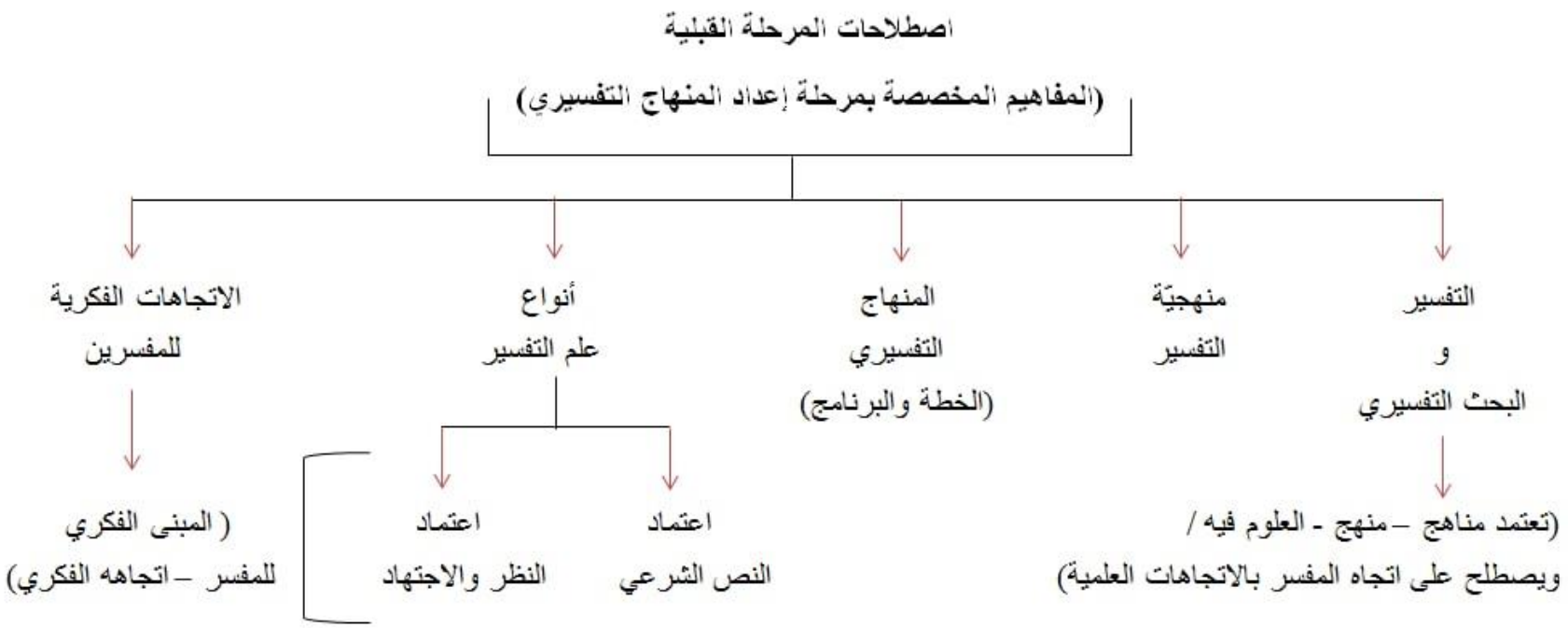

مخطط لبيان المفاهيم القبلية

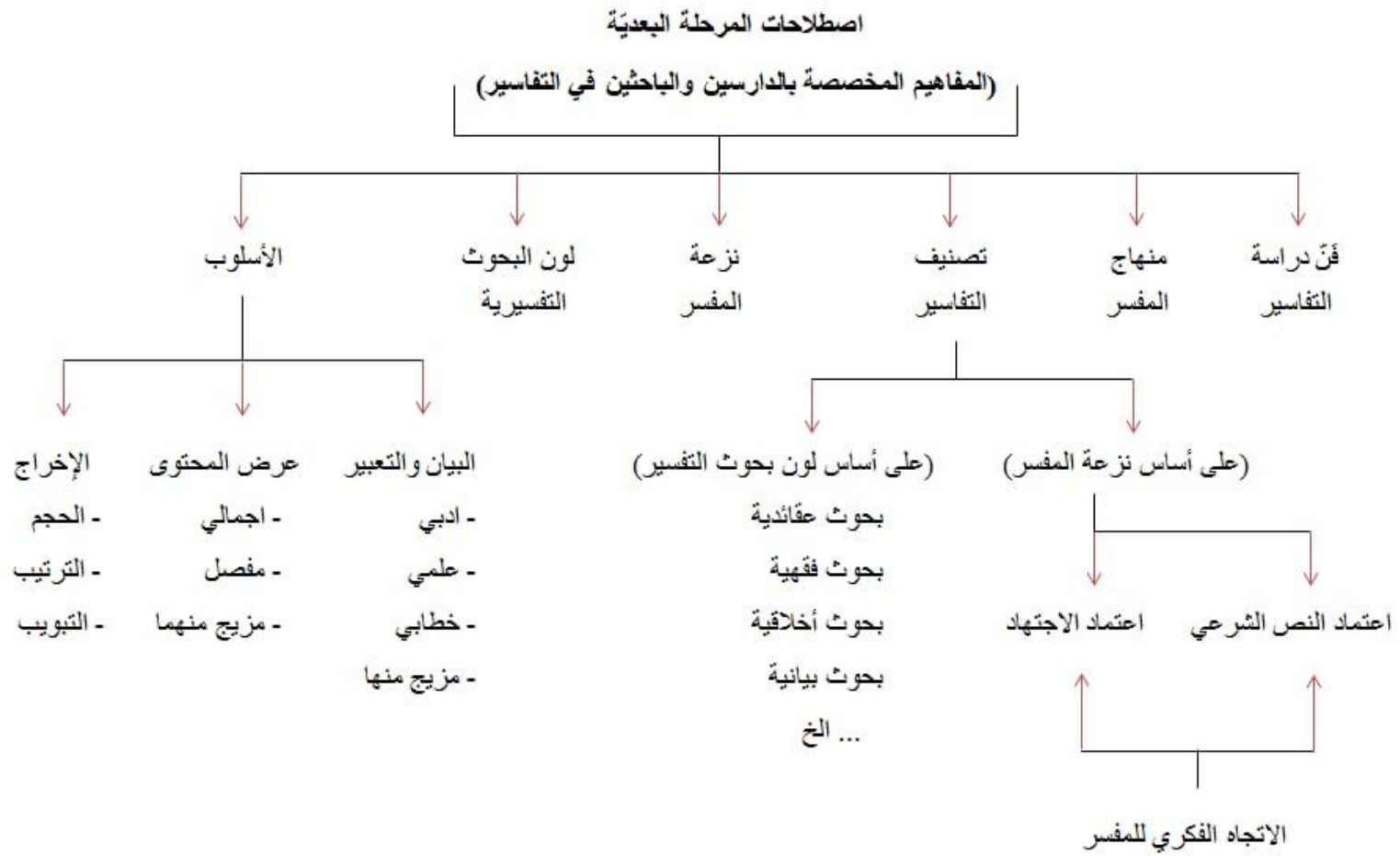

مخطط لبيان المفاهيم البعديّة

الخاتمة

بعد رحلة مُجهدة في البحث ولكنها ماتعة وطيّبة، أسفر البحث –بفضل الله– عن نتائجٍ عديدة؛ تُخْتَزل بهذه الفقرات:

أولا: كشفت الدراسة عن اجراء غير دقيق متبع في أكثر مدونات المناهج والاتجاهات التفسيرية وهو ارجاع المفردات بماهي مصطلحات لغرض الكشف عن دلالتها الاصطلاحيّة الى قواميس اللغة العربية من دون تمييز بين القواميس القديمة وبين المتأخرة والمعاصرة، وكذلك من دون تحديد هويّة المصطلح(المفردة) واصل الوضع فيه (تتبع جذوره الاستعمالية) أهو عربي أصيل أم من المفردات التي انحدرت من الغرب وأثبتها المترجمون في القواميس والمعاجم المتنوعة (كالعلمية والفلسفية).

ثانياً: توصلت الدراسة الى ان الأجراء الذي ينبغي اعتماده في معرفة دلالة المصطلح هو تحديد (أصل استعمال المفهوم) قبل الرجوع الى القواميس والمعاجم العربية ولابدّ من تتبع أصل الوضع للمفردة؛ فهل كان بناء على لغة العرب او هو مصطلح وافد غير عربي. ومن ثم الذهاب الى جهته التي صدر عنها واعتماد المعاني الخاصّة به؛ بناء على جهة الوضع.

ثالثاً: كشفت الدِّراسة عن اجراء غير صحيح وهو توظيف مناهج العلوم والفنون في التوصيف (بإضافتها للتفسير) وعدّها مناهج واتجاهات تفسيرية بينما الاجراء الواقعي ان المفسر –وبناء على الضوابط والشروط في علم التفسير– يعتمد خطة وبرنامج متكامل يتوافر على مناهج متعددة وقواعد واصول وطرائق وآليّات ووسائل متنوعة؛ وتوصلت الدراسة الى ان يصطلح عليه بـ«المنهاج التفسيري» وهو (الخطة والبرنامج) بناء على أصل لغوي عربي واستعمال معاصر. وتجنب استعمال مصطلح (منهج) .

رابعا: ثبت بانّ التعبير عن الخطّة والبرنامج التفسيري للمفسر بـ(المنهج) يعدّ تعبيرا غير دقيق ولا يكشف عن واقع الممارسة التفسيرية ، وثبت بإنّ التعبير الاقرب دلالة على واقع الممارسة التفسيرية هو (المنهاج) .

خامسا: لا يوجد نموذج للمنهاج التفسيري ثابت لكي يعتمده المفسرون قبل شروعهم بالعملية التفسيرية ، وانما تتقارب النّماذج البعديّة(منهاج المفسر) ببعض المشتركات

والجزئيات في مكوناتها، فمناهج المفسرين محصورة ما بين نوعي علم التفسير: امّا النّص الشرعي أو الاجتهاد .

سادسا: ثبت بان مصطلح الاتجاه هو وصف يضاف للمفسر لا الى التفسير احترازا من الاشتباه في عدّه أداة ووسيلة معتمدة في المنهاج التفسيري فالمصطلح يستعمل في المرحلة البعديّة.

سابعا: ظهر بانّ الاسلوب لفظ مرن يتكيف في أي حقل علمي ومعرفي، ويؤدي وظيفته الوصفية والتصنيفية بما يجعله موازيا في الدور لمصطلح (منهج).

ثامنا: الاسلوب مصطلح يتعلّق بإداء المفسر من حيثية البيان والتعبير والعرض والإخراج ولا يستعمل في تصنيف طرق المفسرين ولافي توصيف ما اعتمدوه من ادوات ووسائل في العملية التفسيرية .

تاسعا: توصلت الدِراسةُ الى ضرورة التمييز بين المفاهيم الخاصّة بمرحلة الاجراءات التي يتبعها المفسر قبل شروعه في العملية التفسيرية وما بين المفاهيم الخاصّة بمرحلة الاجراءات التي يقوم بها الدارسون في التفاسير وهي مرحلة تعدّ ما بعد شروع المفسر.

عاشرا: حددت الدراسة مجموعة مصطلحات تخصّ المرحلة القَبْليّة(فيما يخص مرحلة اعداد الخطّة –المنهاج)؛ ولابد في اثناء الاستعمال والتداول اعتماد المصطلح بصورته المركبة خشية وقوع المتلقي باللبس والايهام؛ وهي:

1. منهجية التفسير.
2. التفسير .
3. منهج علم التفسير.
4. المنهاج التفسيري.
5. مناهج(منهج) البحث التفسيري
6. انواع علم التفسير: تفسير بالنص الشرعي؛ وتفسير بالاجتهاد.
7. المباني الفكرية.

احدى عشر: وحددت الدراسة المصطلحات الخاصّة بالمرحلة البَعْديّة(فيما يخصّ الدارسين) كما في اثناء تداول بعضها لابُدّ ان تُستَعمل في صورتها المركبة ايضا؛ وهي:

1. فنُّ دراسة التفاسير.
2. منهاج المفسر .

3. اصناف التفاسير: بناء على (انواع علم التفسير) و(مبنى المفسر الفكري)
4. اتجاه المفسر الفكري.
5. اتجاهات المفسر البحثية.
6. النَّزعة .
7. اللَّون.
8. الاسلوب: (طريقة التعبير والبيان)،(طريقة عرض المحتوى)، (طريقة الاخراج) .

اثنا عشر: تُصنّف التفاسير بناء على اتجاه المفسر في التفكير .

ثلاثة عشر: تصنّف البحوث التفسيرية بناء على اتجاه المفسر في العلوم والفنون .

اربعة عشر: تصنّف المناهج – منهاج– المفسر في التفسير بناء على اتجاه المفسر في التفكير – المبنى الفكري– .

خمسة عشر: تصنّف مناهج– منهج– المفسر في البحوث بناء على الاتجاهات العلمية والفنون .

ستة عشر: ثبت بانّ توظيف آليّات التفكير وادواته في التفسير ووصفها (بأساليب التفسير) يعدّ توظيف غير دقيق في نحت المصطلحات وكذلك في انتخاب الاقسام من دون الاستناد على اساس منطقي. فما شاع وصفه بالتفسير الموضوعي والمقارن والتحليلي تعدّ آليّات ووسائل مُعتَمده في التفكير في اغلب عمليات البحث والدراسة. وتخصيصها بالتفسير وعدّها من اساليبه يجعل باب التوظيف لأي وسيلة واداة وآليّة عامّة بإضافتها للتفسير وهو اجراء يقرب من الفوضى في العلم .

سبعة عشر: توصلت الدراسة الى ان (التفسير الموضوعي) ليس بتفسير وانما هو آليّة تفكير تقوم على مراحل بحثية تطلب نتائجها لأغراض معينة ، وتُعتمد في البحوث العلمية وفي اكثر حقول العلم والمعرفة ولا تختّص بالتفسير.

المصادر والمراجع

القران الكريم

1. ابن جرير الطبري ومنهجه في التفسير، محمد بكر اسماعيل (دار المنار، ط1، 1411 هـ-١٩٩١ م)

2. ابن جزي ومنهجه في التفسير، علي محمد الزبيري (الناشر: دار القلم، ط1: 1407 هـ- 1987م)

3. اتِّجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في القرن العشرين، محمد ابراهيم شريف (القاهرة: دار التراث ، ط1 ، 1402هـ)

4. اتجاهات التفسير في العصر الراهن، عبد المجيد عبد السلام المحتسب (عمان: منشورات مكتبة النهضة الإسلامية، ط3: 1402هـ-1982م).

5. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبدالرحمن الرّومي (السعودية: مؤسسة الرسالة، ط3، 1997م)

6. الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، علي محافظة (بيروت: الاهلية للنشر والتوزيع ، 1987م ، دط)

7. الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث، عادل بن علي الشدي (الرياض: مدار الوطن للنشر ، ط1: 1431هـ-2010م)

8. الإتقان في علوم القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر الأسيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية (الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426هـ)

9. الامام الطبري شيخ المفسرين وعمدة المؤرخين ومقدَّم الفقهاء المحدثين، محمد الزحيلي(دمشق: دار القلم ،ط2 : 1420هـ-1999م)

10. اثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الاسلامية، محمد خليفة حسن(ج. م .ع ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، ط1 ،1997م)

11. اثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي، مساعد مسلم عبدالله ال جعفر (بيروت : مؤسسة الرسالة ،ط1 ، 1405-1984م)

12. اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق، محمد صالح محمد سليمان (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ط1 :1430هـ)
13. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، الشيخ الطوسي (قم : مطبعة بعثت ، نشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، دط ، 1404هـ)
14. أساس البلاغة، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون(بيروت: دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1419هـ -1998م)
15. اساسيات المنهج والخطاب في درس القران وتفسيره، محمد مصطفوي(بيروت : مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ط1 ، 2009م)
16. أساليب التفسير، عبدالعزيز بن داخل المطيري (معهد افاق التيسير للتعلم عن بعد ، ط1 :1438هـ)
17. الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي جواد الحجّار(بيروت: مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1 ، 1432هـ-2011م)
18. الاسلوب، احمد الشايب(الناشر: مكتبة النهضة المصرية ، ط12، 2003م)
19. اصطلاحات الأصول، علي المشكيني(قم : الهادي، ط6، 1374 هـ ش)
20. الاصفى في تفسير القران ، محمد محسن "الفيض الكاشاني" ، تحقيق: محمد حسين درايتى ومحمد رضا نعمتي (قم : مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي ، ط1 ، 1418هـ)
21. أصول البحث، عبد الهادي الفضلي (قم : ستار، مؤسسة دار الكتاب العربي ، ط 4 ، 1434هـ-2013م)
22. أصول البحث العلمي ومناهجه، احمد بدر(القاهرة :المكتبة الاكاديمية ،ط9، 1996م)
23. أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك (بيروت : دار النفائس، ط2: 1406هـ-1986م)
24. أصول السرخسي، أحمد بن أبي سهل السرخسي (بيروت: دار الكتاب العلمية، ط1، 1414هـ-1993م)
25. أصول الفقه، محمد رضا المظفر (قم: مركز مديرية الحوزة العلمية، ط4، 1439هـ)
26. الارشادات المنهجية الى تفسير الآيات الكونية، عبدالقادر محمد المعتصم دهمان (مصر: دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع ، ط1 :1441هـ-2020م)

27. امكانيات التفسير واشكالياته- في البحث عن المعنى، محمد مصطفوي (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ط1: 2012م)
28. البحث العلمي اساسياته النظرية وممارساته العملية، رجاء وحيد دويدري(دمشق: دار الفكر ، 1421هـ-2000م)
29. البحث العلمي مناهجه وتقنياته، محمد زيان عمر(- ، مطبعة خالد حسن الطرابيشي ، دط ، دت)
30. بحوث في اصول التفسير ومناهجه، فهد عبدالرحمن الرومي (الرياض: مكتبة التوبة ، ط4، 1419هـ)
31. بحوث في منهج تفسير القران ، محمود رجبي (بيروت : مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، ط1 ، 2007م)
32. البدعة مفهومها، حدها وآثارها، جعفر السبحاني (قم: اعتماد، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق (ع) ، 1416 هـ)
33. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه ، ط1376،1 هـ - 1957 م)
34. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: محمد علي النجار (الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، دط ، دت)
35. البعد الترابطي في القران الكريم، اقبال وافي نجم (العراق : العتبة الحسينية المقدسة ، ط1 ، 1436هـ - 2015م)
36. البغوي الفراء وتفسيره للقران الكريم، محمد ابراهيم شريف(القاهرة: المدينة - دار السلام، ط1 ، 1406هـ-1986م)
37. تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ، (الكويت :مطبعة حكومة الكويت ، ط2 ،1407هـ - 1987م)
38. التاج في أخلاق الملوك، عمرو بن بحر الكناني البصري المعروف بالجاحظ (بيروت: دار الفكر، د ط ، 1375هـ -1955م)

39. التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي (الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ط1 ، 1409هـ)
40. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، دط –الطبعة التونسية – 1997 م)
41. التحقيق في كلمات القران الكريم ، حسن المصطفوي (طهران : اعتماد ، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، ط1، 1416م)
42. التدبر الموضوعي في القران الكريم – قراءة في المنهجين: التجميعي والكشفي، (دروس القاها الشيخ علي ال موسى) كتبها :عبدالعزيز حسن آل زايد ؛ محمد حسن آل زايد؛ موسى سعيد البحارنة (بيروت: دار كميل للطباعة والنشر ، ط1 ، 1430هـ–2009م)
43. تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبدالفتاح الخالدي (دمشق : دار القلم، ط3: 1429هـ–2008م)
44. تفسير البحر المحيط ، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض ..وآخرون (بيروت: دار الكتب العلمية ،ط1، 1422هـ – 2001 م)
45. التفسير التحليلي دراسة في المناهج والاليات "سورة الطلاق (انموذجا)، مريم هادي رضا (مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة، ط1 : 2018م)
46. التفسير الصافي المولى محسن الملقب: بالفيض الكاشاني؛ صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي (قم المقدسة: مؤسسة الهادي ، ط2 : 1416هـ)
47. التفسير الكبير، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام "ابن تيمية"، تحقيق: عبدالرحمن عميرة (بيروت: دار الكتب العلمية، دط ،دت)
48. تفسير المشكل من غريب القران ، مكي بن ابي طالب القيسي ، تحقيق: علي حسين البواب (الرياض: مكتبة المعارف ، 1406هـ – 1985م)
49. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبدالفتاح الخالدي(الاردن : دار النفائس للنشر والتوزيع ، ط3 : 1433هـ–2012م)
50. تفسير غريب القران ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ) تحق: أحمد صقر (الناشر: دار الكتب العلمية ، 1398 هـ – 1978 م)

51. التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي(الناشر : مكتبة وهبة، ط7، 2000م)
52. التفسير والمفسرون اساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث ، فضل حسن عباس(الاردن : دار النفائس ، ط1، 1437هـ-2016م)
53. التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ، محمد هادي معرفة (الناشر: الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، ط2 ، 1425هـ)
54. التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، محمد بن رزق بن عبد الناصر بن طرهوني الكعبي (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط 1: 1426 هـ)
55. التيسير في أصول واتجاهات التفسير، عماد علي عبد السميع (الإسكندرية: دار الإيمان، دط: 2006م)
56. جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي(دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1422،1هـ-2001م)
57. الجواهر في تفسير القران، طنطاوي جوهري (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2: 1350هـ)
58. جيل دولوز- فليكس غتاري: ما هي الفلسفة؛ ترجمة: مطاع صفدي؛ (بيروت: مركز الإنماء القومي، ط1: 1997م)
59. جيل دولوز وتجديد الفلسفة، جمال نعيم (بيروت: المركز الثقافي العربي، ط1، 2010م)
60. الحاشية على الكشاف، علي بن محمد بن علي الجرجاني (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم – خلفاء، الطبعة الأخيرة، 1385 هـ - 1966 م)
61. حقيقة البدعة وأحكامها، سعيد بن ناصر الغامدي (الرياض: مكتبة الرشد ، ط 3: 1419هـ-1999م)
62. الخطاب والتأويل، نصر حامد ابو زيد(بيروت : المركز الثقافي العربي ، ط3 : 2008م)
63. خطوات البحث العلمي من تحديد المشكلة الى تفسير النتيجة ، عقيل حسين عقيل (- دار ابن كثير، ط1 ، 2010)

64. خلاصة المنطق، عبدالهادي الفضلي (منشورات مؤسسة مسلم بن عقيل (ع) ، ط1: 1428هـ-2007م)
65. دراسات في أصول تفسير القران الكريم، محسن عبد الحميد (المغرب: دار الثقافة، ط2: 1404هـ-1984م)
66. دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني ، احمد جمال العمري(القاهرة : مطبعة المدني ، الناشر: مكتبة الخانجي ، ط1: 1406هـ-1986م)
67. دراسات في التفسير ومناهجه، عيادة بن ايوب الكبيسي (كلية الشريعة – جامعة الشارقة، ط1 :1436هـ-2015م)
68. دراسات في المناهج والاتجاهات التفسيرية في كتب التفسير المختصرة، نضال حنش شبار (جامعة بغداد، كلية التربية /ابن رشد، دط : 1437هـ-2017م)
69. دراسات في مناهج المفسرين، إبراهيم عبد الرحمن محمد خليفة (القاهرة: دار الوفاء، مكتبة الازهر، دط ، ١٣٩٩هـ- 1979م)
70. دروس تمهيديّة في القواعد التفسيرية، علي اكبر السيفي المازندراني(قم: مؤسسة النشر الاسلامي ، ط2: 1435هـ)
71. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر (الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط3: 1413هـ - 1992م)
72. الدين والاغتراب الميتافيزيقي عبدالجبار الرفاعي (بيروت: دار التنوير، ط2 : 2019م)
73. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة (بيروت: دار الفكر، ط2: 1408 هـ - 1988م)
74. الرسعني ومنهجه في التفسير، عبد المنعم جمعه صالح (القاهرة: مكتبة وهبة، ط1 ، دت)
75. شرح الحلقة الثالثة – الدليل الشرعي، حيدر اليعقوبي " تقريرا لدروس السيد كمال الحيدري"(بيروت : مؤسسة الهدى، دط : 1437هـ-2016م)

76. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري واخران معه (بيروت: دار الفكر المعاصر، ط1 : 1420 هـ - 1999 م)
77. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين ، ط4: 1407 هـ - 1987م)
78. الصحيفة السجّاديّة الكاملة (من ادعية الامام علي بن الحسين عليهما السلام)
79. علم التفسير "كيف نشأ وتطور حتى وصل الى عصرنا الحاضر"، عبدالمنعم النمر (القاهرة : دار الكتاب المصري ، ط1: 1405هـ- 1985م)
80. علم اللغة وصناعة المعجم، علي القاسمي(الرياض : عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود، ط2 : 1411هـ - 1991م)
81. علوم القران عند المفسرين، مركز الثقافة والمعارف القرآنية (قم: مؤسسة بوستان كتاب، ط2 :1428هـ)
82. العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي البصريّ ، تحق : مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي(الناشر: دار ومكتبة الهلال، دط ، دت)
83. فروع الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (بيروت : دار المرتضى ، ط1 : 1428هـ- 2007م)
84. فصول في اصول التفسير، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار (الناشر: دار ابن الجوزي، ط2: 1423هـ)
85. فهم القرآن ، دراسة على ضوء المدرسة العرفانيّة ، جواد علي كسار (بيروت : مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، ط2 : 2010م)
86. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي(بيروت: مؤسسة الرسالة، ط8: 1426هـ-2005م)
87. قضايا اللغة في كتب التفسير "المنهج - التأويل - الاعجاز"، الهادي الجطلاوي(الجمهورية التونسية : دار محمد علي الحامي ، ط1: 1998م)
88. كتاب الاتجاهات المنحرفة في تفسير القران الكريم دوافعها ودفعها، محمد حسين الذهبي(الناشر: مكتبة وهبة ، ط3 : 1406هـ-1986م)
89. الكتاب والقران، محمد شحرور (بيروت: دار الساقي ، ط1: 2011م)

90. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد بن علي ابن القاضي التهانوي، تحقيق: علي دحروج (بيروت : مكتبة لبنان ، ط1: 1996م)
91. الكليات "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية" ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري(بيروت : دار النشر ، مؤسسة الرسالة ؛ دط ، 1419هـ – 1998م)
92. اللباب في تفسير الكتاب، كمال الحيدري(بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ط1: 1430هـ–2009م)
93. لسان العرب ،محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(بيروت :دار صادر، ط3 :1414هـ)
94. لمحات في علوم القران واتجاهات التفسير، محمد بن لطفي الصّباغ (بيروت: المكتب الإسلامي ، ط3 :1410هـ–1990م)
95. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (دمشق: دار القالم ، ط3 : 1421هـ–2000م)
96. المبادئ العامة لتفسير القران الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد حسين الصغير (بيروت: دار الحكمة للطباعة والنشر ، ط 2 : 1439هـ – 2018م)
97. المبادئ العامة لدرس القران وتفسيره، محمد مصطفوي(بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1: 2012م)
98. مجمع البيان في تفسير القران، الفضل بن الحسن الطبرسي(بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1،: 1415هـ – 1995م)
99. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز – عامر الجزار(الناشر: دار الوفاء ، ط3 : 1426 هـ – 2005 م)
100. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد (بيروت : دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1422هـ)
101. المحرر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار(الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط2: 1429هـ – 2008م)

102. المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، تحقيق: محمد حسن ال يسين (بيروت: عالم الكتب : ط1 : 1414هـ-1994م)
103. مختار الصحاح، محمد بن ابي بكر الرازي(حلب: دار الانصاري للنشر والتوزيع، دط : 2012م)
104. المخصص، علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل ابراهيم جفال (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1: 1417هـ- 1996م)
105. المدخل الى التفسير الموضوعي، ابراهيم بن صالح بن عبدالله الحميضي (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، ط3 : 1442هـ-2020م)
106. المدخل الى التفسير الموضوعي، عبدالستار فتح الله سعيد(دار التوزيع والنشر الاسلامية ، ط2: 1411هـ-1991م)
107. المدخل إلى منهجية البحث وفن الكتابة مع تطبيقات في العلوم الشرعية ، عبدالرحمن حللي(بيروت : مركز نماء للبحوث والدراسات ، ط1 : 2017م)
108. المدخل لدراسة القرآن الكريم ، محمد محمد ابو شهبة (الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع ، ط3: 1407هـ-1987م)
109. مدخل الى دراسة الاعجاز العلمي في القران الكريم والسنة النبويّة المطهرة، زغلول راغب محمد النّجار(بيروت: دار المعرفة ، ط1 :143هـ-2009م)
110. المدرسة القرآنية ، محمد باقر الصدر (مكتبة سلمان المحمدي : بغداد – العراق ، ط1: 1434هـ-2013م)
111. المذاهب الاسلامية في تفسير القران ، أجنتس جولدتسهير ، ترجمة: علي حسن عبدالقادر (مطبعة العلوم ط1: 1363هـ-1944م)
112. مذاهب التفسير الاسلامي ، أجنتس جولدتسهير، ترجمة: عبدالحليم النجار (القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، دط: 1374هـ- 1955م)
113. المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي (الناشر: دار الكتب العلمية، ط1: 1413هـ - 1993م)
114. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، دط، دت)

115. مسير التفسير الضوابط والمناهج والاتجاهات، ابراهيم عوض(مصر: مكتبة جزيرة الورد، ط1: 1431هـ ، 2010م)
116. مصباح الأصول، محمد سرور الواعظ " تقرير عن آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي "(قم: المطبعة العلمية، ط5 : 1417هـ)
117. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، تحقيق: عبد العظيم الشناوي (القاهرة: دار المعارف، ط2: دت)
118. المصطلحات الوافدة وأثرها على الهوية الاسلامية، الهيثم زعفان (القاهرة: مركز الرسالة للدارسات والبحوث الإنسانية، ط 1: 2009م)
119. معايير الجودة البحثية في الرسائل الجامعية، رياض عثمان (بيروت: دار الكتب العلمية ، ط1: 2014م)
120. معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1 :1414هـ- 199م)
121. معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق : محمد صديق المنشاوي (الامارات : دار الفضيلة، دط ، دت)
122. معجم الصحاح في اللغة والعلوم : معجم وسيط ، نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي (بيروت: دار الحضارة العربية، ط1: 1957م)
123. معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي ، أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل(القاهرة: عالم الكتب، ط1: 1429هـ - 2008 م)
124. معجم ألفاظ الفقه الجعفري، أحمد فتح الله (الدمام: مطابع المدوخل، ط1: 1415هـ - 1995م)
125. معجم الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله بن سهل ابو هلال العسكري، تحقيق: محمد ابراهيم سليم (القاهرة : دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، دط ، دت)
126. المعجم الفلسفي، جميل صليبا (بيروت: دار الكتاب اللبناني، دط :1982م)
127. المعجم الأصولي، محمّد صنقور علي البحراني (إيران: ستاره، منشورات الطيار، ط3: 1428هـ- 2007م)
128. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر(القاهرة: عالم الكتب، ط1 : 1429هـ - 2008م)

129. معجم المصطلحات العلمية والفنية، يوسف خياط (بيروت: دار لسان العرب، دط ، دت)
130. معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد (تونس: دار الجنوب للنشر ، دط ،دت)
131. المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية (مصر: مكتبة الشروق الدولية، ط4: 1425هـ- 2004م)
132. معجم علم النفس والتحليل النفسي، فرج عبدالقادر طه واخرون (بيروت: دار النهضة العربية، ط1 : دت)
133. معجم لغة الفقهاء، عربي – انكليزي، مجموعة من المؤلفين (بيروت: دار النفائس ، ط2 : 1408 هـ - 1988م)
134. معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي (بيروت: دار النفائس، ط2 : 1408هـ-1988م)
135. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عبد الله بن عبد العزيز البكري، تحقيق: مصطفى السقا (بيروت: عالم الكتب، ط3 : 1403هـ)
136. معجم مصطلح الاصول، هيثم هلال (بيروت: دار الجيل، ط1: 2003م-1424هـ)
137. معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (دار الفكر للطباعة والنشر، دط : 1399هـ-1979م) .
138. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (بيروت: دار القلم، ط1: 1412هـ)
139. المفسرون، حياتهم ومنهجهم، محمد علي ايازي(طهران : مؤسسة الطباعة والنشر ، ط1: 1414هـ)
140. مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار (الرياض: دار ابن الجوزي، ط2: 1427هـ)
141. مقدمة جامع التفاسير، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: احمد حسن فرحات (الكويت: دار الدعوة، ط1: 1405هـ-1984م)

142. مقدمة في اصول التفسير، ابن تيمية: تقي الدين احمد بن عبد الحليم، تحقيق: عدنان زرزور (... ط2 : 1392هـ-1972م)
143. المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، محمد علي الحسن (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1 :1421هـ-2000م)
144. مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي (الناشر: وكالة المطبوعات، شارع فهد السالم، الكويت ، ط3 : 1977م)
145. مناهج البحث عند مفكري الاسلام ونقد المسلمين للمنطق الارسطاليسي، علي سامي النشار (الناشر: دار الفكر العربي ، ط1: 1367هـ-1947م)
146. مناهج التفسير واتجاهاته، محمد علي الرضائي، ترجمة: قاسم البيضاني (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1: 2008م)
147. المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة، محمد علي اسدي نسب (طهران: نكار، ط1: 1431هـ)
148. المناهج التفسيرية في علوم القران، جعفر السبحاني (قم: مؤسسة الإمام الصادق، ط4: 1432هـ)
149. المناهج التفسيرية للنص القرآني عند الامام الصادق(ع)، امير كريم الصائغ (ديوان الوقف الشيعي، ط1: 1436هـ-2015م)
150. مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني، ستار جبر حمود الاعرجي (المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، ط1: 2017م - 1438هـ)
151. مناهج المفسرين - القسم الاول: التفسير في عصر الصحابة، مصطفى مسلم (الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع، ط1: 1415هـ)
152. مناهج المفسرين، مساعد مسلم آل جعفر، محي هلال السرحان (السعودية: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ط1: 1980م)
153. مناهج المفسرين، منيع بن عبد الحليم محمود (القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني ، دط: 1421 هـ - 2000م)
154. مناهج المفسرين -دراسة في النظرية والتطبيق، محمد كاظم حسين الفتلاوي (بغداد: دار الرافد للطباعة، الناشر: دار حدود للنشر والتوزيع، دط : 2017م)

155. مناهج المفسرين من العصر الاول الى العصر الحديث – الجزء الأول، محمود النقراشي السيد علي (القصيم: مكتبة النهضة، ط1: 1407هـ-1986م)
156. مناهج تجديد، أمين الخولي(دار المعرفة، ط1 : 1961م)
157. مناهج تفسير القران، طلال الحسن "من ابحاث اية الله السيد كمال الحيدري" (مؤسسة الإمام الجواد (ع) للفكر والثقافة، دط ،دت)
158. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – ط3 : 1362 هـ – 1943م)
159. المنطق، محمد رضا المظفر (قم : مؤسسة اسماعيليان ، ط 8 : 1420هـ)
160. المنهج الأَثَري في تفسير القرآن الكريم، حقيقته ومصادره وتطبيقاته، هدى جاسم محمد أبو طبرة(قم: مكتب الاعلام الاسلامي ، ط1: 1414هـ-1994م)
161. المنهج الترابطي ونظرية التأويل دراسة في التفسير الكاشف، جواد علي كسّار(ايران: دار الصادقين ، ط1 : 1420هـ- 2000م)
162. منهج التفسير الموضوعي للقران الكريم، سامر عبدالرحمن رشواني (حلب: دار الملتقى ، ط1: 1430هـ-2009م)
163. المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، ابراهيم ابراش(عمان: دار الشروق ، ط1 :2009م)
164. منهج الفرقان في علوم القران، محمد علي سلامة، تحقيق: محمد سيد احمد المسير(نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1 : 2002م)
165. منهج فهم القران عند الشهيد الصدر، احمد زبون الازرقي (الناشر: دار المحبين، الكوثر، ط2: 1432هـ -2011م)
166. منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، مجموعة مؤلفين – الاشراف العام: بوحوش عمار(برلين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ، ط1 : 2019م)
167. موسوعة الفلسفة ، عبدالرحمن بدوي (بيروت: الؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1: 1984م)
168. الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين (القاهرة: وزارة الاوقاف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، دط: 1423هـ – 2002م)

169. موسوعة علوم القرآن، عبد القادر محمد منصور(حلب: دار القلم العربي ، ط1: 1422هـ- 2002م)
170. موسوعة لالاند الفلسفية، اندريه لالاند، تعريب: خليل احمد خليل (بيروت – باريس ، منشورات عويدات، المطبوعات الجامعية في فرنسا ، ط2 : 2001م)
171. الميزان في تفسير القران، محمد حسين الطباطبائي ، تحقيق: اياد باقر سلمان ، قدم له كمال الحيدري (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ط1: 1427هـ-2006م)
172. نحو تفسير موضوعي لسور القران الكريم ، محمد الغزالي (القاهرة : دار الشروق ، ط4 : 1420هـ-2000م)
173. نزهة القلوب في تفسير القران العزيز ، ابو بكرمحمد بن عزيز السجستاني، تحقيق : يوسف عبدالرحمن المرعشلي(بيروت : دار المعرفة ، طبعة خاصة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بدولة قطر : 1434هـ – 2013م)
174. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي سامي النشار(القاهرة: دار المعارف، ط9: دت)
175. نظرات في المصطلح والمنهج، الشاهد البوشيخي(فاس: انفو- برانت، ط3 : 2004م)
176. نفحات القرآن ، أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، ناصر مكارم الشيرازي(قم: مطبعة سليمان زاده، الناشر: مدرسة الامام علي بن ابي طالب (ع)، ط1: 1426هـ)
177. نقد اراء الذهبي في كتاب التفسير والمفسرون، لمجموعة باحثين، تعريب: قاسم البيضاني (قم: المركز العالمي للدارسات الاسلامية ، ط1: 1429هـ)
178. نقد منهج التفسير والمفسرين المقارن، سالم الصفار البغدادي (طبعة دار الهادي، ط1)
179. نهج الاعتزال في الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ظافر سعيد شرقة (الرياض: دار الوعي للنشر، ط1: 1433هـ)

- **الرسائل والبحوث :**

180. اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني، سليمان محمد علي الدقور (رسالة دكتوراه –كلية الشريعة جامعة اليرموك /الأردن – 2005م)

181. التعيين في الوظائف العامة بين النظام الإسلامي والقانون الجزائري، أحمد طرشي (2016-2017م) ، (رسالة ماجستير – تخصص شريعة وقانون)
182. التفسير التحليلي "تاريخ وتطور" ، مشعان عبد سعود العيساوي، لـ(المؤتمر العلمي الثاني لكلية العلوم الإسلامية– الرمادي 2012/12/11م)
183. تفسير القرآن بالقرآن: دراسة في المفهوم والمنهج، سعاد كوريم (أصل هذا الموضوع بحث مقدم لمؤتمر مناهج تفسير القرآن الكريم وشرح الحديث الشريف الذي نظمته كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بماليزيا في تموز (يوليو) 2006م)
184. شوائب التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، عبد الرحيم فارس أبو علبة (رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية: الدكتوراه في الدراسات الإسلامية من كلية الشريعة بجامعة بيروت الإسلامية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)
185. مقاصد الخطاب القرآني بين المفسرين والتداوليين ، نارت محمد خير يحيى قاخون (الجامعة لأردنية ، كلية الدراسات العليا / اب 2009م – رسالة ماجستير في اللغة العربية وادابها)
186. مناهج المفسرين المعاصرين في التعامل مع اثار الصحابة والتابعين، اسراء عبدالحفيظ العوادات (رسالة ماجستير ، الجامعة الاردنية /2014م).
187. منهجية البحث في الموضوع القرآني، حامد يعقوب الفريح (بحث مقدم الى مؤتمر التفسير الموضوعي (واقع وافاق) المنعقد في جامعة الشارقة في الفترة 11-1431/5/12هـ)
188. نحو دراسة علمية لتاريخ التفسير وتطوره، فريدة زمرد (بحث مقدّم للمؤتمر الدولي لتطوير الدارسات القرآنية ، 1434/4/6هـ- 2013/2/16م)

- **المجلّات والدوريات :**

189. أثر رؤية المفسِّر للعالَم في التفسير، عبدالجبار الرفاعي، جريدة الصباح، العدد 5014، الخميس 07 كانون ثاني 2021م . وايضا على موقع الجريدة الالكتروني:https://alsabaah.iq 38643 /أثر-رؤية-المفس-ر-للعال-م-في-التفسير
190. التفاسير القرآنية في مصر الحديثة، حازم محي الدين، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، المجلد5/العدد العشرون :1431هـ-2010م.

191. جدلية العلاقة بين المنهج العلمي والدراسات الانسانية –المفاهيم والتأثر، احمد عبدالجبار فاضل، مجلة مداد الآداب (عدد خاص بالمؤتمر السنوي الرابع – العلوم الانسانية والتنمية الشرية المعاصرة) لكلية الآداب الجامعة العراقية، 1436هـ– 2015م.
192. قراءة تطورية في مفهوم التفسير، عمر حيدوسي، مجلة الإحياء، العدد الرابع عشر: 1431هـ – 2010م .
193. المدارس التفسيرية حقيقة أم خيال، محمد محمود زوين، جامعة الكوفة كلية الآداب، المجلد 4/ العدد 9 :31 ديسمبر/كانون الأول 2011م .
194. مصطلح الاتجاه في التفسير والفرق بينه وبين المنهج والأسلوب، مراد قمومية ، مجلة الحضارة الإسلامية ،المجلد 19/ العدد2 : اكتوبر 2018م.
195. من قضايا المنهج في نقل المصطلح العلمي ووضعه وتقييسه في اللغة العربية ، ابراهيم بن مراد ، مجلة المعجمية ، العدد 8 : 1992م.
196. المنهج الترتيبي والمنهج الموضوعي في تفسير القران الكريم، هاشم ابوخمسين ؛ حمزة موسى امام، مجلة المصباح، العدد 19: 2014م–1435هـ .

• **المواقع الالكترونية :**

197. الاتجاه المقاصدي في تفسير ابن عاشور،سامر رشواني، الملتقى الفكري للإبداع: http://almultaka.org/site.php?id
198. التفسير الاسلوبي للقران الكريم، عبدالحميد الهنداوي (موقع الكتروني: مركز تفسير للدراسات القرآنية)
199. محمد عباس دهيني ، الموقع الرسمي (22 ديسمبر2017/ التصنيف: منبر الجمعة https://dohaini.com/?p= 2481)
200. مجلة المسلم المعاصر: https://archive.org/details/ 34535454_201511
201. قاموس الإنجليزيّة الأمريكيّة المتميّز، http://arabic.britannicaenglish.com /
202. قاموس المحدث(قاموس عربي إنكليزي، الإصدار 1,01) (المكتبة الشاملة، اصدار 3,46)
203. معجم المعاني الالكتروني: https://www.almaany.com
204. مفهوم المفهوم والفرق بينه وبين المصطلح، حمزة شلهاوي ، موقع شبكة الألوكة .

205. الموسوعة العربية، التربية والفنون/ تربية وعلم نفس: http://arab-ency.com.sy
206. ويكيبيديا (الموسوعة الحرة).
207. نصوص النهي عن التفسير بالرأي بين الاعتبار والمدلول، سعيد نورا، مصطفى مهدوي، موقع نصوص معاصرة/ مركز البحوث المعاصرة في بيروت: http://nosos.net

والحمد لله رب العالمين

Abstract

Praise be to God, and prayers and peace be upon the Messenger of God and his pure family.

The science of interpretation has the highest honor among the religious and worldly sciences, From the moment the Qur'an was revealed to this day, Muslims have worked hard to focus their attention on understanding it and to devote their efforts to reveal its secrets, The science of interpretation has gone through many stages since its origins and until today, Its topics varied, its issues expanded, and its issues multiplied, In the past, scholars were interested in knowing the methods of interpretation By studying tafsir books and analyzing their texts They came up with many different ways, but there is a way that they called the best interpretation method, After subjecting the science of interpretation to the methodological principles and organized legalization And the circulation of the use of descriptive and taxonomic terms such as style, method and direction…, And after the emergence of books that talk about the methods of the commentators and the directions of interpretation, The problem of the difference between authors and researchers appeared in the use of descriptive and taxonomic concepts This caused confusion and confusion as a result of the confusion and overlap in these concepts, I identified the problem and set out to search for the reasons behind it, Because of the importance of this topic in the study of the methods of interpretation and commentators, Unless the terminology is defined and criteria are adopted in defining division models for curricula, trends and methods, the problem will affect the results of the

search for curricula and reveal the turbulent and non-systematic methods of the Qur'an interpreters.

Accordingly, the hypothesis formula for the research is: The study assumes that defining and allocating concepts and sections to make them fit each stage; The conventions and divisions that pertain to the exegete in the "before initiation" stage are not the conventions and divisions that pertain to scholars and researchers in the interpretive codes of "after the initiation." Observing this sorting will address the problem of confusion and overlap that leads to confusion and illusion due to the use of divisions and concepts without differentiating between those The two phases and two domains.

The scientific goal that the researcher intends to achieve is to highlight the problematic by collecting different opinions on the concepts: «Method; direction; style». And to identify the resources that reveal the discrepancy and intersection of the authors in the definitions and divisions, which leads to the learners getting confused in defining the concept of the term and its endorsements.

Several methods, mechanisms and approaches have been employed in this study, the most used of which is the descriptive method, investigation, analysis, comparison, and induction. The organization, arrangement, and classification took into account scientific priority, historical precedence, authenticity of attribution and authenticity of documentation.

The tagged message included the problematic of dividing and employing concepts in explanatory curricula - a critical study It

includes an introduction, an introductory chapter, three chapters, and a conclusion.

I ask God to accept this effort from me in serving the Noble Qur'an and the people of knowledge.

The Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Karbala University / College of Islamic Sciences

The problem of dividing and implying concepts in explanatory curricula

(critical study)

Research submitted by the student:

(**Hassan Abdel AL- Hadi Rashid Daoud**)

To the Council of the College of Islamic Sciences / University of Karbala

It is part of the requirements for obtaining a master degree in Sharia and Islamic Sciences

Supervised by

Ass.Ph.Dr. Iqbal Wafi Najm

2021 1443